

تفسير رسالة بولس إلى أهل أفسس

متى بهنام

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

أخذت بإذن رسمي من صفحة بيت الله. جميع الحقوق محفوظة لمكتبة الأخوة ولا يجوز إعادة نشر أو طباعة أي من الكتب أو المقالات بأي طريقة طباعية أو إلكترونية أو وضعها على الإنترنت إلا بإذن خاص ومكتوب من الأخوة وصفحة بيت الله. يمكنك أن تحتفظ بالكتب أو المقالات للاستخدام الشخصي فقط وليس بهدف بيعها أو المتاجرة بها بأي طريقة كانت ومهما كانت الأسباب.

محتويات الكتاب

٢	تمهيد
٧	مقدمة الرسالة
٩	الإصحاح الأول
٤٤	الإصحاح الثاني
٦٨	الإصحاح الثالث
٨٦	الإصحاح الرابع
١١٥	الإصحاح الخامس
١٣٧	الإصحاح السادس

تمهيد

مدينة أفسس

كانت هذه المدينة واقعة على الساحل الغربي لآسيا الصغرى، وكانت عاصمة ذلك الجزء من القارة الآسيوية، وقد اشتهرت بعظمتها من النواحي الدينية والسياسية والتجارية.

وكان معظم سكان أفسس من أصل يوناني كما كان بينهم عدد كبير من اليهود المشتغلين بالتجارة (أع ١٨ : ١٩ – ٢٤، ١٩ : ١، ١٧، ٣٤).

وكان في تلك المدينة هيكل إلهة اليونانيين والرومانيين الكاذبة التي كانت تدعى عند الرومانيين "ديانا" وعند اليونانيين "أرطاميس" (أع ١٩ : ٢٣ – ٣٦) وكان ذلك الهيكل معتبرا وقتئذ أحد عجائب الدنيا السبع*.

ويبدو كأن الروح القدس قصد عن طريق ذلك الهيكل الفخم أن يقود المؤمنين إلى معرفة الحق السامي الخاص بالهيكل الروحي، أعني "بيت الله" الذي هو كنيسة الله أي جميع المؤمنين الحقيقيين المبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية "الذي فيه كل البناء مركبا معا ينمو هيكل مقدسا في الرب. الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معا مسكنا لله في الروح" (أف ٢ : ١٩ – ٢٢). لقد هدم هيكل الإلهة ديانا – هدمه الغوطيون سنة ٢٦٢ ميلادية، أما الكنيسة ببيت الله فإن ابواب الجحيم لن تقوى عليها.

لقد كانت أفسس وقتئذ أعظم مركز للعبادة الوثنية الكاذبة والتي كثرت معها أعمال السحر والشعوذة (أع ١٩ : ١٩) كما اعتقد الجميع في آسيا أن تمثال هذه الإلهة قد هبط من السماء (أع ١٩ : ٣٥).

- كان ذلك الهيكل مبنيًا من أنقى أنواع الرخام وطوله ٤٢٥ قدما وعرضه ٢٢٠ قدما، وكان سقفه قائما على ١٢٧ عمودا من الرخام النقي، وأرتفاع كل عمود أكثر من ٦٠ قدما، وقد استغرق بناء ذلك الهيكل أكثر من مائتي سنة.

وقد كان في مدينة أفسس مجمع لليهود ولكن ذلك المجمع بممارساته الناموسية المتنوعة لم يستطع أن يبدد ظلمات الوثنية التي كان الأفسسيون بل وجميع سكان آسيا غارقين فيها. ولكن شكرا لله فإن شيئا عجيبا حدث هنالك، ذلك أن إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذي هو قوة الله للخلاص قد كرز به في أفسس بل وسمعه جميع سكان آسيا فحطم عظمة تلك الإلهة الكاذبة فلم تقم لها قائمة بعد ذلك.

لقد استطاع الإنجيل أن يعمل ما كان يخشاه ديمتريوس زعيم الصناعات من أن يحسب هيكلاً
ارطاميس الإلهة العظيمة لا شيء ومن أن تهدم عظمتها، هذه التي يعبدونها جميعاً آسيا
والمسكونة (أع ١٩ : ٢٧).

* * * * *

الكراسة بالإنجيل في أفسس

لسنا نعلم بالتحقيق كيف ومتى كرز بالإنجيل في أفسس، ولكننا نعلم أنه لما حل الروح
القدس على المؤمنين الذين كانوا مجتمعين معاً في يوم الخمسين، كان بين الرجال اليهود
الأتقياء الساكنين في أو رثلين من كل أمة تحت السماء بعض رجال من آسيا (التي كانت
أفسس عاصمتها) (أع ٢ : ٩). هؤلاء سمعوا بشارة الإنجيل وتابوا وآمنوا بالمسيح.

كذلك واضح أن الرسول زار مدينة أفسس لأول مرة وهو في طريقه من كورنثوس إلى
سوريا عند عودته من أو ربا، من سفرته التبشيرية الثانية*، وأنه دخل المجمع وحاج اليهود
ولكنه لم يمكث طويلاً بل ترك أكيلاً وبريسكلاً هناك (أع ١٨ : ١٩، ٢٠).

ثم واضح أيضاً أن الرب استخدم هنالك ابولوس الاسكندري، الذي أتى إلى أفسس، وكان
رجلاً فصيحاً ومقتدراً في الكتب وخبيراً في طريق الرب، وكان وهو حار بالروح يتكلم
ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب عارفاً بمعمودية يوحنا فقط،

● غالباً في سنة ٥٤ م

ولكن إذ سمعه أكيلاً وبريسكلاً أخذهما وشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق (أع ١٨ : ٢٤ –
٢٦).

و واضح بكل يقين أن الرسول العظيم بولس عاد إلى أفسس مرة أخرى، وأن مدة السنوات
الثلاث التي قضاها في أفسس كارزا ومعلماً " ليلاً ونهاراً " أتت بآبارك الثمرات في
خلاص نفوس كثيرة وفي تعليم المؤمنين " جهراً وفي كل بيت " (أع ١٩ : ١-٢٠، ٢٠ :
٢٠-٣١).

" فقال لهم فبماذا اعتمدتم؟ " فأجابوه " بمعمودية يوحنا " فالذي حدا بالرسول أن يسألهم
عن المعمودية هو يقينه بأن من أعتمد بالمعمودية المسيحية لا يمكن أن يجهل حقيقة الولادة
الجديدة. لو كانوا اعتمدوا بالمعمودية باسم الرب يسوع لكانوا بلا ريب عرفوا عن الإنجيل
وقوته المخلصة.

أن كل ما كان يدركه هؤلاء التلاميذ قد تعلموه من ابلوس الذي مع أنه كان رجلا فصيحاً ومقتدراً في الكتب وحاراً بالروح إلا أنه كان عارفاً معمودية يوحنا فقط. فلم يكن مدركا لحقيقة الفداء الكامل بعمل ربنا يسوع المسيح فوق الصليب وقيامته من بين الأموات وصعوده إلى السماء. لقد علم ابلوس بمعمودية التوبة التي تتطلع إلى الملك الآتي، أما المعمودية المسيحية فإنها تتطلع إلى الوراء حيث أكمل عمل الخلاص بذاك الذي ولد من عذراء وعاش عيشة القداسة الفريدة والكاملة " القدوس " وتتطلع إلى موته الكفاري وإلى نصرته قيامته، وإلى صعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الاب. أن المعمودية المسيحية هي برهان اتحاد كل ابن حقيقي لله مع المسيح في الموت والدفن والقيامة. وقد كانت نتيجة حديث الرسول بولس مع أولئك التلاميذ انهم " لما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع " (أع ١٩ : ٥).

ثم إذ تتبعنا الرسول بولس في خدمته في أفسس نجده في مجمع اليهود كان يجاهر مدة ثلاثة شهور محاجا ومقنعا في ما يختص بملكوت الله " (أع ١٩ : ٨) ولكن لما كان قوم من اليهود يتقسون ولا يقنعون شاتمين الطريق أمام الجمهور اعتزل عنهم وأفرز التلاميذ محاجا كل يوم في مدرسة إنسان اسمه تيرانس (٩ع) لقد رفض بولس أن يبقى في شركة مع من ينكرون سيده " أية شركة للنور مع الظلمة. وأي اتفاق للمسيح مع بليعال " إن الأمر الإلهي الصريح " أخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب " (٢ كو ٦ : ١٤-١٨). أن كل خادم أمين للمسيح لا يتوانى عن الانفصال عمن ينكرون اسم سيده أو قيمة عمله الفدائي.

لقد كانت الكنيسة في أفسس تجتمع في تلك المدرسة، إذ ليست العبرة بمكان الاجتماع وبفخامة تشييده بل بأمانة المجتمعين باسم الرب وفي حضرته (مت ١٨ : ٢٠) لقد أراد الرب أن تسمع آسيا كلمة الإنجيل، ولمدة سنتين استمر بولس كارزا ومعلما في كل يوم " حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين في آسيا من يهود ويونانيين " (أع ١٩ : ٩، ١٠).

كذلك كان عمل النعمة في نفوس الذين آمنوا عملا حقيقيا ومثمرا " وكان اسم الرب يسوع يتعظم. وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم. وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع. وحسبوا اثمانها فوجدوها خمسين ألفا من الفضة. وهكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة " (أع ١٩ : ١٧-٢٠).

* * * * *

مقاومات الكرازة في أفسس

مع أن الله قد بارك كثيراً كرازة وخدمة الرسول بولس في أفسس وأيدها بالقوات " غير المعتادة " التي صنعها على يديه، إلا أنه لقي مقاومات عنيفة من الشيطان وأعدائه، فقد بدأت تلك المقاومات عندما كان قوم من اليهود قد قسوا ولم يقنعوا بكرازته بل كانوا يشتمون الطريق أما الجمهور كما سلفت الإشارة (أع ١٩ : ٩) وفيما كتبه الرسول نفسه في بعض رسائله نرى كم لقي من المقاومات العنيفة، ففي ١كو ١٥ : ٣٢ يقول " كإنسان قد حاربت وحوشاً في أفسس " مشيراً بذلك بدون شك إلى المقاومات الشديدة التي لقيها هناك ولا سيما من اليهود ثم يقول أيضاً " ولكنني أمكث في أفسس إلى يوم الخميس لانه قد انفتح لي باب عظيم فعال ويوجد معاندون كثيرون " (١كو ١٦ : ٨، ٩) ثم قوله بعد ذلك في رسالته الثانية " فأننا لا نريد أن تجهلوا أيها الاخوة من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في آسيا إننا نتقننا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضاً " (٢كو ١ : ٨) لقد كانت للشيطان أيضاً وسائله المتنوعة في مقاومة عمل الله، فلم يكتف بالمقاومات القاسية التي أثارها على خادم الرب الأمين بولس وعلى خدمته، بل استعمل وسيلة أخرى وهي تقليد عمل الله بواسطة سبعة بنين لسكاوا رجل يهودي رئيس كهنة " فشرع قوم من اليهود الطوافين المعزمين أن يسموا على الذين بهم الأرواح الشريرة باسم الرب يسوع قائلين نقسم عليك بيسوع الذي يكرز به بولس " لقد كان هؤلاء التعساء المجدفون يجهلون عاقبة استخدام الاسم القدوس المبارك – اسم ربنا يسوع في سحرهم وعرافتهم، فالإنسان الذي كان فيه الروح الشرير وثب عليهم وغلبهم وقوى عليهم حتى خرجوا من ذلك البيت عراة ومجرحين حتى صار ذلك معلوماً عند الجميع " وكان اسم الرب يسوع يتعظم " (أع ١٩ : ١٣-١٧) شكراً لله فانه بالرغم من شدة وقسوة مقاومات العدو فإن كلمة الرب كانت " تنمو وتقوى بشدة " (أع ١٩ : ٢٠) لأنه مهما اشتد هجوم الشيطان وأعدائه فإن كلمة الرب لا يمكن أن ترجع إليه فارغة.

* * * * *

لم تكن هذه كل المقاومات التي لقيها الرسول بولس في أفسس، إذ واجه مقاومة أخرى شديدة وقاسية، فإن إنساناً اسمه ديمتريوس صانع صائغ هياكل فضة للألهة ارطاميس، كان ذا نفوذ بين الصناع إذ كان يكسبهم مكسباً ليس بقليل، لذا جمعهم هم والفلة في مثل ذلك العمل وهيجهم ضد الرسول بولس قائلًا " أنتم تعلمون أن سعتنا انما هي من هذه الصناعة. وانتم تنظرون وتسمعون انه ليس من أفسس فقط بل من جميع آسيا تقريباً استمال وأزاغ بولس هذا جمعا كثيراً قائلًا أن التي تصنع بالأأيادي ليست آلهة. فليس نصيبنا هذا وحده في خطر من أن يحصل في إهانة بل أيضاً هيكل ارطاميس الإلهة العظيمة أن يحسب لا شيء وأن سوف تهدم عظمتها هي التي يعبدها جميع آسيا والمسكونة " (أع ١٩ : ٢٤-٢٧).

عندئذ غضبوا وطفقوا يصرخون قائلين عظيمة هي أوطاميس الأفسسيين حتى امتلأت المدينة كلها اضطراباً وخطفوا غايوس وارسترخس رفيقي بولس في السفر (ع ٢٨، ٢٩).

* * * * *

ثمار خدمة الرسول في أفسس

يجدر بنا أن نشير بكل إيجاز إلى ثمار خدمة الرسول بولس في أفسس أو بالحري إلى نصرة الإنجيل ليس في أفسس فقط بل وفي كل آسيا (آسيا الصغرى) " حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين في آسيا من يهود ويونانيين " (أع ١٩ : ١٠). هؤلاء لم يسمعوا كلمة الله فقط بل أن كثيرين منهم قبلوها، الأمر الذي شهد به ديمتريوس الصائغ نفسه، فقد اعترف قائلاً " انه ليس من أفسس فقط بل ومن جميع

● غالباً في سنة ٥٧ م

آسيا تقريباً أستمثال وأزاع بولس هذا جمعا كثيراً " (أع ١٩ : ٢٦) ولقد تأسست بالفعل كنائس ليس في أفسس فقط بل في جهات أخرى في آسيا. ولهذه الكنائس وجه الرب وهو في المجد خطاباته السبعة أي التي " إلى الكنائس السبع التي في آسيا " (رؤ ١ : ١١ وص ٢، ٣).

* * * * *

ما وصلت إليه الحالة في أفسس

في رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس يكتب هذا الخبر المحزن " أنت تعلم أن جميع الذين في آسيا (وأفسس ضمناً) ارتدوا عني (أي تركوا الرسول عند القبض عليه في المرة الأخيرة) " (٢ تي ١ : ١٥) ولا ريب أيضاً أن كثيرين تحولوا عن الحق الذي علمهم بولس إياه، فكأنه قد تحقق ما أنذر الرسول بولس به شيوخ تلك الكنيسة (أع ٢٠ : ٢٩، ٣٠) ولكن بالرغم من ذلك يذكر الرسول في رسالته الثانية إلى تيموثاوس (٤ : ١٢) بأنه أرسل إليهم تيخيكس، وذلك لفرط عناية الرسول واهتمامه بهم.

وفي خطاب الرب نفسه لتلك الكنيسة (رؤ ٢) يمتدحهم كثيراً إلا انه يتهمهم اتهاماً خطيراً بأنهم تركوا محبتهم الأولى وينذرهم بأنه سيزحزح مناراتهم من مكانها أن لم يتوبوا. وهذا ما صار فعلاً. إذ أين هي كنيسة أفسس الآن؟

مقدمة الرسالة

كتب الرسول بولس هذه الرسالة ورسائله إلى كولوسي وفيلبي وفليمون أثناء سجنه الأول في رومية، ومع أننا لسنا نعلم علم اليقين وبالتحديد تاريخ كتابة هذه الرسالة، إلا أنها كتبت على الأرجح ما بين سنة ٦٠ و ٦٤ ميلادية لقد كتب الرسول هذه الرسالة ورسائله الأخرى سألقة الذكر وهو " أسير في سلاسل " في سجن رومية، فكأن الرب قد سمح للسلطة الرومانية الغاشمة بأن تلقي عبده وخادمه الأمين في ذلك السجن لكي يعطيه هذه الفرصة الذهبية الثمينة التي فيها يكتب هذه الرسائل القيمة ولا سيما هذه الرسالة الغنية بالحقائق الإلهية. وهذا يفسر لنا قول المرنم في أحد المزامير " لَأَنَّ غَضَبَ الْإِنْسَانِ يَحْمَدُكَ. بَقِيَّةُ الْغَضَبِ تَتَمَنَّى بِهَا " (مز ٧٦ : ١٠) لقد استخدم الله غضب الإنسان الذي قذف برسوله إلى السجن ليؤول إلى حمده ومجده. ولقد تنطق ببقية ذلك الغضب إذ منح عبده وخادمه الأمين نعمة خاصة في كتابة هذه الرسالة.

أن موضوع هذه الرسالة ليس هو ما يحتاج اليه الإنسان كخاطيء وعلاج الله لهذه الحالة الذي نجده في الرسالة إلى أهل رومية، كما أن موضوعها يختلف

• يظن بعض المفرين أن هذه الرسالة كتبت سنة ٦٢م

اختلافاً كلياً عن موضوع الرسالة إلى أهل غلاطية التي فيها يقاوم الرسول بكل شدة خطأ الرجوع إلى الناموس، سواء من الناحية الفرائضية أو الوصايا والمبادئ الأدبية، كما ينبر فيها على النعمة التي في المسيح المصلوب والمقام من الأموات وإلى الوعد الذي أعطى قبل الناموس وأكمل في المسيح دون سواء، وبذا تجري البركة إلى الأمم ويقبل الروح القدس بالإيمان. وتختلف كذلك عن الرسالة إلى أهل فيلبي التي فيها يرى المسيحي الحقيقي كسائح يركض ويسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع، كما أن الرسالة إلى أهل كولوسي لا تصل بالمؤمنين إلى السمو الذي في رسالة أفسس، فإن المؤمن يرى في رسالة كولوسي كمن مات مع المسيح وقام أيضاً معه ولكنه لا يرى فيها كمن أجلس في السماويات في المسيح يسوع، الحق الذي نراه في رسالة أفسس دون بقية الرسائل.

ويبدو أن حالة المؤمنين الروحية والأدبية في أفسس وقت كتابة الرسالة كانت سامية، وأنه لم يكن هناك ما يعيق أو يعطل الروح القدس من أن يقدم لهم وبالتالي لكنيسة الله في كل الاجيال الإعلانات الإلهية السامية التي في هذه الرسالة. لقد كان هناك توافق وتجاوب بين حالة الكنيسة في أفسس وبين الحقائق الإلهية الفريدة التي في هذه الرسالة التي كتبت اليهم ونحن بدورنا لا نستطيع أن ندرك سمو الحقائق الإلهية ونتمتع بها اختبارياً إلا إذا سمت حالتنا الروحية. ليعطنا الرب بنعمته أن نكون كذلك.

* * * * *

تنقسم هذه الرسالة إلى قسمين رئيسيين : فالثلاثة الاصحاحات الأولى هي القسم التعليمي، والثلاثة الاصحاحات الأخيرة هي القسم العملي. في القسم الأول يبين الروح القدس غنى نعمة الله، وفي القسم الثاني يقدم التحريضات العملية لمن قبلوا هذه النعمة الغنية. أعني المقام أولاً ثم المسؤولية، أو الامتيازات ثم الالتزامات أو بالأحرى المقام السماوي من ناحية، ثم السلوك الذي يوافقه ونحن هنا على الأرض من الناحية الأخرى. وهذا هو الترتيب الإلهي في كل كلمة الله.

ليتنا لا نفرح فقط بما أجزلته لنا نعمة الله بل لنسلك كما يحق لغني هذه النعمة.

الأصاحاح الأول

غني عن البيان أن موضوع هذه الرسالة الرئيسي هو " المسيح والكنيسة "

والعلاقة الوثيقة والأبدية التي بينهما. وهذه العلاقة يرسمها لنا الروح القدس في هذه الرسالة في صور متنوعة. ففي الاصحاح الأول يقدم لنا الروح القدس العلاقة التي بين المسيح والكنيسة مرسومة في صورة " جسد " وربنا يسوع المسيح له المجد هو رأس هذا الجسد، والكنيسة التي هي جميع المؤمنين أو بعبارة أوضح جميع المسيحيين الحقيقيين المولودين من الله في عهد النعمة هذا، (أي العهد الجديد) هذه الكنيسة هي جسد المسيح، والمؤمنون أفراداً هم أعضاء هذا الجسد.

وبما أن رأس هذا الجسد قد اكمل عمل الفداء بموته ثم أقيم من بين الأموات بمجد الاب، وقد أجلسه الاب عن يمينه في السماويات (١ : ٢٠).

وبما أنه لا يمكن أن يكون الرأس منفصلاً عن الجسد، لذا ترى الكنيسة التي هي جسده جالسة في السماويات فيه (٢ : ٦).

بالروح مقرونون برأسنا القدير

وهاتان الكلمتان " في السماويات " تردان في هذه الرسالة خمس مرات (١ : ٣ و ٢٠ ، ٢ : ٦ ، ٣ : ١٠ ، ٦ : ١٢).

وجدير بالاشارة، في هذه المناسبة، الا أن في هذه الرسالة عبارتين تعتبران بمثابة مفتاحين لهذه الرسالة وهما :

أولاً : " فيه " أي " في المسيح " فإن كانت هذه الرسالة تنبر كثيراً على مقام الكنيسة وبركاتها الروحية إلا انها كلها " في المسيح " فكل من ليس " في المسيح " ليس له نصيب أو تمتع بأية " بركة روحية " إننا بدون المسيح لا نستطيع أن نعرف الله ولا أن نصل اليه ونتمتع به وبغنى البركات التي للذين هم في المسيح يسوع دون سواه.

والعبارة الثانية هي " في السماويات " والكنيسة كما سلفت الاشارة ترى في هذه الرسالة جالسة في السماويات في المسيح يسوع. ولكن بينما ترى الكنيسة في هذا السمو العجيب، فإن الروح القدس ينبر في هذه الرسالة كثيراً على اهمية سلوك المؤمنين على الأرض. انها تشير إلى ما يجب أن يكون سلوكنا عليه وكذلك ما لا يجب أن نسلوك فيه سبع مرات (٢ : ١٠ و ١٧ ، ٥ : ١٥ و ٨ و ١٠) وهذا معناه أنه أن كنا شعباً سماوياً فيجب أن يكون

سلوكنا متوافقا مع مقامنا – أن يكون سلوكنا سماويا. ومن هو كفؤ للوجود في حالة عملية كهذه؟ اننا نشكر الله على وسائله الإلهية التي أعدها لنا و وهبنا إياها والتي تقدرنا على السلوك الموافق لدعوتنا السماوية، لذا يشار في هذه الرسالة إلى الروح القدس نحو ثلاث عشرة مرة، ولا شك أن الروح القدس هو الذي يمنحنا القوة والنعمة للسلوك ونحن هنا على الأرض سلوكا سماويا، لذا يرد ذكر النعمة في هذه الرسالة اثنتى عشرة مرة.

* * * * *

(١) "بُولُسُ، رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، إِلَى الْفَدِّيِّينَ الَّذِينَ فِي أَفَسَسَ، وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ"

يفتح الروح القدس هذه الرسالة بذكر اسم كاتبها وخدمته، فبولس هو كاتب هذه الرسالة، وهو الاناء المختار من الله ليكون رسول يسوع المسيح إلى الامم (غل ٢ : ٧-٩). لقد أفرز من بطن امه لهذه الخدمة، وتتميز خدمته الرسولية بأنه قبلها من الرب يسوع وهو في المجد، أعنى بعد ارتفاعه إلى السماء وجلسه عن يمين ابيه (أع ٩ : ١٥، غل ١ : ١٢و١٥).

وقد كان اختياره لهذه الخدمة المباركة "بِمَشِيئَةِ اللَّهِ" وهنا نرى نبع ومصدر هذه الخدمة التي كانت لبركة وغبطة المؤمنين في كل الأجيال. فقد كانت مشيئة الله أن هذا الذي كان قبلا مجدفا ومضطهدا لكنيسة الله أو بالحري للرب يسوع يصير الاناء المختار ليحمل اسم الرب أمام أمم وملوك وبني إسرائيل (أع ٩ : ١٥) وليس ذلك فقط بل ليقدم لكنيسة المسيح اسمى الإعلانات الإلهية التي تتضمنها رسائله ولا سيما هذه الرسالة.

إن كان بولس رسولا "بِمَشِيئَةِ اللَّهِ" فانه لزام على كنيسة الله أن تصغي بكل انتباه إلى الحقائق الإلهية التي أعطي له أن يقدمها لها.

ويشار إلى "بِمَشِيئَةِ اللَّهِ" في هذا الاصحاح أربع مرات (ع ١و٥و٩و١١) يا له من تنازل من إلها الطيب أن يعلن لنا مشيئته الصالحة، ويا لها من بركة لنفوسنا أن نعرف هذه المشيئة وان نختبرها ونتمتع بها.

* * * * *

(١) الدكتور إيرنسيد Dr. H. A. Ironside

"وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" ان كلمة المؤمنين هنا (كما في مستهل الرسالة إلى أهل كولوسي تجيء، في معظم الترجمات الأخرى، بمعنى "الامناء" (١) والمقصود هو أن الرسالة ليست موجهة إلى مجرد معترفين بإيمانهم بالرب يسوع، ولكن إلى اناس بالرغم

من المقاومات التي واجهتهم (كما واجهت الرسول نفسه إذ كان وقتئذ أسيراً في رومية) فإنهم بنعمة الله أمسكوا بأمانة بإيمانهم الذي قبلوه إنهم مؤمنون حقيقيون وأمناء للرب يسوع المسيح.

إلى "الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" ان من له إيمان في المسيح يسوع يجب أن يكون أميناً له أيضاً.

* * * * *

(٢) " نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ "

يحيي الرسول المؤمنين في أفسس، كما هي عاداته في رسائله الأخرى، بهذه التحية الطيبة متمنيا لهم الامتلاء بالنعمة والسلام والتمتع بهما. أنها أمنية مزدوجة " نِعْمَةٌ وَسَلَامٌ " من " الله أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ " فالله ابونا هو " إِلَهُ كُلِّ نِعْمَةٍ " (١بطه : ١٠) وهو أيضاً " إِلَهُ السَّلَامِ " (عب ١٣ : ٢٠) وكذلك الرب يسوع المسيح، فهو الذي اتانا " مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعاً أَخَذْنَا وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ " (يو ١ : ١٤-١٧. انظر ٢كو ٨ : ٩) وهو له المجد " رب السلام " الذي قال " سَلاماً أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلامِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا " (يو ١٤ : ٢٧).

١. The faithful

إن الاب هو وابنه الحبيب ربنا يسوع المسيح هما نبع ومصدر كل نعمة وكل سلام.

ثم لنلاحظ الارتباط الوثيق بين النعمة والسلام، فالله لا يهب سلاماً إلا على أساس نعمته، ولا يمكن لأي إنسان أن يتمتع بالنعمة ما لم يكن قد حصل أولاً على " سلام مع الله " ليتنا لا نعرف فقط أن لنا نعمة وسلاماً بل أن نتمتع بهما أيضاً.

* * * * *

(٣) " مُبَارَكُ اللَّهِ ابُورَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَاتٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ "

لقد أرستمت أمام الرسول مقاصد ومشورات الله ونعمته الغنية من نحو الكنيسة والأسرار المجيدة التي لم تكن معروفة من قبل والتي أعطي له أن يعلنها للقدسين، فلم يستطع إلا أن يبدأ رسالته بهذه التسبحة الشجيرة " مُبَارَكُ اللَّهِ ابُورَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ " فمتى أدرك المؤمن مقامه السماوي وبركاته الروحية التي في المسيح، لا يمكن إلا أن تنفجر من قلبه وعواطفه تسابيح السجود والتعبد، أما المسيحي الذي يجهل مقامه ومركزه وامتيازاته والبركات

الروحانية التي له في المسيح فانه لا يستطيع أن يتقدم أمام الله ابيه كساجد حقيقي – لا يستطيع أن يرثه ويسبح ويبارك الله.

* * * * *

ثم لنلاحظ أن عبارة "مُبَارَكُ اللهُ أَبُو رَبَّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ" تجيء في الأصل (كما في معظم الترجمات) هكذا "مبارك إله* وأبو ربنا يسوع المسيح" وهذا يرينا ربنا يسوع المسيح في علاقة مزدوجة مع الله، فهو الإنسان الفريد الكامل – الإنسان الوحيد الذي مجد الله هنا على الأرض في حياته وفي موته – الإنسان الذي كان بحسب فكره والذي وجد فيه كل سروره، فمن هذا الوجه كان الله إله (مز ٢٢ : ١، مت ٢٧ : ٤٦، مز ٤٥ : ٧، عب ١ : ٩) ولكنه في الوقت نفسه هو ابن الله أيضاً. هو ابن الله من وجهين. انه ابن الله الأزلي – هو الله الكلمة "وكان الكلمة الله" (يو ١ : ١) أن ربنا يسوع المسيح هو الابن الوحيد للاب منذ الأزل "الابن الوحيد الذي هو في حضن الاب" هذا هو الحق الإلهي الواضح في كل الكتاب المقدس (يو ١ : ١ و ٢ و ٤ و ١٨، ٣ : ١٦، ١٠ : ٣٠، ١٧ : ١٥ و ٢٤، ١ يو ١ : ٢، عب ١ : ٨ وشهادات أخرى عديدة) كذلك هو ابن الله بتجسده و ولادته من العذراء "أَجَابَ الْمَلَأَكُ : «الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تَظَلِّلُكَ فَلِذَلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ" (لو ١ : ٣٥).

ولقد أوضح الرب له المجد هذه الحقيقة الثنائية، إذ كانت أول رسالة أرسلها لتلاميذه بعد قيامته من الأموات هي قوله لمريم المجدلية " اذهبي إلى إخوتي وَقُولِي لَهُمْ : إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِكُمْ" (يو ٢٠ : ١٧) وعلى أساس موته وقيامته أدخلنا

" Blessed be the God and Father of our Lord Jesus Christ "

معه في هذه العلاقة المزدوجة، والتي هو فيها متميز عنا بلا شك. انه تبارك اسمه، " البكر بين أخوة كثيرين "

* * * * *

عندما وصل بولس إلى أفسس وجد إثني عشر تلميذاً. هؤلاء كانوا قد اعتمدوا بمعمودية يوحنا المعمدان فقط، ولكنهم في الوقت نفسه كانوا يجهلون حق الإنجيل الكامل الخاص بحضور الروح القدس وعمله في المؤمنين، والرسول بولس في حديثه إليهم أدرك ذلك، لذا وجه إليهم سؤالين :

السؤال الأول : " هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم؟ " (أع ١٩ : ٢) لقد ميز الرسول أن إيمانهم لم يكن مؤسساً على عمل الفادي الذي مات على الصليب والذي قام من بين

الأموات. انهم لم يدركوا تعليم الإنجيل الكامل ولم يعرفوا أن الروح القدس أتى لكي يسكن في المؤمن في اللحظة التي فيها يقبل الرب يسوع مخلصاً، لذا أجابوا قائلين " ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس " أن الحق الإلهي الصريح هو أن سكنى الروح القدس في قلب الإنسان هي البرهان الوحيد على أنه مسيحي حقيقي " إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له (أي ليس للمسيح) " (رو ٨ : ٩) وهل كان ممكناً أن تبني الكنيسة في أفسس على أساس معمودية يوحنا؟

لذا وجه الرسول بولس إليهم سؤاله الثاني :

ولقد وضع الله ختم المصادقة على كرازة الرسول بولس بأنه " كان يصنع على يديه قوات غير المعتادة حتى كان يؤتي عن جسده بمناويل أو مآزر إلى المرضى فتزول عنهم الامراض وتخرج الأرواح الشريرة منهم " (أع ١٩ : ١١، ١٢)

وجدير بالملاحظة أن اهتمام ديمتريوس الرئيس كان بالخسارة المادية التي تلحقه هو والصناع بسبب كرازة بولس فقد قال لهم " تعلمون أن سعتنا انما هي من هذه الصناعة " (ع ٢٥) أما هدم عظمة الإلهة ديانا فكان أمراً ثانوياً بينما كان ربح المال أمراً رئيسياً.

وإن رجلاً يهودياً حكيماً اسمه اسكندر خاطب الجمع فاستطاع أن يسكن هياجهم وان يصرف المحفل (ع ٣٣ - ٤١).

وبعدما انتهى الشغب دعا بولس التلاميذ و ودعهم وخرج ليذهب إلى مكدوننية* (أع ٢٠ : ١) ولكن خدمته في أفسس لم تنته عند هذا الحد، فإنه إذ كان بعد ذلك بوقت قصير في ميليتس القريبة من أفسس استدعى قسوس (أي شيوخ) تلك الكنيسة (أفسس) حيث خاطبهم خطابه الوداعي حاثاً إياهم بأنهم كأساقفة (أي نظار) يجب عليهم بأن يرعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه، لأن ذناباً خاطفة ستدخل بينهم، وان من بينهم سيقوم رجال يتكلمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ وراءهم، لذ يستودعهم لله ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيهم وتعطيهم ميراثاً مع جميع المقدسين (أع ٢٠ : ١٧-٣٨)

وفي رسالته الأولى إلى تيموثاوس (١ : ٣، ٤) يقول بولس بأنه طلب إلى تيموثاوس بأن يمكث في أفسس لكي يوصي المؤمنين هنالك بأن لا يعلموا تعليماً آخر وأن لا يصغوا إلى خرافات وأنساب لا حد لها.

إن هذه الرسالة هي بحق اسمى كتابات الرسول بولس، واننا إذ نتصفحها كأننا نقف على رابية مرتفعة ومقدسة. ليس معنى ذلك أننا نقلل من قيمة أو أهمية بقية الرسائل أو الأسفار الإلهية الأخرى، لأن " كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللَّهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِيهِ الْبِرُّ " (٢ تي ٣ : ١٦) ولكن من ذا الذي يستطيع أن ينكر أن الروح

القدس، في هذه الرسالة، أمام اللثام عن أسرار ومقاصد ومشورات إلهية لم تكن معروفة من قبل ولم تعلن بوضوح وبكل تفصيل في الرسائل الأخرى، كما أنها لم تعلن قط في أسفار العهد القديم؟ (أف ٣ : ٥و٩).

وبعد أن يذكر الروح القدس اسم كاتب الرسالة وخدمته يشير إلى الذين كتبت هذه الرسالة اليهم " إلى الْقَدِيسِينَ الَّذِينَ فِي أَفْسَس " فمع أن الرسالة موجهة إلى الكنيسة باعتبارها " جسد المسيح " إلا أن الروح القدس يخاطب المؤمنين فيها أيضاً كأفراد " إلى الْقَدِيسِينَ " فانه من الاهمية بمكان أن يعرف كل واحد في كنيسة الله أن الروح القدس يخاطبه فيها شخصياً، وأن يستوعب ما يقدمه له من الحقائق، سواء التعليمية أو العملية، وأن يدركها ويشبع به ويسير عملياً بموجبها.

" إلى الْقَدِيسِينَ " ان المعنى الاصلي لكلمة " قديس " هو مفرز لله أو مخصص له. ليس معنى ذلك أن المؤمنين صاروا قديسين بسبب قداسة تميزوا بها عن سواهم، فليسوا هم الذين بسبب قداستهم أو تقواهم صيروا أنفسهم أو صيرهم الناس قديسين، ولكن الرب يسوع المسيح، على أساس ذبيحته الكاملة، قد صيرهم قديسين (عب ١٠ : ١٠، ١٣ : ١٢). حسنا كتب أحد خدام الرب الموهوبين^(١) تعليقا على كلمة " الْقَدِيسِينَ " في هذا الفصل " اننا لا نصبح قديسين بسبب قداستنا بل يجب أن نحيا حياة القداسة لأننا قديسون "

وقد أشار أحد خدام الرب إلى هذه التسبحة فقال " إن هذا الفصل (عدد ٣-١٤) هو بمثابة أنشودة تسبحة مكونة من ثلاثة أجزاء، الجزء الأول يشير إلى الماضي البعيد - إلى الأزل وموضوع الله الاب وينتهي بهذه الكلمات " لِمَدَحٍ مَجْدٍ نِعْمَتِهِ " (ع ٣-٦) والجزء الثاني يشير إلى الزمان الحاضر وموضوعه الله الابن وينتهي بهذه الكلمات " لِمَدَحٍ مَجْدِهِ " (ع ٧-١٢) والجزء الثالث يشير إلى المستقبل وموضوعه الله الروح القدس ويختم بالقول " لِمَدَحٍ مَجْدِهِ " (ع ١٣و١٤) وإن هذه الأجزاء الثلاثة يربطها معا ربنا يسوع المسيح " في الْمَحْبُوبِ " (ع ٦) " فِي الْمَسِيحِ " (ع ١٢) " فِيهِ " (ع ١٣) " مَبَارَكُ اللَّهُ " أننا نباركه - نتعبد له لأنه، له المجد، قد باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح "

إن إله وانا ربنا يسوع المسيح قد " بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَاتٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ " ما اسمى هذا الحق! انها ليست بركات يريد الله أن يباركنا بها أو أن يمنحنا اياها مستقبلاً، ولكنه قد باركنا بها فعلاً. باركنا بكل بركة روحية، فهي ليست بركات أرضية كبركات العهد القديم. ليست بركات مادية أو جسدية ولكنها بركات روحية. لقد باركنا " بكل " بركة روحية، فلا توجد لديه تعالى بركة إلا وقد أجزلها لنا، كنا انها ليست من الأرض ولكنها سماوية " في السماويات " أي دائرتها " الأماكن السماوية " لقد كانت بركات إسرائيل أرضية، وقد فقدنا

بسبب عدم أمانته، ولكن بركات الكنيسة سماوية، والذي يكسبها جمالا وجلالا هي انها " في المسيح " انها في المسيح وللذين هم " في المسيح " .

جميل حقاً أن نعرف وندرك أننا قد بوركنا بكل بركة روحية، ولكن السؤال المهم هو : هل نحن متمتعون فعلا بكل هذه البركات الروحية السماوية؟ أن لنا ثروة لا يمكن أن تقدر بثمن – لنا غنى المسيح الذي لا يستقصى، ولكن هل نحن متمتعون عمليا بهذه الثروة وبهذا الغنى أم نحيا هنا كأننا فقراء؟ أن كانت امتيازاتنا وبركاتنا سماوية فيجب أن تكون حياتنا واختباراتنا سماوية أيضاً.

إن كلمة " نحن " في هذا العدد هي قاصرة على الذين آمنوا بالمسيح من اليهود، أما كلمة " أنتم " (في ع ١٣) فهي خاصة بالمؤمنين الحقيقيين من الأمم، فكان الرسول بولس أراد أن يقول بأننا نحن (المؤمنين من اليهود) الذين " سبق رجأونا " أي آمنا أولاً بالمسيح سنكون " لمجد مجده " اما بقية إسرائيل فانهم بسبب رفضهم للمسيح لن يكونوا لمجد مجده. صحيح أن مجد الرب سيشرق على الذين سوف يؤمنون به منهم في التدبير الآتي " قُومِي اسْتَنِيرِي لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكَ وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكَ " (اش ٦٠ : ١) وسيتحقق ذلك لهم عندما يرون الملك في بهائه. في ذلك اليوم

لقد علم الرب تلاميذه بأن يطلبوا من الاب عطية الروح القدس (لو ١١ : ١٣) وقد استجاب الاب طلبتهم هذه في يوم الخمسين إذ أعطاهم الروح القدس (أع ٢) لقد أرسله من السماء ليسكن في المؤمنين – في كل مسيحي حقيقي، فلا يوجد مؤمن واحد لم يعط الروح القدس " إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ فَذَلِكَ (الإنسان) لَيْسَ لَهُ (أي أنه ليس للمسيح) " (رو ٨ : ٩) فهل يليق بعد ذلك أن يطلب المؤمن حلول الروح القدس الذي ختم به وسكن فيه؟ وألا يكون عدم إيمان شنيع لو أن التلاميذ طلبوا من الله أن يرسل اليهم المسيح بينما كان موجودا معهم؟ كذلك فإن من الخطأ وعدم الإيمان أن يطلب المؤمنون انسكابا جديدا للروح القدس أو يوم خمسين آخر بينما الروح القدس قد أتى فعلا من السماء وسكن في جميع المؤمنين الحقيقيين. صحيح أن من واجبنا أن لا نحزن الروح القدس وان لا نطفئه، بل بالحري يجب أن نصلي باستمرار لكي نتأيد بقوة الروح القدس في الإنسان الباطن " اُمْتَلِئُوا بِالرُّوحِ " (أف ٤ : ٣٠، ١ تس ٥ : ١٩، أف ٣ : ١٦، ١٨).

ويسمى الروح القدس هنا " روح الموعد القدوس " لان الله الاب، بناء على إكمال عمل الفداء، وعد بارسال الروح القدس إلى العالم ليسكن في المؤمنين الحقيقيين (أع ١ : ٤، يو ١٤ : ٢٦، ١٥ : ٢٦، أف ٣ : ٦).

أن أول شيء طلبه الرسول في صلاته هذه هو قوله " كَيْ يُعْطِيَكُمْ...رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالْإِعْلَانِ فِي مَعْرِفَتِهِ " وغنى عن البيان أن ليس المقصود بذلك هو أن الله يعطيهم الروح القدس

فانهم نالوه فعلا وبه ختموا ليوم الفداء (١٣ع). أن كل مسيحي حقيقي قد نال عطية الروح القدس، ولكن إرادة الله هي أنه يهبنا بالروح القدس الحكمة لفهم وإدراك الإعلانات الإلهية التي أو دعها لنا في الكتاب المقدس الذي هو كلمة الله. أن كل الكتاب هو موحى به من الله، ولكن الإنسان الطبيعي لا يستطيع أن يقبل ما يعلنه روح الله في كلمته (١كو ٢ : ١٤و ٨) أما المؤمن فإن الروح القدس ساكن فيه وهو الذي يهبه الحكمة والفهم لإدراك ما تعلنه كلمة الله. ثم لنلاحظ أن الرسول يصلى لأجل المؤمنين لكي يعطوا أمرين متميزين " الحكمة " و " الإعلان " أعنى أن الروح يعمل عملا إلهيا في الذهن فيهبه " الحكمة " التي بها يستطيع أن يفهم ويدرك " الإعلان " الإلهي أي كلمة الله، إذ أنه لا يمكن فهم هذه الكلمة إلا

وغاية أو هدف هذه الدعوة هو " الرجاء المبارك " والصالح – الرجاء الذي لا يخزي ولقد رأينا في مستهل هذا الاصحاح كيف أن الله الاب قد " باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة وهذا هو " رَجَاءُ دَعْوَتِهِ " انه في يوم قريب سنكون مثله (أي مثل المسيح) وسنراه كما هو . انه لهذه الغاية اختارنا الله ولا بد أن يحقق لنا ذلك. لقد دعانا الله لحالة الكمال عندما نكون مشابهين صورة ابنه يسوع المسيح (رو ٨ : ٢٩ ، ١يو ٣ : ٢و ١). دعانا وأعطانا هذا الرجاء – رجاء فداء أجسادنا. فبعد قليل سيأتي الرب يسوع المسيح ثانية وعندئذ سنتغير إلى صورته المجيدة. أن رجاء مجيدا كهذا من شأنه أن يفصل قلوبنا من هذا العالم ومن الأشياء التي في العالم كي نحيا حياة القداسة " وَكُلُّ مَنْ عِنْدَهُ هَذَا الرَّجَاءُ بِهِ، يُطَهِّرُ نَفْسَهُ كَمَا هُوَ طَاهِرٌ " (١يو ٣ : ٣) هذا هو رجاء جميع أولاد الله. انه، له المجد، سيأتي ليأخذ كل خاصته اليه. آمين. تعال أيها الرب يسوع.

* * * * *

ولا بد من الإشارة هنا مرة أخرى إلى هذه الحقيقة المباركة، وهي أن عظمة قدرة الله الفائقة التي أقامت المسيح من الأموات وأجلسته عن يمين الاب فوق كل رئاسة وسلطان وقوة و.. الخ هي نفس القدرة التي من نحننا نحن المؤمنين. ليت القارئ العزيز يمسك بهذا الحق الثمين ويفرح ويتمتع به عمليا وباستمرار.

ويرينا الروح القدس في هذا الاصحاح كيف أنه كان لازما وضروريا أن يخلق الله خليفة جديدة، أعنى أن يخلق من جديد الإنسان الذي خلقه أولاً على صورته (تك ١ : ٢٧) ولكنه بسبب عصيانه سقط من المركز الرفيع الذي أو جده الله فيه، لذا في ملء الزمان تجسد ابن الله المبارك، إذ ولد من عذراء وعاش عيشة الطهارة الفريدة ومات موته الكفاري فوق الصليب وقام من بين الأموات وذلك ليرد إلى الله هذه الخليفة الساقطة، وهذا ما يبينه لنا

روح الله في هذا الأصحاح. انه يريدنا حاجتنا كبشر ساقطين إلى أن نصير خليفة جديدة راسما أمامنا صورتنا الزرية والبغيضة التي كنا عليها قبل أن خلصتنا نعمة الله الغنية.

تعلمنا كلمة الله أنه يوجد ثلاثة أنواع من الموت : (١) الموت الجسدي، أي انفصال الروح عن الجسد (١كو١٥ : ٢١ و٢٢) (٢) الموت الروحي أي انفصال الإنسان عن الله (٢ : ١)، (٤ : ١٨، ١يو٥ : ١٢) (٣) الموت الأبدي أي الطرد من محضر الله والطرح في بحيرة النار (١كو١٦ : ١٠ و٩، ٢تس١ : ٩، رؤ٢٠ : ١٥).

أما في هذا الفصل (١٤) فإن الرسول يتكلم عن النوع الثاني أعنى الموت روحيا. وكلمة الله تعلن بكل وضوح في فصول عديدة أن كل البشر هم أموات روحيا، وسواء صدق الناس ذلك أو لم يصدقوا فهم أموات روحيا " أموات بالذنوب والخطايا " وبدون قبول المسيح الذي هو " الحياة الأبدية " فإنهم يبقون في حالة الموت روحيا (تك٢ : ١٧، رو٥ : ١٢) ثم يموتون موتا جسديا وفي النهاية يموتون موتا ابديا – " الموت الثاني " (عب٩ : ٢٧، رؤ٢٠ : ٦) ومهما حاول البشر أن يصلحوا ذواتهم لكي يحيوا لله فلا فائدة لأنهم أموات روحيا، قال واحد من رجال الله " إنك لا تستطيع أن تحيا لله ما لم تأخذ حياة من الله "

بقى علينا أن نتأمل في المجموعة الثلاثية الرابعة والأخيرة أعنى في النتائج الثلاث المجيدة للوسائل الإلهية الثلاث التي سبق التأمل فيها – هذه النتائج التي تعتبر بحق معجزات الرحمة والمحبة والنعمة.

ثم لنراع انه لا يقول " لَأَنْتُمْ بِالنِّعْمَةِ مُحَلِّصُونَ " كأنه شيء مستقبل أو " ربما

" أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعْوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عَهْدِ الْمَوْعِدِ " فلم يكن للامم نصيب في بركات وامتيازات شعب الله القديم، لأن الله أعطى المواعيد أولاً لابراهيم وتعهده له

ان ربنا يسوع المسيح، الذي هو سلامنا الثابت والأبدي، هو " الَّذِي جَعَلَ الْإِثْنَيْنِ وَاحِدًا " أعنى الذي جعل المؤمنين به من الفريقين واحدا – المؤمنين من الختان ومن الغرلة، من اليهود الذين كانت لهم عهود الموعد والأمم الذين كانوا غرباء عن عهود الموعد. كل الذين آمنوا بالمسيح من هؤلاء ومن أولئك جعلهم واحدا لأنه مات فوق الصليب لأجل الجميع.

" لِكَيْ يَخْلُقَ الْإِثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلَامًا " ان الله – الابن الازلي – الكلمة، الذي كل شيء كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان، قد خلق الإنسان الأول من تراب الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة وسلطة على أعمال يديه، ولكنه فشل في الاحتفاظ بامتيازاته بسبب عصيانه، أما الآن فقد خلق الرب يسوع في نفسه إنسانا واحدا جديدا، فكل المؤمنين به من اليهود والامم قد كون منهم إنسانا واحدا جديدا " الكنيسة التي هي جسده "

والذي هو رأسها الممجد. ويجب أن لا يغرب عن البال أن هذا مقام جديد لم يحصل عليه قبلاً ولم يعرف عنه شيئاً لا الأُمم البعيد ولا اليهودي القريب، فالأُمم الذين كانوا في حالة البعد الشاسع عن الله، واليهود الذين كانوا قريبين منه بسبب امتيازاتهم في تدبير العهد القديم – الكل بسبب إيمانهم بالمسيح يشتركون معا في التمتع ببركات لم يحصلوا عليها من قبل، فذلك الانفصال أو الحاجز القديم قد تلاشى وصار الجميع بنعمة الله واحداً في المسيح يسوع. ولكن متى بدأ ذلك؟ هل كان لمؤمني العهد القديم نصيب في ذلك – أعنى هل كانوا متحدين معا كجسد المسيح أي ككنيسة الله على الأرض؟ اننا لا نقرأ في كل العهد القديم عن وجود "جسد واحد" ولو أننا نجد صوراً رمزية له في العهد القديم. ولكن على أساس صليب المسيح تكون هذا الجسد أي الكنيسة في يوم الخمسين. عندئذٍ فقط ابطل الله العداوة. أما قبل ذلك فلم يكن الأمر كذلك لأن الله أمر الإسرائيليين بأن ينفصل عن الأُمم، والرب يسوع نفسه، قبل موته فوق الصليب، قد أيد ذلك، فانه منع تلاميذه من الذهاب إلى أية مدينة من مدن الأُمم (مت ١٠ : ٦) كما أنه قال للمرأة الفينيقية بأنه لم يرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة لقد أتت تلك المرأة إليه مستندة إلى مواعيده باعتباره "ابن داود" ولكنه

"وَأَهْلَ بَيْتِ اللَّهِ" ما اسمي هذا! فاننا لسنا رعية مع القديسين فقط بل صرنا من العائلة السماوية، وكما أننا اتحدنا بالمسيح كأعضاء جسده، كذلك اتحدنا بالله الاب كأولاد أحياء فصرنا في مقام اسمي من مقام الملائكة، فاننا لا نقرأ ابداً في كلمة الله أن الملائكة هم "أهل بَيْتِ اللَّهِ" انهم خدام في هذا البيت "أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحاً خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لِأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرْتُفُوا الْخَلَاصَ!" (عب ١ : ١٤) وما أعظم الكلفة التي تكلفها الله لكي يصيرنا من أهل بيته، ولكي يأتي بنا إلى مجده الأبدي! "لَأَنَّهُ لَأَقْ بِذَلِكَ (أي الله) الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءَ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلَاصِهِمْ (أي المسيح) بِالْأَلَامِ" (عب ٢ : ١٠).

أنك إذا قلبت كل صفحات العهد القديم لن تجد فيها كلمة واحدة عن هذا السر المبارك، والرسول يؤكد هذه الحقيقة في هذا الفصل الذي أماننا، كما يشير إليها في رسالته إلى أهل رومية (ص ١٦ : ٢٥-٢٧) "وَلِلْفَاقِرِ أَنْ يُنَبِّتَكُمْ حَسَبَ إِنْجِيلِي وَالْكَرَازَةَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ حَسَبَ إِعْلَانِ السِّرِّ الَّذِي كَانَ مَكْتُوماً فِي الْأَرْمَنَةِ الْأَرْزَلِيَّةِ وَلَكِنْ ظَهَرَ الْآنَ وَأُعْلِمَ بِهِ جَمِيعُ الْأُمَمِ بِالْكَتُبِ النَّبَوِيَّةِ (أي كتابات العهد الجديد النبوية) حَسَبَ أَمْرِ الْإِلَهِ الْأَرْزَلِيِّ لِإِطَاعَةِ الْإِيمَانِ" حسب أمر الإله الأزلي لإطاعة الإيمان، لله الحكيم وحده ببسوع المسيح له المجد إلى الأبد. آمين "

* * * * *

(٦) " أَنْ الْأَمَمَ شُرُكَاءَ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ بِالْإِنْجِيلِ "

ثم يرينا الرسول بكل جلاء أن خدمته للإنجيل كانت حسب الموهبة التي أنعم الله بها عليه وذلك حسب فعل قوته (أي قوة الله) هذا هو مقياس الخدمة الصحيحة لله " إِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ فَكَأَقْوَالِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَخْدُمُ أَحَدٌ فَكَأَنَّهُ مِنْ قُوَّةٍ يَمْنَحُهَا اللَّهُ، لِكَيْ يَتَمَجَّدَ اللَّهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِبِسُوءِ الْمَسِيحِ، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى ابَدِ الْأَبَدِينَ. آمِينَ " (١بطء : ١١).

" مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ لِأَنَّ الْأَيَّامَ شَرِيرَةٌ " أي أن من واجب المسيحي الحقيقي أن يغتنم الفرص فلا تفلت من يديه. يجب أن يغتنمها في الشهادة لسيدته ولخدمته في كل حين. أن الوقت يمر بسرعة واللحظة التي تنتهي لا يمكن إرجاعها لقد مضى يوم أمس ولا يمكن إعادته، ولا بد أن يمضي هذا اليوم أيضاً ومن سيكون في مقدوره إرجاعه مرة أخرى؟ والعمر كله مهما طال فلا بد أن ينتهي سريعاً " أَيَّامٌ سَنِيئًا هِيَ سَبْعُونَ سَنَةً وَإِنْ كَانَتْ مَعَ الْقُوَّةِ فَتَمَانُونَ سَنَةً وَأَفْخَرُهَا نَعَبٌ وَبَلِيَّةٌ لِأَنَّهَا تُفَرِّضُ سَرِيعاً فَنَظِيرُ " (مز ٩٠ : ١٠) فالحكيم هو الذي يفتدى الوقت مستخدماً كل لحظة لمجد سيده قبل أن تفلت من بين يديه.

أيها الاحباء أن مجيء الرب أصبح قريباً جداً، والوقت الذي فيه نستطيع أن نمجده ونشهد له ونخدمه هو فرصة الحياة الحاضرة. اذن لنفقد الوقت. لنعمل " مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ " (يو ٩ : ٤) " إِذَا يَا إِخْوَتِي الْأَجَبَاءُ كُونُوا رَاسِخِينَ غَيْرَ مُتَرَعِّزِينَ مُكْثِرِينَ فِي عَمَلِ الرَّبِّ كُلِّ حِينٍ عَالِمِينَ أَنْ تَعَبَكُمْ لَيْسَ بَاطِلاً فِي الرَّبِّ " (١كو ١٥ : ٥٨).

" لِأَنَّ الْأَيَّامَ شَرِيرَةٌ " وهذا ما يحفزنا على أن يكون سلوكنا بالتدقيق، وعلى افتداء الوقت وانتهاز كل فرصة للشهادة لسيدتنا ولخدمته.

إن الباب مفتوح أمامك اليوم للشهادة للرب ولخدمته فلا تتوان عن افتداء هذا الوقت، فمن يدرى أن كان هذا الباب سيستمر مفتوحاً للغد أم سيكون مغلقاً لأي سبب من الاسباب. اذن يجب علينا أن نفتدى الوقت لأن الأيام شريرة.

* * * * *

إن كثيرين من غير المؤمنين يتلمسون الفرح الوهمي والسرور الكاذب بواسطة الخمر الذي فيه الخلاعة – المسكر الذي يسلبهم وعيهم ويفقدهم الكرامة ويتلف عقولهم وأجسادهم، وما أكثر التحذيرات التي لنا في كلمة الله من تعاطي المسكرات " الْخَمْرُ مُسْتَهْزِئَةٌ. الْمُسْكِرُ عَجَاجٌ وَمَنْ يَتَرَنِّحُ بِهِمَا فَلَيْسَ بِحَكِيمٍ " (أم ٢٠ : ١) " لَا تَكُنْ بَيْنَ شَرِييِ الْخَمْرِ بَيْنَ الْمُتَلَفِينَ أَجْسَادَهُمْ " (أم ٢٣ : ٢٠) " لِمَنِ الْوَيْلُ؟ لِمَنِ الشَّقَاوَةُ؟ لِمَنِ الْمُخَاصِمَاتُ؟ لِمَنِ الْكَرْبُ لِمَنِ الْجُرُوحُ بِلا سَبَبٍ؟ لِمَنِ ازْمِهْرَارُ الْعَيْنَيْنِ؟ لِلَّذِينَ يَدْمِنُونَ الْخَمْرَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ فِي طَلَبِ

الشَّرَابِ الْمَمْرُوجِ. لَا تَنْظُرْ إِلَى الْحَمْرِ إِذَا احْمَرَّتْ حِينَ تَظْهَرُ حَبَابُهَا فِي الْكَأْسِ وَسَاعَتْ مُرْقَرَةً. فِي الْآخِرِ تَلْسَعُ كَالْحَيَّةِ وَتَلْدَغُ كَالْأَفْعُوانِ. عَيْنَاكَ تَنْظُرَانِ الْأَجْنِيَّاتِ وَقَلْبُكَ يَنْطِقُ بِأُمُورٍ مُلْتَوِيَةٍ. وَتَكُونُ كَمُضْطَجِعٍ فِي قَلْبِ الْبَحْرِ أَوْ كَمُضْطَجِعٍ عَلَى رَأْسِ سَارِيَةٍ. يَقُولُ : «ضَرَبُونِي وَلَمْ أَتَوَجَّعْ. لَقَدْ لَكَاوَنِي وَلَمْ أَعْرِفْ. مَتَى أَسْتَيْقِظُ أَعُودُ أَطْلُبُهَا بَعْدُ؟ » (أم ٢٣ : ٢٩-٣٥) وغير ذلك كثير في كلمة الله، وهذا ما لا يليق بالمسيحي الحقيقي بل بالحري يجب عليه أو هو إمتيازه أن يمتلىء بالروح القدس. أن هذا ما يجب أن يكون عليه المؤمن باستمرار. ومما يجب ملاحظته أن الامتلاء بالروح القدس ليس إختباراً استثنائياً لفرد أو لجماعة معينة من المؤمنين بل هو امتياز لكل المؤمنين الحقيقيين أو بالحري هو الحالة الدائمة التي يجب أن يكونوا فيها.

على أنه يجب أيضاً أن نراعى هذه الحقيقة الهامة وهي أن الحث على الامتلاء بالروح القدس ليس معناه أننا نصلى ونصلى طالبيين " معمودية الروح القدس " فإن كل المؤمنين قد اعتمدوا بالروح القدس " لَأَنَّا جَمِيعًا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضًا اعْتَمَدْنَا إِلَى

* * * * *

كتب الرسول بولس للمؤمنين في كولوسى هذه الكلمات " مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ وَنَسَائِيحَ وَأَغَانِيٍّ رُوحِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ وَمُرْتَلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ " (ص ٣ : ١٦) وهنا نجد التسبيح والترنيم والأغاني الروحية هي ثمرة سكنى كلمة الرب بغنى في المؤمنين بينما في رسالة أفسس هذه نجد أنها ثمرة الإمتلاء بالروح، وهذا معناه أن المسيحي الممتلىء بكلمة الله هو بعينه المسيحي الممتلىء بالروح القدس، لأنه متى سادت كلمة الله على حياتنا وسلطنا في الطاعة القلبية لها فإن الروح القدس يملأ كياناتنا واضعاً أمامنا كمالات ربنا يسوع المسيح الذي هو " ابرع جمالا من بنى البشر " فتفيض قلوبنا بالتسبيح والترنم له.

" مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا " أعنى أننا نجتمع معا بنفس واحدة باسم ربنا يسوع المسيح ولنا فكر واحد وهوبنيان بعضنا بعضا والتغنى والترنم للرب "

" بِمَزَامِيرَ " كان شعب الرب في العهد القديم يرنمون معا من سفر المزامير، ولا شك في أن هذا السفر يتضمن أقوالا وتعبيرات جميلة توافق إختبارات المسيحي في سياحته في هذا العالم. ولأن لغة هذا السفر لا تسمو إلى المقام السماوي للمسيحي وامتيازاته في تدبير النعمة الحاضر، إلا أننا نجد في أجزاء كثيرة منه ما نرنم به مما يوافق أحوال وظروف وإختبارات متنوعة في حياتنا الحاضرة.

ولنراع أن هناك ارتباطا بين العدد السابق " خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي خَوْفِ اللَّهِ " وبين النصائح الثمينة الموجهة للعائلات المسيحية بشأن العلاقات المقدسة والواجبات المتبادلة

بين أفرادها، لذا يبدأ الرسول بالكلام عن أهم العلاقات في البيت المسيحي، أعنى بين الزوجة وزوجها، فلزوجات يقول " أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرَجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ " هذا التعليم الواضح والصريح ليس مقبولا عند الكثيرات ولا سيما في عصرنا الحاضر – عصر المدنية التي جرفت الكثيرين في البعد عن الله وعن كلمته، وبصفة خاصة بين النساء المثقفات، ولكن واجب المرأة المسيحية هو

* * * * *

لقد أحب المسيح الكنيسة واسلم نفسه لأجلها. ما أمجد هذا العمل وما ابرك نتائجه، وما أحدى ثماره! فالكنيسة ترى الآن أمام الله بلا خطية، لأن الخطايا

* * * * *

الجزء السادس من سلاح الله الكامل

* * * * *

ليت كل مسيحي حقيقي يضع يده على هذه الثروة الروحية المجيدة ويتمتع عمليا واختباريا بكل بركة روحية في السماويات.

* * * * *

(٤) " كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ "

أن موضوع الاختيار هو من الحقائق الإلهية الواضحة كل الوضوح في كلمة الله والمرتبطة بقصد الله الأزلي، وليس للإنسان أي دخل سوى الله، قصد تعالى " أن يأتي بأبناء كثيرين إلى المجد " ولكن كيف كان ذلك ممكنا بعد دخول الخطية إلى العالم ووجودها فيهم وعليهم؟ لقد كان ضروريا أن الذين يقربهم الله اليه ويوجدتهم في اقرب مكان إلى قلبه، يكونون " قِدِّيسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ قُدَّامَهُ " وهذا ليس من عمل الإنسان بل هو عمل الله على أساس الفداء بدم ابنه الحبيب يسوع المسيح. لقد " أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأجلها، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّراً إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ، لِكَيْ يُخَضِّرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لَا دَنَسَ فِيهَا وَلَا غَضَنَ أَوْ شَيْءٍ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلَا عَيْبٍ " (اف ٥ : ٢٥-٢٧) هذا هو مركز المسيحي الحقيقي. انه " في المسيح " والله لم يكن ممكنا أن يراه كقديس وبلا لوم قدامه لولا انه " في المسيح " انه تبارك اسمه، هو اقل من ذلك؟ حاشا. والله يرى الخاطيء الاثيم الذي احتمى في المسيح وفي كفاية عمله كما يرى المسيح نفسه. أن الله يرانا قديسين وبلا لوم قدامه " في المحبة " أعني محبة الله الاب والرب يسوع المسيح " الله محبة " وربنا يسوع المسيح هو " ابن محبته " هو " صورة الله غير

المنظور – بهاء مجده ورسم جوهره " هو الإعلان الإلهي الكامل لمحبة الله – هو المحبة المتجسدة " اللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. الابن الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الْآبِ هُوَ خَبَّرَ (اي اعلنه) " (يو ١ : ١٨).

والذي يسعد المؤمنين في المجد ليس فقط صيرورتهم قديسين وبلا لوم، ولا وجودهم في دوائر المجد الأبدي فحسب، بل بالحري " المحبة " فمحبة الله الاب والرب يسوع المسيح ستكون موضوع غبطة وهناء القديسين هناك كما انها موضوع بهجتهم هنا على الأرض.

إن كنا ونحن في هذا العالم نرى كقديسين وبلا لوم، فإن ذلك سيتحقق عمليا في المجد، وسيستعلن أمام الخلائق بأسرها عند ظهور ربنا يسوع " مَتَى اظْهَرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَجَيِّنْذُ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ فِي الْمَجْدِ " (كو ٣ : ٤). هناك " نَكُونُ مِثْلَهُ " هناك أيها القديسون سيوقفكم الله أمام مجده " بِلَا عَيْبٍ فِي الْإِبْتِهَاجِ " " الْإِلَهُ الْحَكِيمُ الْوَحِيدُ مُخْلِصُنَا، لَهُ الْمَجْدُ وَالْعِظَمَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالسُّلْطَانُ، الْآنَ وَإِلَى كُلِّ الدَّهْرِ. آمِينَ " (يه

* * * * *

وهناك حقيقة أخرى وهي اننا الآن قديسون وبلا لوم من حيث مقامنا ومركزنا امام الله، بينما من الناحية العملية " لَأَنَّنَا فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ نَعْتَرُ جَمِيعَنَا " (يع ٣ : ٢) فكم من تقصيرات تبدو في حياتنا (١ يو ٨ - ١٠، ٢ : ١) وكم من المرات، نحن الذين بلا لوم قدامه " لَأَمَتْنَا قُلُوبُنَا " (١ يو ٣ : ٢٠) الا أن من واجبنا أن نصحو ونسهر لكي نسلك " كَمَا يَلِيقُ بِقَدِيسِينَ " (١ كو ٥ : ٣) – ولنحيا بلا لوم " إِنْ لَمْ تَلْمُنَا قُلُوبُنَا فَلَنَا ثِقَةٌ مِنْ نَحْوِ اللَّهِ. وَمَهْمَا سَأَلْنَا نَنَالُ مِنْهُ، لَأَنَّنَا نَحْفَظُ وَصَايَاهُ، وَنَعْمَلُ الْأَعْمَالِ الْمَرْضِيَّةَ أَمَامَهُ " (١ يو ٣ : ٢١ و ٢٢).

* * * * *

ومع أن موضوع الاختيار هو حق إلهي ثابت و واضح كل الوضوح في كلمة الله، الا أن هذا لا يتعارض مع ارادته تعالى من نحو خلاص جميع الناس، ولا مع مسئولية الإنسان أمامه تعالى، فهو " يُرِيدُ أَنْ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يَقْبَلُونَ " (١ تي ٢ : ٤) لذا هو " الْآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا " (١ كو ١٧ : ٣٠) إذ " لَا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أَنَسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبَلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ " (٢ بط ٣ : ٩) فلا عذر للإنسان الذي يرفض دعوة الله المقدمة اليه. أن الرب له المجد يدعو الجميع أن يأتوا اليه، ومن يقبل اليه لا يخرج خارجا. اذن من يهلك فإن هلاكه هو بسبب رفضه للمسيح، لأن الله لم يعين احد للدينونة أو الهلاك الأبدي.

(٥) " إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَا لِلتَّائِبِينَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ "

رأينا في تأملنا في العدد الثالث أن الله هو إله " ربنا يسوع المسيح وهو أيضاً " ابو " ربنا يسوع المسيح، فهو كإله ربنا يسوع المسيح قد اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه، ولكنه كالاب قد عينا للتبني. فهو الاب ذو العواطف الحبية الذي قصد منذ الأزل بأن يأتي بأبناء ليكونوا معه في المجد الأبدي، فلم يكتف بأن اختارنا منذ الأزل لنكون قديسين وبلا لوم قدامه بل قربنا اليه، لا كمجرد عبيد بل كأبناء – أبناء الآن وأبناء في المجد الأبدي – هناك سوف لا نقف أمامه كالملائكة " العاملين مرضاته "بل كأبناء سنتمتع بعواطف المحبة الابوية. هذا هو مقامنا – مقام البنين لإله وابي ربنا يسوع المسيح، والرب نفسه هو البكر بين اخوة كثيرين. انه (الرب يسوع) كالابن الازلي للاب هو وحده الفريد في ذلك، ولكن سروره له المجد هو في أن يدعونا اخوة وذلك بعد قيامته من الأموات وليس قبل ذلك.

أننا، ونحن هنا على الأرض التي فيها تلوثنا بخطايانا والتي فيها كنا عبيدا للشيطان، إذ آما بالرب يسوع المسيح و وضعنا ثقتنا في كفاية عمله فوق الصليب قد تركنا خلفنا كل ما كنا عليه ودخلنا في هذه النسبة المباركة والمجيدة مع الله كبنين " لَأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ بَيْنٍ إِخْوَةً كَثِيرِينَ " (رو ٨ : ٢٩)

لقد عينا الاب للتبني بيسوع المسيح " لنفسه " تبارك اسم إلهنا وأبينا المحب فإنه قد عينا لنكون أبناء له " لنفسه " ولمجده.

* * * * *

إن كلمة " التبني " لا تجيء الا في بعض رسائل الرسول بولس، ولنلاحظ اننا قد اخذنا فعلا روح التبني " إذ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضاً لِلْخَوْفِ بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ النَّبِيِّ الَّذِي بِهِ نَصْرُحُ : «يا ابا الاب! " (رو ٨ : ١٥) وذلك بفضل عمل ربنا يسوع المسيح الذي مات عنا فوق الصليب لكي ننال التبني " ثُمَّ بِمَا أَنْكُمْ أَبْنَاءَ، أَرْسَلَ اللَّهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخاً : «يا ابا الاب». إذا لَسْتُ بَعْدُ عَبْدًا بَلْ ابْنًا، " (غل ٤ : ٤-٧) لقد أخذنا الروح القدس الذي هو " روح التبني " ولكننا ننتظر ونتوقع الوقت المجيد الذي فيه نحصل على التبني الذي سيشمل اجسادنا الترابية عندما يأتي المخلص " الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ " (في ٣ : ٢٠ و ٢١) هذا هو رجاء المسيحي الحقيقي، " نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بِأَكُورَةِ الرُّوحِ نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضاً نَحْنُ فِي أَنْفُسِنَا مُتَوَقِّعِينَ النَّبِيِّ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا " (رو ٨ : ٢٣) لقد نلنا الآن روح التبني من الله الذي هو " لابي الأرواح " (عب ١٢ : ٩) ولكننا متوقعون التبني فداء اجسادنا. ليس المقصود هو اننا في المجد سنكون أبناء أكثر مما نحن الآن " أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، الْآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ " (١ يو ٣ : ٢) ولكن الرسول يوحنا يضيف إلى ذلك

قوله " ولم يظهر بعد ماذا سنكون " ولكن سيجيء الوقت (وهو قريب) الذي فيه سيستعلن اما الخليقة بأسرها لمجد الله، أننا أبناء الله حقاً عندما نكون مثله (اي مثل المسيح).

* * * * *

لقد عيننا الاب للتبني ببسوع المسيح لنفسه وذلك " حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ " اي انه لم يكن مجرد قصد أزل أن الله اختارنا لنكون قديسين وبلا لو وانه عيننا لتبني ولكن لأن في ذلك سروره أيضاً : لقد سرت مشيئته بأن يقربنا اليه لا كعبيد بل كبنين، وذلك " لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ " (٦٤). أن هذه المشيئة التي فيها مسرته هي مشيئة أزلية، فقد قال المسيح (الذي هو الحكمة الأزلية) " مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَرَّرَتِ الْجِبَالُ قَبْلَ التَّلَالِ اِبْدِئْتُ (اي اظهرت)..... كُنْتُ عِنْدَهُ صَانِعاً وَكُنْتُ كُلَّ يَوْمٍ لِدُنَّتِهِ فَرَحَةً دَائِماً قُدَّامَهُ. فَرَحَةً فِي مَسْكُونَةِ أَرْضِهِ وَلَدَاتِي مَعَ بَنِي آدَمَ " (ام : ٢٢-٣١) ثم عند ولادته في هذا العالم رنم " جُمُهورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللَّهَ وَقَائِلِينَ : ١٤ » «لَمَجْدُ اللَّهِ فِي الْأَعَالِي وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ " (لو : ١٣ و ١٤) فكانت مسرة الاب والابن منذ الازل بنا نحن الذين اختارنا وعيننا للتبني. أن أعظم ملاك في السماء لن يكون له نصيب في مجد الإنسان الخاطيء الأثيم الذي خلصته نعمة الله الغنية.

* * * * *

(٦) " لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ "

أن هذه الكلمات مرتبطة بالأعداد السابقة (٣-٥) – هذه الأعداد التي هي بمثابة سلسلة ذهبية ثمينة من المشورات الإلهية الغنية، والتي كلها " لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ " فالله قد باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة، وعيننا للتبني – اي صيرنا أبناء له، وذلك " لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ " وسيجيء قريباً اليوم الذي فيه ستكون الكنيسة الممجدة موضوع تعجب الملائكة والبشر. أن الخلائق بأسرها ستري عجايب محبة الله غير المحدودة ونعمته الفائقة من نحو البشر الخاطئة.

لقد قصد الله أن تسمو وتتفاضل نعمته المجيدة من نحو الخطاة المساكين لتكون موضوع مدح من الكائنات بأسرها إلى اباد الدهور كلها. صحيح أن غنى هذه النعمة لا يعرفه الآن سوى الذين افتقدتهم وأدركتهم النعمة، ولكن بعد قليل ستستعلن هذه النعمة " مَتَى جَاءَ لِيَتِمَّجَدَ فِي قَدِيسِيهِ وَيَتَعَجَّبَ مِنْهُ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ " (٢ تس : ١٠). أن مجد هذه النعمة سيكون موضوع تعجب كل الكائنات بعدما ينتهي دور الكنيسة على الأرض – أعني عندما يضم اليها آخر عضو من المعينين للحياة الأبدية. عندئذ ستؤخذ الكنيسة للمجد لتكون مع

الرب، ثم إذ يستعلن المسيح أمام الخليقة بأسرها عندئذٍ سيعاين سكان السماء والأرض والجحيم سمو عظمة نعمة الله في الكنيسة الممجدة والتي هي أقرب الخلائق إلى الرب يسوع وإلى قلبه وعواطفه. ستتعجب هذه الكائنات عندما يرون العروس امرأة الحمل معه ومشاركة له في مجده وفرحة.

* * * * *

لقد أنعم الله علينا بهذه النعمة " في المَحْبُوبِ " ذلك لأن محبته هي النبع الذي منه جرت إلينا وفاضت علينا هذه النعمة، لذا لا يقال هنا بأنه أنعم بها علينا " في المسيح " مع أن هذا حق، ولكن " في المَحْبُوبِ " * لقد كان هناك شخص واحد الذي أشبع قلب الله والذي حقق كل رغبة وأشواق قلبه. ذلك هو المسيح – المحبوب الوحيد بكيفية لا يشاركه فيها أي كائن سواه. أن كنا محبوبين فذلك لأننا فيه فقط أي " في المَحْبُوبِ " حقاً ما اسمى هذه النعمة وما أمجدها! لقد أظهر الله لنا نعمة ومحبة مقياسها المسيح – لقد قال له المجد في صلاته لآبيه " وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي " (يو ١٧ : ٢٣).

* هذه هي المرة الوحيدة في كل الترجمة العربية للكتاب المقدس التي فيها يقال عن ربنا يسوع " المحبوب "

إننا بكل جرأة مقدسة وبكل خشوع نقول أن الله لا يستطيع أن يعمل لأجلنا أكثر من ذلك كما أنه لا يمكن أن يعمل أيضاً أقل من ذلك. لقد رفعنا إلى اسمى ما يمكن أن تصل إليه نعمته الغنية ومحبته الفائقة وذلك " في المَحْبُوبِ " ولأجله. لاسمه المعبود كل المجد. هلوليا.

* * * * *

(٨و٧) " الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ، الَّتِي أَجَزَلَهَا لَنَا بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَفِطْنَةٍ "

وصلنا الآن إلى الجزء الثاني من هذه التسبحة الشجيرة (١ : ٧-١٢) ولقد راينا في الجزء الأول منها (١ : ٣-٦) مشورات نعمة الله الاب في الأزل القديم، أما في الجزء الثاني من هذه التسبحة فأننا نرى الوسيلة الإلهية لتحقيق ما قصدته هذه النعمة الغنية بواسطة الابن ربنا يسوع المسيح في الزمان الحاضر " الذي فيه لنا الفداء * بدمه غفران الخطايا " لقد كنا أسرى وعبيدا تعساء للشيطان والخطية ولكننا افتدينا وتحررنا من هذه العبودية المرة والقاسية بالثمن الكريم الذي دفع فينا " بدمه " أن عقوبة الخطية هي الموت (تك ٢ : ١٧)، (رو ٦ : ٢٣) ولا يمكن انقاذ حياة الإنسان الخاطيء من الموت إلا بواسطة بذل حياة أخرى ليست فيها خطية نيابة عنه، وبما أن نفس (أي حياة) الجسد هي في الدم (لا ١٧ : ١١) لذلك

أتى ابن الله الرب يسوع المسيح إلى العالم وإذ صار إنساناً بذل نفسه (أي حياته) فدية عن كثيرين (مت ٢٠ : ٢٨) وكل الذين يضعون ثقتهم فيه وفي كفاية عمله ينالون اليقين الكامل بنوالهم الفداء أي عتقهم من عبوديتهم وذلك بواسطة الدم الكريم.

* يشار إلى الفداء في هذه الرسالة ثلاث مرات (١ : ٧ و ١٤ ، ٤ : ٣٠) والفداء المشار إليه في (٧٤) أعنى غفران خطايانا قد حصلنا عليه فعلاً. أما الفداء في المرة الثانية أعنى. فداء المقتنى " فالمقصود به امتلاك ميراثنا في المجد مستقبلاً، بينما الفداء في المرة الثالثة المقصود به فداء أجسادنا عند مجيء الرب حيث نكون مثله.

وبالفداء أيضاً سدد الرب يسوع للعدالة الإلهية الدين الذي كان علينا الذي كنا عاجزين عن وفائه (لو ٧ : ٤١ و ٤٢).

* * * * *

إن كنا في المسيح نرى مركزنا ومقامنا وبركاتنا فاننا فيه أيضاً نجد الفداء الذي يؤهلنا نحن الأثمة لهذه البركات. نعم لقد كنا أثمة وفجاراً ولم نكن نملك شيئاً سوى خطايانا ولكن تبارك اسم إلهنا من أجل الفداء الذي لنا في ربنا يسوع المسيح وجدير بالملاحظة أن الروح القدس لا يشير إلى الفداء وغفران الخطايا إلا بعد أن سما بنا إلى المقام السماوي الذي أوصلنا الله نفسه إليه، وذلك لكي يؤكد لنا أن قصد الله ومشيبته المباركة كانا في فكره منذ الازل وبالتالي قبل خلق الإنسان وقبل أن تسوده الخطية. إنه قصد أزلي لا شأن فيه للإنسان ولا لحالته كخاطيء، ولكنه كخاطيء احتاج إلى الفداء بالدم الكريم لغفران خطاياه.

* * * * *

إنه وإن كان فداء أجسادنا وفداء المقتنى أي ميراثنا سنحصل عليهما عند مجيء ربنا يسوع المسيح الثاني، إلا اننا قد حصلنا الآن على فداء كامل لنفوسنا، ولا يستطيع المؤمن أن ينال في المستقبل فداء أو غفراناً لخطاياه أكثر مما ناله الآن، أو بالحري لا يمكن أن يعمل الله لمحو الخطية وابطالها أكثر مما عمل. لقد بذل ابنه الوحيد الذي سفك دمه الثمين على الصليب. فهل يستطيع الله، له المجد، أن يعمل أكثر من ذلك لمحو الخطية من أمام نظره؟ ياله من حق ثمين يملأ الضمير سلاماً وراحة والنفس فرحاً وعزاء!

صحيح أننا عرضة للسقوط في الخطية (الامر الذي يجب أن نسهر ضده) ولكن السقوط في الخطية يجب أن يقود المؤمن لا إلى الخوف من الدينونة الأبدية بل لإدانة النفس. ومن الأهمية بمكان أن يراعي المؤمن الفرق بين هذين الأمرين : فمن جهة الدينونة الأبدية فإن الخطية بالنسبة للمؤمن، قد دينت في صليب المسيح وبذا تلاشت

إلى الأبد، أما من جهة إدانة النفس فإن أول واجب على المؤمن إذا أخطأ هو التذلل والاعتراف أمام الله. هذا ولا يمكننا أن ندين أنفسنا إدانة صحيحة إلا إذا أدركنا أولاً بأن دينونة الله للخطية قد وقعت فعلاً، بالنسبة لنا، على المسيح فوق الصليب.

ثم لنلاحظ عظم الثمن الذي دفع لفدائنا " الذي فيه لنا الفداء بدمه " فلم يكن يكفي أي ثمن أقل من ذلك لفدائنا وعتقنا وانقاذنا من اللعنة والدينونة التي كانت تهددنا. أن لعمل المسيح فوق الصليب وللدّم الثمين الذي سفك هناك قيمة غير محدودة تكفي لفداء جميع البشر لو أتوا إلى الله محتمين في قيمة وفاعلية ذلك الدم الثمين ويجب أن يكون واضحاً وجلياً أمام الجميع أن خلاص الخاطيء أساسه موت المسيح وسفك دمه الثمين على الصليب وليس بالتمثل بحياة المسيح والاقتداء به. أن التمثّل بحياة المسيح هو من امتياز الذين اقتدوا بدم المسيح وحصلوا على غفران خطاياهم.

* * * * *

ومن الأهمية بمكان أن نراعي هذه الحقيقة وهي أن كلمة الله ترينا وجهين للغفران :

(أولاً) الغفران الأبدي وهذا ما يشير إليه الرسول في هذا العدد، فكل مؤمن قد نال الغفران الأبدي في اللحظة التي فيها أتى إلى الله بواسطة الرب يسوع وفي استحقاقات

عمله الكفاري فوق الصليب " الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسَهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ " (١بط ٢ : ٢٤) فكل خطايا المؤمن من بداية الحياة إلى نهايتها قد حمل المسيح دينونتها على الصليب، والله لا يعود يذكرها فيما بعد. وكيف يمكن أن يذكر الله خطاياي بعد أن حمل دينونتها نيابة عني؟ لقد تلاشت إلى الأبد من أمام نظره.

(ثانياً) غفران الاب لأولاده. أن الغفران الأبدي مصدره الله ديان الجميع، ولكن من اللحظة التي فيها انتهت مسئوليتي أمام الله كخاطيء ابتدأت مسئوليتي كابن أمام الاب، فإذا أخطأت أتى أمامه معترفا بخطيتي لرد شركتي معه كابن له. أن الخطية بالنسبة للمؤمن لا تسلب منه حياته الجديدة لان هذه الحياة " مستترة مع المسيح في الله " ولكنها (أي الخطية) تسلب منه شركته مع الله أبيه — هذه الشركة التي لا يمكن استردادها إلا إذا أتى المؤمن العاثر إلى الله أبيه معترفا بخطيته فينال غفرانا به يسترد شركته مع الاب (١يو ١: ٦-١٠، ٢ : ٢١).

* * * * *

وجدير بالملاحظة أيضاً أن هناك فرقاً بين " مَجْدُ نِعْمَتِهِ " (٦ع) وبين " غِنَى نِعْمَتِهِ " (٧ع) فإن مجد النعمة مرتبط ببركاتنا الروحية واختيارنا الأزلي وبتعييننا للتبني، أعني بكل

امتيازاتنا التي لنا في المسيح يسوع ربنا، أما غنى النعمة فمرتبط بما أعده الله لنا كخطاة مساكين – أي الفداء بدم ربنا يسوع المسيح. ولكن الله تبارك اسمه، لم يكتف باظهار موارد النعمة الغنية من نحونا كخطاة تعساء، بل بإظهار مجد نعمته – بإظهار صفاته المجيدة، أعني بإظهار ما هو تعالى من نحونا وليس فقط ما كنا عليه.

* * * * *

لقد أجزل الله لنا نعمته الغنية " بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَفِطْنَةٍ " فهو، تبارك اسمه، لم يجزل لنا هبات النعمة الغنية فقط، بل شاء في جوده وصلاحه أن يهبنا الادراك الروحي – الحكمة والفتنة لكي نفهم ونعرف مشورات محبته ونعمته من نحونا في المسيح يسوع، ولكي نتمتع بادراكنا لها. وكلمة الله هي الإعلان الإلهي الكامل لكل مشوراته، وكلما فتشنا في كنوز الكلمة الإلهية ودرسناها بروح الصلاة وبالتأمل العميق، كلما نمونا في النعمة وفي معرفة أفكار الله ومشوراته ولاسيما من نحو ابنه الحبيب، وكأنه يقول لنا انكم تستطيعون الآن أن تدخلوا في دائرة أفكاره وتعرفوا ما هي مشيئتي وارادتي من نحو ابني. لقد تحررت من الخوف من جهة خطاياكم التي تلاشت من أمام نظري، وصارت لكم الحرية الكاملة في أن تدركوا مشيئتي لاسمه المعبود كل المجد.

* * * * *

(٩) " إِذْ عَرَفْنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ، حَسَبَ مَسَرَّتِهِ الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ "

عجبية حقاً هي محبة إلها وأبينا ونعمته الفائقة، فقد سر بأن يهبنا الحكمة والفتنة لنعرف سِرَّ مشيئته " هذه المشيئة " التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر... الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عَظَمَاءِ هَذَا الدَّهْرِ... مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ : مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ فَأَعْلَنَهُ اللَّهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ. لِأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللَّهِ " (١كو ٢ : ٨-١٠) كما لم يعلنها لأحد من قديسيه في القديم، لا قبل الناموس ولا في عهد الناموس (اف ٣ : ٩و٥).

ان هذه المشيئة المتعلقة بسيادة المسيح وجمع كل شيء ما في السموات وما على الأرض فيه كانت سرا لم يعرفه أحد من قبل.

ومن الالهية بمكان أن نعرف أن المقصود بكلمة " سر " التي تتكرر كثيراً في أسفار العهد الجديد ولا سيما في هذه الرسالة هو فكر أو مشورة أو قصد إلهي أزلي كان مكتوماً وغير معروف ولكنه أظهر وأعلن على صفحات العهد الجديد، وقد أعطى للمؤمنين امتياز معرفة كل سر من هذه الاسرار، لذا ليست فيما بعد أسراراً غامضة أو مكتومة بل هي أسرار معلنة ومعروفة " لِأَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَأَمَّا لِأَوْلَيْكُمْ (أي

غير المؤمنين) فَلَمْ يُعْطَ " (مت ١٣ : ١١) لقد اعطي لنا أن نعرف هذه الاسرار، ليس لاشباع الذهن بل بالحري للتمتع بها ولبنيان نفوسنا في المسيح ولتقديس حياتنا العملية.

لا ريب انه توجد في أسفار العهد القديم حقائق إلهية مباركة ولكن لا يقال عنها ابدا أنها " أسرار " لان الاسرار لم تعلن وتوضح إلا في كتابات العهد الجديد، كما أنه لا يصح اعتبار أية فريضة من الفرائض المسيحية (مع أهميتها) انها سر، ولا أي من حقائق الإنجيل السامية إلا إذا قيل عنه بصريح العبارة انه سر * لقد عرفنا الله بسر مشيئته وذلك " حَسَبَ مَسَرَّتِهِ الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ " فقد كان سروره تعالى في أن يعلن لنا أمجاد ابنه الحبيب الذي تم إرادته، الذي " وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب "

(١٠) " لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الْأَرْمَنِ، لِيَجْمَعَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، فِي ذَلِكَ "

لقد سبقت الإشارة إلى أن الروح القدس أعلن لنا في العهد الجديد أسراراً كانت مكتومة وغير معروفة من قبل، ومن بين هذه الأسرار التي سرت مشيئة الله أن يعرفنا إياها هو أنه له المجد سيجمع كل الأشياء السماوية والأرضية في المسيح لتكون

* إتماماً للفائدة نذكر هنا أهم الاسرار التي أعلنت على صفحات العهد الجديد :

- (١) سر التقوى (أي سر التجسد) (١٦ : ٣ تي)
- (٢) سر اتحاد المسيح بالكنيسة (اف ٥ : ٣٢)
- (٣) سر الإيمان (١ تي ٣ : ٩)
- (٤) سر اتحاد الأمم واليهود المؤمنين بالمسيح (اف ٣ : ٦ و ٥)
- (٥) سر الاختطاف (١ كو ١٥ : ٥١)
- (٦) سر رجوع اليهود للرب (رو ١١ : ٢٥)
- (٧) سر الإنجيل (اف ٦ : ١٩)
- (٨) سر ملكوت الله (مر ٤ : ١١ ومت ١٣ : ١١، لو ٨ : ١٠)
- (٩) سر السبعة الكواكب والسبع المناير (رؤ ١ : ٢٠)
- (١٠) سر الاثم (٢ تس ٢ : ٧)

(١١) سر بابل العظيمة أم الزواني (رؤ ١٧ : ٥)

(١٢) سر جمع كل شيء في المسيح (اف ١ : ١٠ و ٩)

تحت سيادته. هذا هو "سِرّ مشيئته" (٩٤) أن سيادة المسيح وسلطانه غير معترف بهما حاليا في هذا العالم، ولكن عند انتهاء التدبير الحاضر ستستعلن سيادة المسيح للخليقة بأسرها، لأن الله "لِذَلِكَ رَفَعَهُ اللَّهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَجْثُو بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَيَعْتَرِفُ كُلُّ لِسَانٍ أَنْ يَسُوعَ الْمَسِيحُ هُوَ رَبُّ لِمَجْدِ اللَّهِ الْاب" (في ٢ : ٩-١١).

* * * * *

والمقصود بعبارة "لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الْأَزْمَنَةِ" هو أن الله، بواسطة المسيح سيحقق قصده عندما يضع حدا أو نهاية للأزمة المرتبطة بسيادة البشر على الأرض في الأدوار والأزمات المتعاقبة (أزمة الأمم) وحينئذ يضع صولجان الملك والسيادة في يد المسيح "قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ" (عب ١ : ٨).

واضح أنه "لما جاء ملء الزمان" أرسل الله ابنه إلى هذا العالم لإتمام عمل الفداء ولكن عند "ملء الأزمنة" سيرسله الله مرة أخرى ليجمع كل شيء فيه، وعندئذ ستعترف كل الكائنات أن الرب يسوع هو "ملك الملوك ورب الأرباب"

ان مسرة مشيئته تعالى التي قصدها في نفسه هي استعلان مجد ابنه ربنا يسوع المسيح. ذلك المجد الذي سنشترك معه فيه، فموضوع ذلك السر أي "سر مشيئته" هو المسيح والكنيسة، الأمر الذي تبينه هذه الرسالة بكل وضوح "هَذَا السِّرُّ عَظِيمٌ، وَلَكِنِّي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ" (٥ : ٣٢). ليس المقصود هو أن الكنيسة في ذاتها هي سر بل "المسيح والكنيسة" والكنيسة لها هذا الامتياز وهذه الغبطة المباركة لأنها مقترنة بالمسيح وانها للمسيح وفي المسيح. يا لها من سعادة تتمتع بها الكنيسة بل وستعم الخليقة بأسرها عندما يتم "تدبير ملء الأزمنة" ! عندئذ ستنتهي أزمنة الحزن والخجل الحادثة الآن.. سينتهي زمان إخضاع الخليقة للبطل وكذا زمان عمى شعب الرب القديم الروحي وزمان سيادة الامم الغاشمة. سينتهي زمان ضعف الكنيسة وانقساماتها، وزمان سطوة الشيطان وخداعه وتعذيبه للبشر هذه الأمور الحادثة الآن ولا سيما للإنسان الذي بسبب الخطية أصبح خاضعا لكل أنواع الآلام والأمراض والموت، وحيث الخليقة كلها (ت)ن. هذه كلها وغيرها سيضع الله لها حدا عندما يسود المسيح على الخليقة الدلى. في ذلك الوقت سيقيد الشيطان وسيحرر الإنسان من عبوديته له ومن ضلالاته. عندئذ سيبارك الله شعبه الأرضى تحت سيادة وملك المسيا، كما سيبارك الله كل الشعوب عندما يتقدس في وسطهم،

والأرض نفسها سوف لا تكون في حالة الفقر والتعاسة والأنين التي هي عليها الآن لأن اللعنة سترفع وتفرح البرية وتزهو. كل هذه الأشياء سيحققها الله. سيغير كل المشاهد الحاضرة عندما يجعل المسيح كنعب ومركز ومصدر كل بركة.

سيكون المسيح هو الإنسان الأقوى الذي سيربط القوى – نسل المرأة إلى سيسحق رأس الحية. انه رب السماء والأرض. المسيا الذي سيملك على شعبه الأرضى وابن الإنسان الذي سيسود على كل الأمم. وبالأجمال سيكون علاج الله التام لهذا العالم المضطرب هو المسيح عندما يخرج من خبائه لتراه كل عين.

(١٢ و ١١) " الَّذِي فِيهِ أَيْضاً نَلْنَا نَصِيْباً، مُعَيَّنِينَ سَابِقاً حَسَبَ قَصْدِ الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ، لَنَكُونَ لِمَدْحِ مَجْدِهِ، نَحْنُ الَّذِينَ قَدْ سَبَقَ رَجَاؤُنَا فِي الْمَسِيحِ "

يشير الرسول بولس هنا إلى نفسه وإلى اليهود الذين آمنوا نظيره بالمسيح يسوع، فانهم بسبب إيمانهم بالرب يسوع قد نالوا نصيباً سماوياً. لقد سلفت الإشارة (ع ٥) إلى أن المؤمنين الحقيقيين سبق الله الاب فعينهم للتبني – أي صاروا أولاداً لله، لذا فهم ورثة أيضاً (رو ٨ : ١٧). لا ريب أن الذين سيؤمنون بالمسيح من اليهود والأمم، عند جمع كل شيء في المسيح أي عند " تدبير ملء الأزمنة " ، وذلك بعد اختطاف الكنيسة، هؤلاء سيتمتعون ببركات أرضية عظيمة، أما نحن فقد نلنا نصيباً سماوياً في المسيح قبل كل ذلك لان بركاتنا ليست أرضية بل " في السماويات " وذلك " حَسَبَ قَصْدِ الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ " تبارك اسم إلهنا وأبينا، فقد كان قصده أن أولاده الذين اقترنوا بابنه الحبيب الوحيد ينالون فيه نصيباً سماوياً ومجيداً. تبارك اسمه المعبود لأن هذا " قصده " وهذا " رأي مشيئته "

* * * * *

" لَنَكُونَ لِمَدْحِ مَجْدِهِ، نَحْنُ الَّذِينَ قَدْ سَبَقَ رَجَاؤُنَا فِي الْمَسِيحِ "

سلف القول أن الإشارة هنا هي إلى المؤمنين بالمسيح من اليهود الذين كرز لهم بالإنجيل أولاً – أعنى قبل أن يكرز به بين الأمم، وقد كان الرسول بولس واحدا منهم لذا يقول بأننا قد نلنا نصيباً سماوياً " لَنَكُونَ لِمَدْحِ مَجْدِهِ، نَحْنُ الَّذِينَ قَدْ سَبَقَ رَجَاؤُنَا فِي الْمَسِيحِ " أعنى انهم سبقوا بقية اليهود الذين رفضوا المسيح ولم يؤمنوا به في مجيئه الأول. هذا هو المقصود بقوله " سَبَقَ رَجَاؤُنَا فِي الْمَسِيحِ " أي أن رجاءنا هو في المسيح إذ آمنّا به في زمان رفضه أعنى قبل ظهوره بالمجد عندما تنظره كل عين (رو ١ : ٧) " فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ الَّذِي طَعَنُوهُ " (زك ١٢ : ١٠). عندئذ ترجع بقية من تلك الأمة إلى الرب بالتوبة والندامة والإيمان به ربا وملكا.

سيهتفون قائلين " هوذا هَذَا إِلَهنا. انْتِظَرْنَاهُ فَخَلَّصَنَا " (اش ٢٥ : ٩) أما الذين سيكونون " لمدح مجده " فانهم أولئك الذين قد قبلوا المسيح قبل أن يروه في ظهوره، والذين بالتالي سيظهرون معه في مجده " عظيمة حقاً هي غبطة أولئك الذين سيقبلون المسيح عندما يرونه بعيونهم عند ظهوره ولكن اكثر وأعظم غبطة هم الذين لم يروه ولكنهم آمنوا به " (يو ٢٠ : ٢٩).

* * * * *

(١٣) " الَّذِي فِيهِ أَيْضاً أَنْتُمْ، إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، إِنجِيلَ خَلَاصِكُمْ، الَّذِي فِيهِ أَيْضاً إِذْ آمَنْتُمْ خَتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ "

وصلنا الآن إلى الجزء الثالث والأخير من هذه التسبحة الشجيرة (١-١٣ و ١٤) ففي الجزء الأول منها (١ : ٣-٦) رأينا قصد الاب ومشورات نعمته الغنية في الأزل القديم، لقد اختارنا منذ الأزل لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه وذلك " لمدح مجد نعمته " كذلك رأينا في الجزء الثاني من هذه التسبحة (١ : ٧-١٢) ما عمله الابن لفدائنا وغفران خطايانا بواسطة دمه الكريم الذي سفك فوق الصليب وذلك " لمدح مجده " أما في هذا الجزء الثالث من هذه التسبحة فاننا نرى عمل الروح القدس في تجديد الخطاة وسكانه فيهم وذلك أيضاً " لمدح مجده " فالاب قصد في الازل أن يبارك الإنسان والابن أكمل العمل الذي به يتم قصد الاب الازلي، والروح القدس قد أتى إلى العالم ليحقق هذا العمل المبارك في نفوس الخطاة الذين يؤمنون بالمسيح يسوع، هذا العمل الذي يستمر إلى أن يصل المؤمنون إلى المجد، وفي كل ذلك نرى الله المثلث الأقانيم عاملاً لأجل فداء الإنسان وبركته.

* * * * *

لقد كان كلام الرسول بولس في العدد السابق (١٢) خاصاً به وبالمؤمنين بالمسيح من اليهود، أما هنا فالكلام موجه إلى المؤمنين الحقيقيين من الأمم " الذي فيه أيضاً (أي في المسيح) أنتم (الأمم) سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم " ولنلاحظ أن في هذا العدد ثلاث كلمات لها أهميتها وهي " سمعتم " " آمنتم " " ختمتم " فقد سمعوا أولاً ثم آمنوا لأن الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله " (رو ١٠ : ٧) لقد سمع أولئك المؤمنون " كلمة الحق " التي هي "إنجيل خلاصهم "

إن أول عمل للروح القدس في نفس الإنسان الخاطيء هو اقتياده لمعرفة حقيقة ذاته – لإدراك أنه ميت بالذنوب والخطايا، وقد جلبت عليه الخطية كل ذل وتعاسة وانه يستحق لأجلها الهلاك الأبدي، وإذ يسمع كلمة الحق أي إنجيل الخلاص ويقبلها ويؤمن بالرب يسوع

وبكفاية عمله لأجله فوق الصليب فانه يولد ثانية – يولد من الماء (أي كلمة الله) والروح، والله مصادقة منه على هذا الإيمان يختم هذا المؤمن بروحه القدس " إذ أنتم ختمتم بروح الموعد القدس " انه في اللحظة التي فيها يؤمن الإنسان بالرب يسوع المسيح ويقبله مخلصاً له يختم بالروح القدس.

* * * * *

إن أول شخص ختم بالروح القدس هو الرب يسوع، ولكن ذلك تم بكيفية كان هو فريدا فيها (مت ٣ : ١٧، أع ١٠ : ٣٨) على أنه لم يختم بالروح القدس بعد إكماله عمل الفداء بل قبل ذلك لما كان سائرا هنا على الأرض " لِأَنَّ هَذَا اللَّهُ الْاب قَدْ خَتَّمَهُ " (يو ٦ : ٢٧). لقد ختم ربنا المبارك كابن الإنسان بدون حاجة إلى سفك دم لانه القدس " الذي لم يعرف خطية " لهذا مسح بالروح القدس بدون حاجة إلى سفك دم أو إلى الفداء، ومع ذلك فقد مات وسفك دمه الكريم لكي يمكن أن نختم بالروح القدس نحن الذين لم يكن لنا أي استحقاق بحسب الطبيعة – أي أن يسكن فينا نفس الروح القدس الذي سكن في الرب يسوع المسيح أولاً.

* * * * *

ان الله نفسه هو الذي يختم المؤمن بمجرد إيمانه بالرب يسوع وقبوله ربا ومخلصاً " الله الَّذِي خَتَمَنَا أَيْضاً، وَأَعْطَى عَرْبُونَ الرُّوح فِي قُلُوبِنَا " (٢كو ١ : ٢٢و٢١).

والختم هو برهان أو علامة صحة الإيمان – أعني انه إيمان حقيقي وليس اسمياً أو زائفاً " ظَاهِرِينَ أَنْكُمْ رَسَالَةُ الْمَسِيحِ، مَخْدُومَةٌ مَنَّا، مَكْتُوبَةٌ لَا بِحَبْرِ بَلْ بِرُوحِ اللَّهِ الْحَيِّ، لَا فِي أَلْوَا حِ جَرِيَّةٍ بَلْ فِي أَلْوَا حِ قَلْبٍ لَحْمِيَّةٍ " (٢كو ٣ : ٣) فالمؤمنون الحقيقيون هم رسالة المسيح إلى عالم هالك، والرسالة المكتوبة تعبر دائماً عن فكر وغاية كاتبها، كذلك أولاد الله لم تكتب اسمائهم بحبر أو تنقش في ألواح حجرية بل هم رسالة المسيح الذين كتب الروح القدس على قلوبهم وفي حياتهم كلمة الله الحية. أن العلامة المميزة للمسيحي الحقيقي من المسيحي بالاسم هي ختم الروح القدس.

ثم أن الختم هو أيضاً برهان أو علامة الملكية " وَلَكِنَّ أَسَاسَ اللَّهِ الرَّاسِخَ قَدْ ثَبَّتَ، إِذْ لَهُ هَذَا الْخَتْمُ. يَعْلَمُ الرَّبُّ الَّذِينَ هُمْ لَهُ " (٢تي ٢ : ١٩) وقد قال المسيح له المجد " أَمَّا أَنَا فَأَنَايِ الرَّاعِي الصَّالِحُ وَأَعْرِفُ خَاصَّتِي وَخَاصَّتِي تَعْرِفُنِي " (يو ١٠ : ١٤). أن قطعان الغنم أو المواشي تتميز بختم صاحبها (أي بوضع وسم أو تمغة من نار عليها) كذلك لدى الله وسمه الذي به تتميز ملكيته للمؤمنين وانهم له وخاصته، و وسمه هذا هو الروح القدس أن طابع الله هو ختمه أي الروح القدس الذي يعطينا نحن أيضاً اليقين بأننا أولاده (رو ٨ : ١٥و١٦).

والختم أيضاً هو برهان ضمان الأمن والحفظ إلى النهاية، لان الروح القدس هو "عربون ميراثنا" (١٤٤) وفي هذا الجواب الإلهي الصريح لن يرتابوا في أمر حفظ المؤمن إلى النهاية وفي عدم إمكانية هلاكه.

ولنلاحظ أيضاً انه يشار إلى الروح القدس كختم للمؤمنين ثلاث مرات في العهد الجديد (أف ١ : ١٣، ٤ : ٣٠، ٢ كو ١ : ٢٢).

* * * * *

(١٤) "الذي هو عَرَبُونُ مِيرَاثِنَا، لِفِدَاءِ الْمُقْتَنَى، لِمَدَحِ مَجْدِهِ"

أن الروح القدس الذي به ختمنا ليوم الفداء – أي فداء أجسادنا عندما يأتي الرب يسوع المسيح مخلصنا "الذي سَيُعَيِّرُ شَكْلَ جَسَدٍ تَوَاضَعْنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ" (في ٣ : ٢١) هو أيضاً عربون ميراثنا المجيد والأبدي، فكما أن الروح القدس هو الختم الذي ختمنا به برهاننا على كمال وكفاية عمل المسيح لفدائنا وتطهيرنا من خطايانا وقبولنا أما الله كذلك أيضاً هو (أي الروح القدس) عربون ميراثنا. أن الروح القدس هو ختم نعمة الله الغنية التي نلناها فعلاً في المسيح وهو أيضاً عربون الامجاد التي سننالها بعد قليل مع المسيح. هذا هو عمل هذا العربون الإلهي، أي الروح القدس فينا، فانه يعطينا، ونحن هنا فوق الأرض، أن نتمتع بأفراح ميراثنا الأبدي – أن نفرح بأمجاد هذا الميراث قبل الوصول إليه – أن نتذوق غبطة السماء ونحن هنا قبل أن نصل فعلاً إلى السماء، أو بالحري يبهجننا ويلذذنا الروح القدس بما لنا في المسيح نفسه قبل أن نصل إليه لنكون معه في المجد. أن هذا الميراث المجيد هو في الواقع ميراث المسيح نفسه الذي له يحق الفداء الذي اكمله فوق الصليب، والذي به (أعنى بالصليب) اشترى كل شيء لنفسه، وقريباً سيحيي الوقت الذي فيه سيضع يده على هذا الميراث بقوته وسلطانه، وعندئذٍ سيشارك معه كل خاصته في مجد ميراثه هذا "وَأَنَا قَدْ أُعْطِيتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أُعْطِيتَنِي" (يو ١٧ : ٢٢).

و واجبنا نحن المؤمنين أن لا نسمح لأي معطل بأن يتسرب إلى حياتنا الروحية لكي يحرمنا الفرح والشبع والتلذذ بميراثنا العتيق أو بالحري بالرب نفسه الذي هو رجاء المجد فينا. أن أقل انحراف أو ميل جسدي من شأنه أن يعطل أفراحنا بميراثنا السماوي وبشركتنا مع الرب سيدنا، لذا فإن حاجتنا القصوى هي في أن نكون باستمرار في روح الصلاة والصحو والسهو حتى نتمتع على قدر ما بما ستكون عليه في المجد عند مجيء ربنا المبارك. ومن ذا يستطيع أن يتصور ويدرك الحالة السعيدة التي سنكون عليها عندما نرى ربنا وحبيبنا وجهاً لوجه، حيث لا يكون هناك أثر للخطية والضعفات والأثقال التي تحيط بنا هنا. أن هذه كلها ستختفي وتتلاشى عند مجيء ربنا يسوع المسيح "لفداء المقتنى" عندئذٍ سيغير أجسادنا المائتة ويلبسنا الأجساد الممجدة "نكون مثله لأننا سنراه كما هو"

* * * * *

وسيتحقق ذلك كله " لمدح مجده " تأمل في هذا! أن كل قديس مفدى، أو بالحري كل خاطيء قد خلصته النعمة الإلهية الغنية سيكون لمدح مجد إلها وأبينا ولشبع قلب الرب يسوع طوال الأبدية. أنه لهذه الغاية ترك الرب يسوع المسيح عرش السماء وأتى إلى هذا العالم ومات فوق الصليب محتملاً عارنا ودينونتنا – أتى من السماء وفدانا بدمه الكريم وصيرنا خاصة له. والاب أعطانا الروح القدس الذي هو عربون ميراثنا وذلك " لمدح مجده "

ثم لنلاحظ الفرق بين " مجد نعمته " (٦٤) و " مدح مجده " فإن مجد نعمته قد ظهر فعلاً في الصليب، أما مدح مجده فسيستعلن أمام الخلائق بأسرها عندما يظهر المسيح حياتنا ونحن نظهر معه في المجد (كو ٣ : ٤).

هذا هو الفارق بين مجد نعمته ومجده في العبارتين الكريمتين " لمدح مجد نعمته " و " لمدح مجده " ويجدر بنا أن نلاحظ أيضاً الفارق بين " مجد نعمته " (٦٤) و " غنى نعمته " (٧٤) فلئن كان مجد نعمته قد ظهر للمؤمنين وللمؤمنين وحدهم في الصليب إلا أن هذا المجد لن يستعلن بصورة كاملة وللخليقة أجمع إلا في المستقبل عندما تأتى بنا النعمة إلى المجد الأبدي رغم كل ضعفائنا وعدم استحقاقنا. عندئذ سنكون " لمدح مجد نعمته " أما " غنى النعمة " فهوما نتمتع به فعلاً وبصورة كاملة في الوقت الحاضر أولاً كخطاة وثانياً كمؤمنين لأن ابن الله أتانا مملوءاً نعمة ومن ملئه أخذنا ونعمة فوق نعمة، ونحن في النعمة نقيم ونفتخر على رجاء مجد الله.

* * * * *

(١٥ و ١٦) " لِذَلِكَ أَنَا أَيْضاً إِذْ قَدْ سَمِعْتُ بِإِيمَانِكُمْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَمَحَبَّتِكُمْ نَحْوَ جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ، لَا أَزَالُ شَاكِراً لِأَجْلِكُمْ، ذَاكِراً إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِي "

الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد مملوء بالصلوات العظيمة القيمة والتي قدمها كثيرون من رجال الله القديسين والأفاضل، ومن أهم الصلوات التي سجلها لنا الروح القدس على صفحات الوحي المقدس تلك التي قدمها الرسول بولس وهو أسير ومقيد بالسلاسل – صلوات رفعها إلى الله من أجل المؤمنين أفراداً وكنائس، فإن كانت السلطات الغاشمة استطاعت أن تقيد الرسول العظيم بالسلاسل إلا أن روحه بقيت حرة وطيقة فلم تستطع القيود الحديدية أن تعطل شركته مع ربه وإلهه. وكما لنا من تعاليم روحية وسامية في صلوات أولئك القديسين سيما التي للرسول بولس!

ولم تكن خدمة الرسول بولس قاصرة على الكرازة بالإنجيل والوعظ والتعليم، ولا على تأسيس الكنائس والاهتمام بها في بلاد عديدة، بل كان، قبل كل شيء، رجل الصلاة. لقد كانت الصلاة أول علامة على تجديده " هُودَا يُصَلِّي " (أع ٩ : ١١) كما كانت الصلاة أيضاً جزءاً كبيراً من حياته. أليس في هذا درس عملي لنا جميعاً؟ ألا يعلمنا رجل الصلاة هذا بحياته كما في كتاباته أن نواظب على الصلاة لا لأجل أنفسنا فقط بل ولأجل جميع القديسين أفراداً وجماعات وكذلك لأجل " جميع الناس " ؟ (١ تي ٢ : ١ و ٢).

* * * * *

وتتضمن هذه الرسالة صلتين، الأولى في هذا الفصل (١ : ١٥-٢٣) والثانية في الأصحاح الثالث (٣ : ١٤-١٩) وقد سبقت الإشارة عند التأمل في العدد الثالث من هذا الأصحاح إلى أن الله، تبارك اسمه، هو إله ربنا يسوع المسيح انه أيضاً ابوربنا يسوع المسيح، وهنا نرى أن كل صلاة من هاتين الصلتين مرتبطة في موضوعها بأحدى هاتين العلاقتين، فالصلاة الأولى مقدمة إلى " إله رَبَّنَا يَسُوعُ الْمَسِيح " (١ : ١٧) بينما الصلاة الثانية مقدمة إلى " ابي رَبَّنَا يَسُوعُ الْمَسِيح " (٣ : ١٤) فكلاهما مقدمتان إلى الله الاب بالارتباط والاقتران بالرب يسوع من وجهين، ففي الصلاة الأولى نراه كالإنسان الذي الله إله " إلهي " (مت ٢٧ : ٤٦، يو ١٧ : ١٧) بينما في الصلاة الثانية نراه في علاقته الفريدة – الازلية والأبدية كالابن الوحيد " ابي " (يو ٣٠ : ١٧، ١ : ١٨).

يقول الرسول للمؤمنين " لذلك أنا أيضاً إذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين لا أزل شاكراً لأجلكم. " لقد قاده الروح القدس في الأعداد السابقة (٣ع-١٤) إلى توضيح الحقائق الإلهية المتعلقة بمشورات الله، الاب والابن والروح القدس، تلك المشورات الازلية الخاصة بفداء الإنسان وبركته – هذه الحقائق المجيدة هي التي ملأت قلب الرسول – بالشكر لله ولاسيما إذ سمع بإيمان أولئك المؤمنين ومحبتهم نحو جميع القديسين. و واضح أن غرض وموضوع الإيمان والرب يسوع المسيح، وقد سمع الرسول عن إيمانهم بالرب له المجد، فمع أن الإيمان هو عمل سرى يربط القلب بالمسيح إلا أن له صوتاً مسموعاً. انه كنور الشمس الذي يشرق في كل مكان والتي " وَلَا شَيْءٌ يَخْتَفِي مِنْ حَرِّهَا " (مز ١٩ : ٦). ولقد قيل عن المؤمنين في تسالونيكي بأنهم قد صاروا قدوة للآخرين لأنه في كل مكان قد ذاع إيمانهم بالله (١ تس ١ : ٨ و ٧).

وكما أن غرض وموضوع الإيمان هو الرب يسوع المسيح كذلك فإن غرض وموضوع المحبة هو " جميع القديسين " فحيثما يوجد إيمان صحيح بالرب يسوع فهناك تكون المحبة الصحيحة لجميع القديسين. أن المحبة للقديسين هي من أعظم البراهين على صحة الإيمان

والولادة الجديدة. انها (أي المحبة) هي الثمر الإلهي للإيمان الحقيقي بالمسيح " نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّنَا قَدْ انْتَقَلْنَا مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ لِأَنَّنا نَحِبُّ الْإِخْوَةَ " (١يو ٣ : ١٤).

ومن الأهمية بمكان أن نعي قوله " محبتكم نحو جميع القديسين " ذلك لأننا معرضون لأن تقصر محبتنا على أخوتنا الذين لهم نفس ميولنا وطباعنا وأمزجتنا، أو الذين هم نظيرنا في مراكزنا الثقافية أو الاجتماعية أو حتى المادية أيضاً. أن هذه ليست محبة لجميع القديسين بل هي محبة لذواتنا أكثر مما هي محبة لهم. أن الجسد فينا يميل إلى محبة من لهم مثل مشار بنا وإلى تجنب من يخالفوننا في عوائدنا أو الذين يسببون لنا أتعاباً. ليت لنا أحشاء المسيح فنحب جميع القديسين لانه هو يحبهم جميعاً.

مع انه واجب علينا كمؤمنين بالرب يسوع أن نحب جميع القديسين إلا انه لا يجوز أن تكون المحبة على حساب حق الله والمسيح، فاذا ما ظهر أي شر في وسط جماعة المؤمنين، سواء أكان تعليمياً أم عملياً، فانه من الواجب القضاء على هذا الشر بروح المحبة وليس التساهل فيه بدافع المحبة. فإن المحبة على حساب الحق الإلهي إهانة لاسم الرب ولمجده. أن رسول المحبة يوحنا الذي يحتنا على أن نحب بعضنا بعضاً وعلى أن نقبل المؤمنين الأمناء (٣يو ٨) يحتنا أيضاً على أن لا نقبل في البيت من يتعدى ولا يثبت في تعليم المسيح ولا نقول له سلام. لأن من يسلم عليه يشترك في أعماله الشريرة (٢يو ٩-١١). يجب أن يكون المكان الأول في القلب وبين جماعة المؤمنين للرب ثم لجميع القديسين.

* * * * *

(١٧) " كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلَهُ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالْإِعْلَانِ فِي مَعْرِفَتِهِ "

سلف القول أن هذه الصلاة موجهة إلى الله " إله ربنا يسوع المسيح " ذلك لأن ابن الله الأزلي صار إنساناً لأجل فدائنا بموته فوق الصليب لذا صار الله إله بينما هو في الوقت ذاته ابن الله الوحيد، والله الاب هو ابوه من الأزل وإلى الأبد (أنظر عب ١ : ٨ و٩).

إن إله ربنا يسوع المسيح هو " ابو المجد " أي أنه نبع ومصدر كل مجد، فكل بركاتنا السماوية هي منه ولمجده، وكما أنه هو " ابو المجد " كذلك هو " ابو الأنوار " (يع ١ : ١٧) و " ابو الأرواح " (عب ١٢ : ٩) و " ابو الرأفة " (٢كو ١ : ٣) وهو أيضاً " إله كل تعزية " (٢كو ١ : ٣) و " إله السلام " (في ٤ : ٩، عب ١٣ : ٢٠، رو ١٥ : ١٦ و٣٣ : ٢٠) و " إله كل نعمة " (١بط ٥ : ١٠) و " إله الرجاء " (رو ١٥ : ١٣) و " إله الصبر والتعزية " (رو ١٥ : ٥) وكما أن إله ربنا يسوع المسيح هو " ابو المجد " كذلك الرب يسوع هو "

إله المجد " (أع ٧ : ٢) و " رب المجد " (يع ٢ : ١) وهو أيضاً " رب السلام " (٢ تس ٣ : ١٦) و " رب الأرباب " (رو ١٩ : ١٦).

ما أسعدنا حقاً بإلهنا وأبيننا وبربنا وسيدنا المبارك يسوع المسيح الذي لنا فيه كل هذه الصفات المجيدة التي لغبطتنا وسعادتنا. لاسمه المعبود المبارك كل مجد واکرام إلى اباد الدهور كلها. آمين.

* * * * *

بواسطة الذهن المستنير بروح الله. لقد عمل المسيح له المجد هذين الأمرين لتلاميذه بعد قيامته من الأموات، فانه " فَتَحَ ذِهْنَهُمْ " (لو ٢٤ : ٤٥) كما أنه فتح كلمة الله أمامهم " إذ كَانَ... وَيُوضِحُ لَنَا الْكُتُبَ " (لو ٢٤ : ٣٢) فبروح " الإعلان " يفتح أمامنا حق الله، وبروح " الحكمة " يفتح اذهاننا لندرك ونتقبل ذلك الحق الإلهي.

إنه، تبارك اسمه، يعطينا " روح الحكمة والإعلان " ليكون لنا إدراك أعمق أو بالحري للنمو ونتقدم باستمرار في معرفة الله الاب والرب يسوع المسيح، وهذا هو المقصود بقوله هنا " في معرفته " (أوفي كمال معرفته) ومهما نمونا في الحياة والاختبارات الروحية فإننا نحتاج إلى المزيد من روح الحكمة والإعلان في معرفته تعالى وفي معرفة ربنا يسوع المسيح وغناه الذي لا يستقصى (يو ١٦ : ١٤).

* * * * *

(١٨) " مُسْتَنِيرَةً عِيُونَ اذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدٍ مِيرَاثِهِ فِي الْقَدِّيسِينَ "

يستمر الرسول في صلاته لأجل المؤمنين فيقول " مُسْتَنِيرَةً عِيُونَ اذْهَانِكُمْ " (أو قلبكم)* فكما أننا بالقلب آمنة بالمسيح " لِأَنَّ الْقَلْبَ يُؤْمَنُ بِهِ لِلْبِرِّ " (رو ١٠ : ١٠) كذلك بالقلب نستطيع أن نتمتع بالحقائق والبركات الإلهية التي لنا في المسيح يسوع ربنا، أما بالذهن وحده فلا نستطيع أن نتمتع أختباريا بما ذكره الله لنا في المسيح من غنى وأمجاد لا يستطيع الإنسان الطبيعي مهما سما ذكاؤه الذهني أن يدركها أو يستسيغها.

* * * * *

يطلب الرسول بولس لأجل المؤمنين بأن تستنير عيون اذهانهم (أو قلبهم) وذلك لكي يعرفوا ثلاثة أشياء جوهرية :

* جاءت كلمة " اذهانكم " The Eyes of your heart في بعض الترجمات بمعنى " قلبكم " .

(أولاً) " لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ " أن الله، تبارك اسمه، دعانا " دَعْوَةً مُقَدَّسَةً " (٢تى ١ : ٩) وبنعمته صيرنا شركاء " الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ " (عب ٣ : ١) هذه هي " دَعْوَةُ اللَّهِ الْعُلْيَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ " (فى ٣ : ١٤). يا لغنى نعمة الله! فانه لم يختار لهذه الدعوة المجيدة كل الحكماء والأقوياء والشرفاء بل " وَاخْتَارَ اللَّهُ أَذْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُزْدَرَى وَغَيْرَ الْمُوْجُودِ لِيُبَيِّنَ الْمُوْجُودَ لِكَيَّ لَا يَفْتَخِرَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَمَامَهُ " (١كو ١ : ٢٦-٣١).

(ثانيا) لتعلموا " وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقَدِيسِينَ " لقد تأملنا قبلا في " غِنَى نِعْمَتِهِ " (٧ع) أما هنا فإن أماننا " غِنَى مَجْدِهِ " فنحن نتمتع الآن بغنى نعمته، ولكننا بعد قليل سنحظى بغنى مجده عند امتلاكنا ذلك الميراث المجيد وتمتعنا به تمتعا ابديا.

ان موضوع هذا الجزء من صلاة الرسول هو " الميراث " لقد تمنى الرسول أن أولئك القديسين يعرفون غنى مجد ذلك الميراث وأن يزدادوا في هذه المعرفة، ومن الأهمية بمكان أن نعرف غرض الرسول في قوله " غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقَدِيسِينَ " فإن هناك فكرة عند كثيرين من المؤمنين وهي أن القديسين هم ذلك الميراث الغنى والمجيد* ولكن ليس هذا هو غرض الرسول أو بالحري الروح القدس، بل المقصود هو أنه عندما يخضع الله كل الاشياء التي في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض لسيادة المسيح وسلطانه، أو بالحري عندما يستولى على ميراثه المجيد سيستولى عليه في قديسيه. لقد كانت أرض كنعان قديما ميراث الله ولما أخذها لم ينزل من السماء ليأخذها بقوته الإلهية بل امتلكها بواسطة شعبه القديم. كذلك بعد قليل سيأخذ الله ميراثه عندما يأتي المسيح – سيأخذه في قديسيه الذين سيملكون معه. من يستطيع أن يدرك سمو وعظمة نصيبنا في ذلك المجد؟ كم سيكون نصيبا في ذلك الميراث غنيا ومجيدا! عندما يرجع الرب ليأخذ ملكه المجيد، سنشاركه نحن في ملكه السعيد – سنرى محياه البهي – سنراه كما هو وسنجلس معه في عرشه. هذا هو غنى مجد ميراث الله الذي نريدنا أن نعرفه.

إننا لا نقرأ في العهد الجديد أن القديسين هم ميراث الله بل بالحري هم ورثة " وَرَثَةُ اللَّهِ وَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ " (رو ٨ : ١٧) أن الله يريد في صلاحه وجوده أن الخليقة

(٨) أن بعض المفسرين يعتقدون بأن ميراث الله الغنى والمجيد هو القديسون، وان كان الله كخالق يملك كل ما في السموات والأرض والكائنات بأسرها، ولكن غناء المجيد ليس في هذه الكائنات مع عظمتها، ولكن في القديسين الذين اشتراهم بأعلى ثمن أي بدم ابنه الحبيب، لذا هم ميراث الله المجيد الذين سيكونون لمسرتهم ولذاته في بيته إلى ابد الأبد.

بأسرها تتمتع بالغبطة والسعادة تحت سيادة المسيح، أما نحن فقد صار لنا النصيب الاسمي في غنى مجد ميراثه. لاسمه المعبود كل سجود وعبادة واکرام.

* * * * *

(٢٠ و ١٩) " وَمَا هِيَ عَظْمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ الَّذِي عَمَلُهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ "

(ثالثاً) هذا هو الجزء الثالث من صلاة الرسول بولس لأجل المؤمنين، فقد طلب لأجلهم بأن يعلموا " وَمَا هِيَ عَظْمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ " - تلك القدرة التي تجلت في إقامة المسيح من الأموات. صحيح أن قدرة الله ظهرت في عظمتها في الخليقة، كما ظهر أيضاً جلال قدرته عندما شق البحر الأحمر وأخرج شعبه القديم من أرض مصر بيد قوية وذراع رفيعة، ولكن الروح القدس لا يلفت أنظارنا هنا إلى شيء من ذلك، بل إلى عظمة القدرة الفائقة التي تجلت في إقامة المسيح من الأموات - إلى قيامته فقط، وليس إلى تجسده ولا حتى إلى صلبه مع انه لا غنى لنا عنهما إذ ما كان ممكناً أن يهبنا الله غفرانا لخطايانا وحياة ابدية ولا أن يباركنا بكل بركة روحية في السماويات لولا تجسد ربنا يسوع وصلبه، ولكن قوة الله العظمى قد ظهرت في إقامة المسيح من الأموات. أن ربنا يسوع " قَدْ صُلِبَ مِنْ ضَعْفٍ " (٢كو ١٣ : ٤) فقد كان فوق الصليب واقعا تحت دينونة الله كما كان موضوع إهانة وازدراء البشر، ولكن القيامة أنهت كل ذلك إلى الأبد. لقد انتصرت القيامة على كل الضعف الذي ظهر في الصليب، فهو كالإنسان الكامل قد حمل خطايانا في جسده على خشبة الصليب كما انه هناك مجد الله تماماً، لذا مجده الله أيضاً إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات.

إن عظمة قدرته الفائقة هي " نَحْنُ نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ " تلك القدرة التي ظهرت في عتقنا من العبودية للشيطان والتي صيرتنا قديسين وبلا لوم قدامه هي هي بعينها القدرة التي أقامت المسيح من الأموات وأجلسته عن يمينه في السماويات. وهل يخطر ببال أحد أن قدرة الله التي ظهرت في الخليقة هي لحساب المؤمن؟ ألا يبدو فكر كهذا أنه أمر لا يمكن للعقل البشري أن يصدق؟ ولكن الواقع والصحيح هو أن لنا قوة تفوق تلك التي ظهرت في الخليقة. أعني أن لنا نفس القوة التي ظهرت في إقامة المسيح من الأموات " حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ الَّذِي عَمَلُهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ " ان هذا ما تبينه وتؤكد لنا جليا كلمة الله، وان كان هذا حقاً آمناً به وقبلناه فلماذا نحن اذن ضعفاء؟ لماذا نشكو من الهزال الروحي؟ السبب هو لأن إدراكنا لهذا الحق إدراك سطحي وليس له عمق في حياتنا، أي لأننا لم نعرف كما يجب أن عظمة قدرة الله الفائقة هي لحسابنا. أن كثيرين من أولاد الله لم يسمعو أو يتعلموا شيئاً عن هذه القدرة الفائقة، وحتى

الذين عرفوا هذا الحق وتعلموه فانهم ليسوا جميعا متمتعين به عمليا واختباريا. أن معرفة هذه الحقيقة تعليميا شيء واختبارها عمليا شيء آخر، فאלله يريدنا أن نختبر هذه القدرة العظيمة والفائقة دائماً، وأن نتزود بها، ليس في أوقات الشدائد والصعوبات فقط بل في كل ناحية من نواحي حياتنا اليومية والعادية.

والذي يملأ قلوبنا سلاماً وراحة هو أن عظمة قدرته الفائقة هي " نحننا نحن المؤمنين " إذ ما كان ممكناً لأحد من القديسين أن يعرف ذلك إلا بعد إقامة المسيح من

الأموات، أي أن تلك القدرة هي نحننا نحن مؤمنوا العهد الجديد – نحن الذين آمننا بعد موت وقيامة الرب يسوع.

إن مقياس القوة التي لحسابك أيها المؤمن هو ذات القوة التي عملت في المسيح إذ أقامته من القبر وأجلسته عن يمين أبيه في السماويات، وإن عدم إدراك ذلك هو علة ما يشكو منه كثيرون من المؤمنين، ولا سيما في هذه الأيام الأخيرة، من ضعف وجذوبة روحية، ولكن العلاج الإلهي الوحيد لهذه الحالة هو في المسيح يسوع ربنا، فمتى ارتبطت قلوبنا به وشخصت عيون إيماننا إليه فإننا نختبر علمياً " قوة قيامته " – نختبر في كل ناحية من نواحي حياتنا نفس القوة التي أقامته من الأموات مادامنا سالكين في شركة حياة ودائمة معه. لقد نزل الرب يسوع إلى أقسام الأرض السفلى – إلى القبر، وكأن الشيطان وأجناده انتصروا وفرحوا عندما رأوه تحت سلطان الموت ولكن الله أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات، وهو هناك كالإنسان الممجد باسمي وأرفع مجد، إلا أن الأمر الوحيد الذي ينبر عليه الرسول هنا هو أن القدرة التي عملت كل ذلك للرب يسوع لا زالت هي نفس القوة التي تعمل فينا نحن المؤمنين طالما لا نعطل أو نعيق عمله فينا بسبب انحرافنا أو ميلنا إلى الأمور العالمية. ليتنا نكون ساهرين لهذا بعينه فلا نعود نشكو مرة أخرى من أنه ليست لنا القدرة على الانتصار على أية تجربة أو أية خطية تعترض سبيلنا.

* * * * *

(٢١) " فَوْقَ كُلِّ رِيَّاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسَيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هَذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضاً "

عجيبه حقاً وعظيمة هي قدرة الله الفائقة فإن ذاك الذي مات فوق الصليب و ووري في القبر قد أقامه الله من الأموات أن الذي نزل أولاً إلى أقسام الأرض السفلى هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات، فما اكبر الفرق بين القبر الذي وضع فيه الرب يسوع وبين المجد الذي رفعه الله إليه أنه الآن هناك كإنسان – الإنسان الممجد والذي صار أعلى من كل الخلائق بل هو أعلى من اسمي الخلائق التي لم تتدنس كالإنسان بالخطية. أهم ملائكة

أو رؤساء ملائكة؟ لقد أجلسه الله عن يمينه في السماويات فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً. وفي يوم قريب سيستعلن ذلك عندما يأتي " وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ الْقَدِيسِينَ مَعَهُ " (مت ٢٥ : ٣١).

لقد وضع المسيح نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب ولكن الله رفعه " وَأَعْطَاهُ اسماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَجْتُوبَاسْمَ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَيَعْتَرَفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبُّ لِمَجْدِ اللَّهِ الْاب " (في ٢ : ٨-١١). نعم لقد رفعه الله إذ أجلسه عن يمينه في السماويات، وذلك كإنسان أو بالحري كالإنسان الفريد، لأن سموه ورفعته فوق جميع الكائنات العلوية كالله ليس شيئاً جديداً إذ هو كذلك منذ الأزل، ولكنه بناسوته سما بالإنسانية فوق هؤلاء جميعاً. انه، تبارك اسمه، قد قام من بين الأموات كإنسان – الإنسان الممجد ولا يزال عن يمين الاب كإنسان الذي هو " فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وكل * اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً "

* * * * *

(٢٢ و ٢٣) " وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْساً فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلءُ الَّذِي يَمْلَأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ "

تأمل ملياً في هذه الإعلانات الإلهية المباركة، فإن ربنا يسوع المسيح، الذي

- ان اسم " يسوع " هو الاسم الذي أعطى له كإنسان (مت ١ : ٢١) ولكن معناه " يهوه مخلص "

أجلسه الله عن يمينه في السماويات فوق كل الخلائق التي ترى والتي لا ترى، قد

اخضع (الله) كل شيء تحت قدميه، وليس ذلك فقط بل جعله رأساً فوق كل شيء للكنيسة. وجدير بالملاحظة انه لا يقول هنا انه جعله " رأساً فوق الكنيسة " بل " رَأْساً فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ " أي أن الإنسان الكامل ربنا يسوع المسيح، المقام من بين الأموات والممجد والذي أعطاه الله سلطاناً ومركزاً فوق كل شيء، جعله رأساً للكنيسة، فالكنيسة ستشاركه في سيادته ومركزه فوق كل شيء، ولكنها ستشاركه في ذلك كجسده المتحد والمقترن به بدون انفصال عنه. أن الله قد أخضع كل شيء – كل الخلائق المنظورة وغير المنظورة تحت قدميه. أخضع هذه كلها تحت قدميه باستثناء شيء واحد وهو " الكنيسة " فإن مركزها ليس تحت قدميه لأنها هي جسده. نعم انه نصيب صالح بل هو شرف عظيم أننا نأخذ مركزنا عند قدميه – أن نجلس عند قدمي سيدنا المعبود نسمع كلامه ونتعلم منه (لو ١٠ : ٣٩-٤٢)

ولكن مركزنا كمقترنين به ليس تحت قدميه " لَأَنَّا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ " (أف ٥ : ٣٠).

ان ربنا يسوع الإنسان الكامل له المركز الاسمي فوق كل خليفة الله، وهو، تبارك اسمه سيشاركنا معه في ذلك المركز، وسيستعلن ذلك أمام الخلائق بأسرها أن المسيحي الحقيقي هو عضو في جسد المسيح. هو عضو في ذلك الجسد الآن وليس فيما بعد فقط، وهذا يرينا سمو الدعوة التي دعينا اليها وكيف أن الله ينتظر منا انفصالا عن هذا العالم الشرير وعن كل ما في العالم. نحن خاصة المسيح وأعضاء جسده لذا يريدنا أن نسمو بقلوبنا وعواطفنا فوق مشهد هذا العالم الحاضر الموضوع في الشرير.

* * * * *

إن الكنيسة هي ملء المسيح أو بعبارة أو ضح هي الأعضاء المكملة للمسيح كالإنسان المقام من بين الأموات. انه كابين الله هو ، بلا شك، ليس محتاجا إلى شيء، ولكنه كإنسان وكأرأس الجسد الممجد هو في حاجة إلى بقية الأعضاء، أعنى الكنيسة، لتكمل هذا الجسد. فقد كان قصد الله الأزل، أن ربنا يسوع يشترك معه في مجده، كالإنسان المقام من بين الأموات والممجد، أولئك الذين كانوا خطاة تعساء ولكنهم أنقذوا من تعاستهم وصاروا واحدا مع المسيح، ولذلك لحمده ومدح مجده طوال الأبدية.

تفكر في هذا فقد كنا خطاة هالكين ولا نستحق شيئا سوى دينونة الله الرهيبة، ولكنه، تبارك اسمه، قد خلصنا بنعمته الغنية، وليس ذلك فقط بل صيرنا أعضاء جسد المسيح، هذا الجسد المكمل له كإنسان بينما في الوقت ذاته هو الله " الذي يملأ الكل في الكل " *.

حقاً ما اسمى ما أو صلتنا اليه النعمة الغنية وبالتبعية ما أخطر مسئوليتنا في أن نظهر المسيح في حياتنا في هذا العالم! — أن نعلن محبته ونعمته وقداسته وكرامته للخاطية، كما نعلن أيضاً شفقتة على الخطاة في اهتمامنا باقتيادهم اليه وإلى غنى نعمته. لقد تركنا في هذا العالم لنظهره ولنظهر محبته للعالم الذي رفضه وصلبه. ليتنا ننهض لنذكر كما ينبغي عظم مسئوليتنا مدة وجودنا في هذا العالم إلى أن يجيء.

* أن ربنا يسوع باعتباره الله الخالق لكل الكائنات " يملأ الكل " " فانه فيه خلق الكل.. الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل " (كو ١ : ١٦ و ١٧) كما انه يرى " في الكل " بأعتباره الضابط أو الحافظ لكل الخليقة والمهيمن عليها " وَحَامِلٌ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ " (عب ١ : ٣). وجاء في إحدى الترجمات العربية " واملء الذي يملأ الجميع في كل شيء "

الأصاحاح الثاني

رأينا في بدء تأملاتنا في هذه الرسالة أن موضوعها هو "المسيح والكنيسة" والعلاقة الوثيقة والأبدية التي بينهما. هذه العلاقة التي يرسمها لنا الروح القدس فيها (أي في الرسالة) في صور متنوعة، ورأينا أيضاً كيف أن الروح القدس يقدم لنا في الأصاح الأول، العلاقة التي بين المسيح والكنيسة مرسومة في صورة "جسد" وان ربنا يسوع المسيح هو رأس هذا الجسد، والكنيسة التي هي جميع المؤمنين المولودين من الله في عهد النعمة هذا (أي العهد الجديد) – هذه الكنيسة هي جسد المسيح، والمؤمنون أفراداً هم أعضاء هذا الجسد. ان "الرأس" هو الآن في السماء، وقد أتى بالروح القدس إلى العالم بعد أن ارتفع المسيح إلى السماء ليقود النفوس إلى المسيح، أي ليجمع أعضاء هذا الجسد، وعندما يتكامل هذا الجسد سيأتي الرب يسوع "رأس الجسد" لضم إليه جميع الاعضاء ليكونوا معه كل حين في مجده.

أما في هذا الأصاح (الثاني) فإن الروح القدس يرسم أمامنا المسيح والكنيسة في صورة "بناء" وان المؤمنين الحقيقيين هم "بيت الله" المبنيون على "أساس الرسل والأنبياء" (أي أنبياء العهد الجديد) وان ربنا يسوع المسيح هو "حجر الزاوية" الذي يلزم كل البناء من بدايته – من الأساس إلى أن يكمل هذا البناء "الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّباً مَعاً يَنْمُو هَيْكَلًا مُقَدَّسًا فِي الرَّبِّ. الَّذِي فِيهِ أَنْتُمْ أَيْضاً مَبْنِيُونَ مَعاً، مَسْكَنًا لِلَّهِ فِي الرُّوحِ" (٢ : ١٩-٢٢). فهو، له المجد، حجر الزاوية، بل هو الذي بنفسه يبدأ ويتم البناء "ابنى كنيسة" (مت ١٦ : ١٨) فكما أن المسيح ربنا هو رأس الجسد كذلك هو "حجر الزاوية" الذي يربط ويصون البناء ويضمن سلامته إلى النهاية (٢ : ٢٠، أش ٢٨ : ٦، زك ٤ : ٧، ١بط ٢ : ٦) هو "حجر الزاوية" كما أنه أيضاً "رأس الزاوية" (مز ١٨ : ٢٢، مت ٢١ : ٤٢، مر ١٢ : ١٠، لو ٢٠ : ١٧، أع ٤ : ١١، ١بط ٢ : ٧) هذه الصورة الجميلة الثانية التي فيها يرسم الروح القدس أمامنا العلاقة الوثيقة والأبدية التي بين المسيح والكنيسة.

* * * * *

إنه يرينا أيضاً كيف أن البشر الخطاة قد انفصلوا عن الله : (أولاً) بسبب موتهم روحياً (١٤-١٠) و(ثانياً) بسبب بعدهم عن الله، ولاسيما الذين من الأمم (١٤-٢٢).

* * * * *

(أولاً) الانفصال عن الله بسبب الموت روحياً (١٤-١٠)

يستعمل الرسول في هذا الجزء (الأول) من هذا الاصحاح اسلوبا خاصا، فهو يقدم لنا الحقائق المتضمنة فيه في أربع مجموعات ثلاثية – أي أن كل مجموعة مكونة من ثلاث حلقات :

(أ) المجموعة الأولى هي أعداء الإنسان الثلاثة " العالم " (٢٤) " والشيطان " الذي هو " رئيس سلطان الهواء الروح " (٢٤) و " الجسد " (٣٤).

(ب) المجموعة الثانية هي النتائج البغيضة الثلاث لما عمله هؤلاء الأعداء الثلاثة للبشر وهي " الموت بالذنوب والخطايا " (١٤) ثم صيرورتهم " أبناء المعصية " (٢٤) وبالتبعية صاروا " أبناء الغضب " (٣٤).

(ج) المجموعة الثالثة المباركة هي وسائل الله العظيمة والعجيبة لخلاص الإنسان وبركته وهي " الرحمة الغنية " (٤٤) " والمحبة الإلهية الكثيرة " (٤٤) " والنعمة الغنية والفائقة " (٥٤و٧).

(د) المجموعة الرابعة هي النتائج الثلاث المجيدة للوسائل الإلهية الثلاث وهي " أحيانا مع المسيح " (٥٤) " وأقامنا معه " (أو معا) (٦٤) " وأجلسنا معه (أو معا) في السماويات في المسيح " (٦٤).

* * * * *

ثم لنلاحظ حقيقة هامة أخرى وهي أنه يضع أمامنا في هذه الأعداد " ماضينا " (١٤-٣) و " حاضرا " (٦٤-٤٤) و " مستقبلا " أيضاً (٧٤). تبارك اسمه المعبود فكما أنه يذكرنا بماضينا المخزى فانه يفرحنا بحاضرا السعيد وبمستقبلنا المجيد.

* * * * *

(١) " وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا "

إنه بقدر ما يزداد إدراكنا نحن المؤمنين لحالتنا التي كنا عليها بحسب الطبيعة، بهذا القدر عينه يزداد تقديرنا لما عملته نعمة الله لأجلنا وفينا وبالتالي يزداد سجود وتعبد قلوبنا له، فأننا لم نكن قبلا مجرد ضعفاء أو مرضى روحيا، وأن شيئا من الاصلاح أو التهذيب كان كافيا لمعالجة حالتنا. كلا بل كنا أمواتا بالذنوب والخطايا. هذا ما تعلنه لنا كلمة الله بوضوح. يا لها من لطمة يوجهها الوحي الإلهي للإنسان الطبيعي أو لكل من يعتد بیره الذاتي. لقد كنا عاجزين عن أن نخلص أنفسنا لأن الإنسان الميت لا يستطيع أن يفعل شيئا به يحيى نفسه، فهو ميت روحيا، وطالما يبقى بعيدا عن الرب يسوع مصدر الحياة فهو ميت وليس فيه نبضة حياة لله. إنه ميت بالذنوب والخطايا، فهو ليس مجرد مذنب أو

خاطيء يحتاج إلى غفران خطاياه، ولكنه ميت روحيا ومحتاج إلى ما هو أكثر من غفران الخطايا – محتاج إلى حياة إلهية جديدة، لهذا كان ينبغي أن يولد ولادة جديدة أي أن ينال من الله حياة جديدة بالإيمان بالرب يسوع المسيح.

* * * * *

كان أحد خدام الرب الموهوبين يعقد إجتماعات تبشيرية في قاعة بإحدى جمعيات الشبان المسيحية، وفي يوم من الأيام أراه سكرتير تلك الجمعية ورقة (كارتا) مطبوعا عليها هذه الكلمات " أتعهد بكل أمانة أن أحيا حياة دينية مسيحية " ثم في ذيل الوريقة مكان ليقع فيه كل متعهد بإمضائه، وقال السكرتير لخدام الرب " ما رأيك في هذا التعهد؟ أليست هذه وسيلة نافعة؟ " فأجابه خدام المسيح " كيف يستطيع أي إنسان في العالم، وهو ميت روحيا أن يحيا حياة مسيحية؟ وما الفائدة التي تعود على الإنسان الخاطيء من تعهد مثل هذا؟ إنك لا تستطيع أن تحيا حياة مسيحية ما لم تأخذ حياة جديدة من المسيح.

* * * * *

لسنا ننكر أن هناك بين البشر درجات من حيث العيشة في الذنوب والخطايا، فليس الكل في مستوى واحد من حيث الأخلاق والصفات الأدبية وليسوا جميعا نظير بعضهم البعض في ارتكاب الشرور والآثام، إلا أنهم جميعا أموات روحيا بالرغم مما بينهم من تفاوت في الصفات والأخلاق. لقد كانت ابنة يائرس ميتة من دقائق قليلة عندما أتى الرب يسوع إلى بيت أبيها، ولكنها كانت ميتة وبدون حياة. ربما كان منظرها لا يزال نضرا، وكانت لا تزال جميلة في عيون والديها إذ لم يكن قد تطرق الفساد إلى جسدها، ومع ذلك فقد كانت ميتة. كذلك عندما ذهب الرب، له المجد، إلى نايين رأي الذين يحملون الابن الوحيد لأمه الأرملة (لو ٧ : ١١-١٧) لقد كان ذلك الشاب ميتا من يوم أو يومين وبذا لم يكن في منظره الخارجى نضرا كما كانت ابنة يائرس، ومع ذلك لم يكن هناك فرق بينهما إذ كان كل منهما ميتا نظير الآخر. ثم أن ربنا المبارك أتى أيضاً إلى بيت عنيا وإلى حيث كان قبر لعازر، وإذ قال للواقفين " إرفعوا الحجر " إعتزست مرثا أخت الميت قائلة " ياسيد قد أنتن لأن له أربعة أيام " ولكن الرب يسوع وهب الحياة لذاك الذي مات وبقي في القبر أربعة أيام " حتى فسد جسده وأصبح نتنا. ومع ذلك فإنه لم يكن هناك، من حيث الموت، فرق بين ابنة يائرس وابن أرملة نايين وبين لعازر، فالكل كانوا أمواتا على السواء " لأنه لا فرق " والكل كانوا في حاجة إلى رئيس الحياة – ابن الله المبارك لكى يهب كلا منهم نفس قوته المحيية.

كذلك نحن أيضاً كنا كلنا بدون استثناء أمواتا روحيا قبل أن يهبنا المسيح حياة أبدية. صحيح أن البعض منا كانوا عائشين عيشة الفجور والفساد بينما كان البعض الآخر لم يتورط ولم

يتوغل في الذنوب والخطايا ومع ذلك فجميعنا كنا أمام الله أمواتا واحتجنا إلى حياة إلهية جديدة من نبع ومصدر الحياة الرب يسوع المسيح.

* * * * *

(٢) " الَّتِي سَلَكَتُمْ فِيهَا قَبْلًا حَسَبَ دَهْرٍ هَذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الْآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ "

جدير بنا أن نراعى دقة التعبير هنا فإن الروح القدس يضع أمامنا كلمتين للتعبير لا عن حالتنا الحاضرة بل عن الحالة التي كنا عليها قبل تجدينا وهما " كنتم " (١ع) و " قبلًا " (٢ع) فقد كنا أمواتا بالذنوب والخطايا التي سلطنا فيها قبلًا حسب دهر هذا العالم. حقاً ما ابشع هذا النوع من الموت! الموت الروحي أعنى الانفصال الكلى عن الله والسلوك بحسب مبادئ هذا العالم الشرير، فلم يكن فينا أي ميل أو رغبة في أن نسير أو نسلوك بحسب إرادة الله، ولقد وصف أيوب قديماً الحالة التي كنا عليها قبلًا والتي لا يزال عليها كل البعيدين عن الله وصفا صادقا إذ قال " فَيَقُولُونَ لِلَّهِ : ابعُدْ عَنَّا. وَبِمَعْرِفَةِ طُرُقِكَ لَا نُسَرُّ. مَنْ هُوَ الْقَدِيرُ حَتَّى نَعْبُدَهُ وَمَاذَا نَنْتَفِعُ أَنْ التَّمَسَّنَا؟! " (أيوب ٢١ : ١٤ و ١٥) يا لها من حالة مروعة، فإن من يبعد الله عن نفسه الآن لابد أن يواجهه فيما بعد كالديان، ومن يرفض خلاص الله أو بالحري يزدري بالمخلص الوحيد من دينونة الخطايا فلا بد أن يقابله في خطاياه فيهلك إلى الأبد.

لقد كنا سالكين " حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء " يبين كيف أن سيادة رئيس الملائكة الأشرار سيادة شاملة في هذا العالم، فكما أن الهواء يتخلل كل الأشياء كذلك ابليس في العالم. إنه إله هذا الدهر، أما القديسون الذين ولدوا ثانية " أَنْقَذْنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ وَنَقَلْنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ " فقد أنقذوا من سلطان الظلمة

ونقلوا إلى ملكوت ابن محبة الاب (كو ١ : ١٣) بينما غير المخلصين لا يزالون عبيدا في مملكة ابليس. أن عمل الشيطان هو أن يبعد الناس عن الله إذ يوجدتهم، بارادتهم، في حالة العمى الروحي " لِئَلَّا تُضَيَّ لَهُمْ إِنْآرَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ " (٢كو ٤ : ٤).

هذا هو وصف الله الصادق لحالتنا قبل إيماننا بالرب يسوع المسيح، كما أن هذه هي الصورة الحقيقية لغير المخلصين فإنهم لا يزالون عبيدا لرئيس سلطان الهواء " الروح الذي يعمل في أبناء المعصية " حقاً ما أتعس النفس التي لم تلجأ بعد إلى المخلص الوحيد ربنا يسوع المسيح! وما أسعد النفس التي تذوقت غبطة العتق من عبودية ابليس بقوة ذاك الأقوى الذي استطاع أن يربط القوى وينهب أمتعته!

* * * * *

لقد كنا " أبناء المعصية " هذه المعصية التي ورثناها من أبينا الساقط آدم، ولكن تبارك اسم إلهنا وربنا يوع المسيح الذي بإطاعته حتى الموت صيرنا " أولاد الطاعة " (١ بطا : ١٤)
حقاً ما أكبر وأعظم الفرق بين ما أو رثنا إياه الإنسان الأول ما أو رثنا إياه الإنسان الثاني
الرب يسوع المسيح " لَأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً هَكَذَا أَيْضاً
بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَاراً " (روم : ٥ : ١٩).

يا له من امتياز أننا نقلنا من حالتنا كأبناء المعصية وصرنا بنعمة إلهنا أولاد الطاعة، وكما
أن هذا امتياز مبارك، فإنها مسئولية خطيرة بأن نسلك كما يليق بهذه النسبة المباركة "
كأولاد الطاعة لا تشاكُلُوا شَهَوَاتِكُمْ السَّابِقَةَ فِي جَهَالَتِكُمْ بَلْ نَظِيرِ الْفُؤُوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا
أَنْتُمْ أَيْضاً قَدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ " (١ بطا : ١٤ و ١٥).

مسكين حقاً هو الإنسان البعيد عن الله – الإنسان التراي الحقيق الذي يعيش كل حياته في
حالة العصيان على الله وعلى ارادته المقدسة، وفي الوقت نفسه ما أعجب أناة الله على
البشر التعساء " أبناء المعصية " ! ولكن إمهال الله محدود بساعة النعمة ويوم الخلاص
فلا بد أن يجيء الوقت الذي فيه تنتهي سنة الرب المقبولة وعندئذ يبدأ " يوم الانتقام " – يوم
القضاء الرهيب والدينونة المروعة. ليت القارئ العزيز، أن كان لم يلجأ بعد إلى الرب
يسوع المخلص الوحيد، ليته يأتي إليه الآن قبل فوات الفرصة " هوذا الآن وقت مقبول هو
ذا اليوم يوم خلاص اليوم أن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم "

(٣) " الَّذِينَ نَحْنُ أَيْضاً جَمِيعاً تَصَرَّفْنَا قَبْلَ بَيْنَهُمْ فِي شَهَوَاتِ جَسَدِنَا، عَامِلِينَ مَشِيئَاتِ
الْجَسَدِ وَالْأَفْكَارِ، وَكُنَّا بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءَ الْغَضَبِ كَالْبَاقِينَ أَيْضاً "

ينتقل الرسول في كتابته هنا من صيغة المخاطب " انتم " (١٤) إلى صيغة المتكلم " نحن
" وذلك لأنه إذ كان يوجه كلامه إلى المؤمنين في أفسس الذين كانوا من الامم فإنه يقول لهم
" أنتم " ولكنه إذ يضم اليهم اليهود أيضاً الذين كان هو واحدا منهم، يقول " نحن " مبينا
ومحققا بذلك بأنهم (أي اليهود) كانوا جميعا نظيرهم أمواتا بالذنوب والخطايا " الذين نحن
أيضاً جميعا تصرفنا قبلا بينهم (أي بين الامم) في شهوات جسدنا " هذه الحقيقة يوضحها
الرسول بأكثر تفصيل في رسالته إلى أهل رومية (أصحاب ٣) " فماذا اذا. نحن (اليهود)
افضل؟ كلا البتة. لاننا قد شكونا (أي أقمنا الحجة في الاقوال السابقة) أن اليهود واليونانيين
(أي الامم) أجمعين تحت الخطية. كما هو مكتوب انه ليس بار ليس ولا واحد لانه إذ يقاس
البشر جميعا امام الله بمقياس قداسته التي أعلنها في المسيح، فانهم جميعا يقفون على قدم
المساواة " أمواتا " روحيا وهل هناك درجات في الموت؟ كلا فانه إذا مات إنسان ما فقد
انتهى ولم يبق له وجود، هكذا كنا جميعا، أمما ويهودا على السواء – أمواتا روحيا

ومتجنبين عن حياة الله. هذا ما يؤكد الرسول هنا بقوله " الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار " هذا هو الوصف الحقيقي لجميع الناس بغير استثناء. قد يكون بينهم أناس أديبون أو محسنون. أو قد يكون بينهم علماء أو فلاسفة، ولكن المحك الوحيد لأفضل البشر اللطفاء والمحسنين هو " هل فيهم نبضة حياة إلهية أو دافع روحى لعمل مشيئة الله؟ كلا. قد يجتهدون في تحسين أو تهذيب (طبا) عهم ومع ذلك فسيقى الله بعيداً عن افكارهم وليس له مكان في قلوبهم. هذه هي حقيقة حالة الجميع – اليهود والأمم على السواء.

إن الرسول يشير هنا إلى نوعين من الرغائب والشهوات، أعنى مشيئات الجسد والأفكار – أي رغائب " الجسد " وشهواته الدنيئة، وأيضاً " الأفكار " الإنسانية حتى وان كانت مهذبة، فإن هذه وتلك مصدرها الطبيعة البشرية الساقطة " المولود من الجسد جسد هو " هب أن إنساناً كرس نفسه لخدمة العلم* وجعله هدف حياته الوحيد، فهل يعتبر تكريسه هذا بحسب مشيئة الله؟ كلا بل بالحري هو إنغماس في عمل مشيئات ورغائب " الأفكار " الإنسانية ولا يختلف في عمله هذا عن غيره ممن يعيشون في شهوات الجسد – " العاملین مشيئات الجسد " أن الكبرياء ومحبة الذات والاهتمام بالأمور العالمية وغيرها هي من رغبات ومشيئات الذهن ولا تختلف شيئاً، أمام الله عن الشهوات الجسدية.

إن الأصحاحات الثلاثة الأولى من رسالة رومية ترسم أمامنا صورة بغیضة لمشيئات وشهوات الجسد بينما الأصحاحات الثلاثة الأولى من رسالة كورنثوس الأولى (حيث الافتخار بالعلم والمعرفة الإنسانية) ترينا صورة لمشيئات الأفكار، وكل نوع منهما شرير أمام الله كالأخر تماماً. أن الحقيقة الجوهرية هي انى لست ملكا لنفسى بل لذاك الذي اشتراني واقتداني بدمه الكريم و وهبنى حياة ابدية بل هو حياتي. فهل يليق بي أن أعمل مشيئات الجسد والأفكار؟ أليس من واجبي بل هو امتياز لي أن لا أحيا لنفسى بل لذاك الذي مات لأجلي وقام؟

فأنا لست لذاتي ليس لى شىء هنا

كل ما عندي لفادي الخلق وهاب المنى

اذ فدانى إذ فداني ذاك بالدم الكريم

* لسنا نقصد بهذا أن نبخس قيمة العلم لكن متى كان هذا هدف وغاية الحياة فانه يعتبر من " مشيئات الافكار "

" وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً " هذا ما كنا عليه قبلاً – " أبناء الغضب " لأننا بالإثم صورنا وبالخطية حبل بنا، لقد ولدنا بالخطية وفي الخطية – نجسين ملوثين

بالإثم. هذه صورة صحيحة لجميع الناس بغير استثناء - حتى لأفضل البشر كما لأشر الناس، لليهود كما للأمم على السواء لذا " كنا بالطبيعة أبناء الغضب " على أن الله لم يخلق الإنسان هكذا، ولكن الإنسان فضل العلاقة مع الشيطان بدلاً من الله، فأصبح ابناً للمعصية وبالتالي ابناً للغضب، حقاً ما أتعس حالة كهذه ولكن الله في لطفه وصلاحه ونعمته قد انقذنا من هذه الحالة التعسة بواسطة ابنه الحبيب ربنا يسوع المسيح وبعمله لأجلنا فوق الصليب.

* * * * *

(٥٤و) " أَللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ - بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ "

تأملنا في الثلاثة الأعداد السابقة في المجموعتين الأولى والثانية، أعنى اعداء الإنسان الثلاثة وهم العالم والشيطان والجسد، ثم في النتائج الثلاث لما عمله هؤلاء الأعداء للبشر وهي الموت بالذنوب والخطايا ثم صيرورتهم أبناء المعصية وبالتبعية أبناء الغضب.

إن أماننا الآن المجموعة الثالثة المباركة وهي وسائل الله الثلاث لخلاص الإنسان وبركته، وهي الرحمة الغنية، والمحبة الإلهية الكثيرة، والنعمة الغنية الفائقة (٤٤و٧).

١. الرحمة الغنية : لقد كنا أمواتا روحيا، ضعفاء وعاجزين عن خلاص أنفسنا، ولكن الله " الغنى في الرحمة " تداخل في أمر خلاصنا وإحيائنا. يالسمو هذا الغنى الإلهي الكامل! لقد رأينا في الاصحاح الأول " غنى نعمته " (٧٤) " وغنى مجده " (١٨٤) وهوذا ما كنا نحتاج اليه، فقد كنا أمواتا متجنبيين عن حياة الله، ولكنه أظهر غنى رحمته في إنقاذنا من بؤسنا وتعاستنا وفي منحنا حياة ابدية.

* * * * *

٢. المحبة الكثيرة : كما أن الله غني في رحمته، كذلك هو عظيم في محبته " من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها " فالرحمة الغنية التي أدركتنا أتت إلينا من قلب الله الملىء والفائض بالمحبة من نحونا نحن الخطاة. وكما أن رحمته غنية هكذا محبته لنا كثيرة " الله بَيَّنَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا " (رو ٥ : ٨) نعم لقد أحبنا بهذه المحبة العظيمة " ونحن أموات بالخطايا " بِهِذَا أُظْهِرْتُ مَحَبَّةُ اللَّهِ فِيْنَا : أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ. ١٠ فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ : لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللَّهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا " (١يو ٤ : ٩و١٠).

* * * * *

٣. النعمة الغنية : حقاً ما أعجب هذا! فإن الله الغنى في رحمته والعظيم في محبته هو غنى أيضاً في نعمته. تبارك اسمه المعبود. فإنه لم يكن فينا شيء طيب أو صالح يستميل قلبه اليانا، بل هي النعمة الفائقة التي ادركتنا " بالنعمة أنتم مخلصون " فلم يكن الله غنيا في الرحمة فقط – الرحمة التي بها نظر اليانا في بؤسنا وتعاستنا فأنقذنا منها، ولكنه أجزل لنا نعمته أيضاً.

إن الرحمة هي انقاذ البائس من بؤسه والتعيس من تعاسته والفقير من فقره، أما النعمة فإنها تعمل أكثر من ذلك. انها تغدق الخير والاحسان والبركة إلى من ليسوا أهلاً لشيء منها " بالنعمة أنتم مخلصون " انها لا تهيب مجرد غفران للخطايا بل أكثر من ذلك – تهيب برا إلهيا مجانيًا. لقد طلب الابن الضال رحمة من الموت جوعاً ولكن الاب غمره بنعمة غنية فائقة لم تكن تخطر له ببال (لوقا ١٥).

(١) " أحيانا مع المسيح " هذه هي المعجزة الإلهية الأولى التي عملها الله في رحمته الغنية ومحبته الكثيرة ونعمته العجيبة، فانه تبارك اسمه " أحيانا مع المسيح "

وهذا ما كنا نحتاج اليه. لقد كنا أمواتا روحيا – أمواتا بالذنوب والخطايا، ولكن الله الغنى في الرحمة والعظيم في المحبة " أحيانا مع المسيح " فأحيانا أي منحنا الحياة الأبدية مرتبط بربنا يسوع المسيح المقام من بين الأموات. ذلك لأن الحياة الأبدية هي في الابن " .
اللَّهُ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهَذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ مَنْ لَهُ الْابْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللَّهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ " (١ يوحنا ١٢ : ١٠). لقد أتى المسيح لكي تكون للمؤمنين به حياة وليكون لهم أفضل (أي حياة سامية وفضلى) وذلك على أساس إتمامه عمل الفداء وقيامته من بين الأموات.

وكما أن الكل – اليهود والأمم بدون استثناء – كانوا أمواتا بالذنوب والخطايا، كذلك فإن الله من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها أحيانا (معا)^(١) مع المسيح أي أحيانا نحن المؤمنين بالمسيح من اليهود والأمم على السواء – أحيانا مع المسيح. وهل ننسى الكلفة الكبيرة التي تكلفها الله في سبيل إحيائنا من الموت؟ لقد بذل ابنه الحبيب لكي نحيا به " لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأبدية " لقد مات ربنا يسوع المسيح واحتمل فوق الصليب دينونة الله العادلة. مات رئيس الحياة فابطل الموت وأثار الحياة والخلود. نعم لقد مات القدوس تحت دينونة الله المروعة. مات البار موتا فريدا في نوعه – موتا لم يذق مثيله واحد من البشر الخاطئة، وذلك لكي يهب الحياة الأبدية لأشر الخطاة الذين يضعون ثقتهم فيه وفي كفاية عمله لأجلهم فوق الصليب.

(١) جاءت هذه العبارة في ترجمات عديدة هكذا Hath quickened us together with Christ.

(٦) " وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجَلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ "

(٢) و أقامنا معه هذه هي المعجزة الثانية التي عملها الله في رحمته الغنية ومحبه الكثرة ونعمته الفائقة الادراك، فقد " أقامنا معه " أو بالحري " أقامنا معا وأجلسنا معا في السماويات في المسيح يسوع(١) " فلم يكتف الله بأن وهبنا حياة ابدية بل أقامنا أيضاً معا (أي المؤمنين بالمسيح من اليهود والأمم) — أقامنا مع المسيح.

عندما أتت النساء إلى قبر المسيح، قال الملاك لهن " لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ؟ لَيْسَ هُوَ هَهُنَا لَكِنَّهُ قَامَ! " (لو ٢٤ : ٥) فما كان ممكناً أن الحي يبقى بين الأموات، وهذا ما عملته نعمة الله، تبارك اسمه، لم يهبنا الحياة فقط ولكنه أقامنا أيضاً (معا) مع المسيح. فإن كنا كمسيحيين حقيقيين قد قمنا مع المسيح اذن يجب علينا أن نطلب ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله وأن نهتم بما فوق لا بما على الأرض (كو ٣ : ١ و٢).

* * * * *

(٣) أما معجزة الرحمة والمحبة والنعمة الثالثة فهي أن الله، له المجد " أجلسنا معا في السماويات في المسيح يسوع " هذا هو مقامنا ونحن هنا على الأرض، وذلك بسبب اتحادنا بالمسيح رأسنا. أن ربنا يسوع الذي أقامه الله من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات هو رأس الجسد، وحيث أن المؤمنين الحقيقيين هم أعضاء جسده فلا يمكن أن يرى الجسد مستقلاً عن الرأس أو منفصلاً عنه. فكما أن المسيح الرأس قد أجلسه الله عن يمينه في السماويات (١ : ٢٠) كذلك قد أجلسنا الله في السماويات في المسيح. هذا هو مركزنا ومقامنا الآن " في السماويات في المسيح يسوع " وبعد قليل سيأتي الرب ليأخذنا اليه وعندئذ سنكون " مع المسيح " أما الآن فأنا ونحن هنا على

(١) جاءت هذه الآية في ترجمات عديدة هكذا

" And has raised us up together, and made us sit together in " heavenly places in Christ Jesus

الأرض فإن الله قد أجلسنا معا (أي المؤمنين من اليهود والأمم) في السماويات في المسيح يسوع. وكما كان رئيس الكهنة في العهد القديم يحمل على صدره وعلى كتفيه أسماء الأسباط الاثني عشر عند دخوله إلى قدس الأقداس، وكانوا يرون فيه، هكذا نحن نرى الآن

في المسيح، وهذا مقام سماوي لجميع المؤمنين الحقيقيين بغير استثناء، وليس هو حالة عملية أو اختبارية ولو أن حالتنا العملية والاختبارية يجب أن تكون متوافقة مع هذا المركز السماوي.

* * * * *

(٧) " لِيُظْهِرَ فِي الدَّهْرِ الْآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقِ بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ "

هنا نرى الغاية القصوى التي لأجلها فاضت علينا الرحمة والمحبة والنعمة الإلهية. أن غاية الله العظمى والتي كانت في قصده منذ الأزل هي أن يظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللفظ علينا في المسيح يسوع، فانه تبارك اسمه، لم ينظر فقط إلينا وإلى ما كنا نحتاج إليه كخطاة مساكين ومعوذين بل نظر إلى ما فيه مجده ومجد ابنه الحبيب إلى اباد الدهور كلها.

إن الله سيظهر غنى نعمته لا في " الدهر الآتي " أعنى الملك الألفي السعيد فقط، بل " في الدهور الآتية " أي الأبدية التي لا نهاية لها، إذ أن قصده الاسمي في عمل الفداء ليس هو مجرد خلاص وسعادة المفديين بل إظهار غنى نعمته الفائق لجميع الكائنات، فالملائكة ورؤساء الملائكة بل والشياطين أيضاً ستري نصرة النعمة الغنية بواسطة ابن الله الحبيب وما عمله فوق الصليب.

اننا عندما نتأمل في الأزل القديم نرى قصد الله ومشورات نعمته من نحو الكنيسة التي اختارها قبل تأسيس العالم، وإذ نتأمل في الأبدية التي لا نهاية لها نرى الكنيسة الممجدة كإعلان للرحمة الغنية والمحبة العجيبة والنعمة الفائقة الادراك، وذلك لمدح مجده. لاسمه المعبود كل سجود وحمد وثناء.

* * * * *

(٨و٩) " لِأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ. ٩ لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلًا يَفْتَخِرُ أَحَدٌ "

ينبر الروح القدس في هذا الفصل على هذا الفصل على هذه الحقيقة الجوهرية وهي أن الخلاص بالنعمة، ففي العدد الخامس من هذا الاصحاح يقول " بالنعمة أنتم مخلصون " ثم في هذا العدد (٨) يعود ليؤكد هذا الحق الجوهرى والأساسي " لِأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ " فالخلاص هو بالنعمة وليس بأي عمل من جانب الإنسان " وذلك ليس منكم هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد " فانه لو كان الخلاص متوقفا على أي عمل أو أي استحقاق من جانبنا لما كان بالنعمة " أَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ فَلَا تُحْسَبُ لَهُ الْأُجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ بَلْ عَلَى

سَبِيل دَيْنٍ " (رو ٤ : ٤). انك إذا كنت تعمل لكي تخلص فكأنك تجعل الله مدينا لك! ولكن هل يستطيع الإنسان بكل أعمال بره ومجهوداته أن يكفر عن خطية واحدة؟! أن النعمة والنعمة وحدها هي الوسيلة الإلهية الوحيدة لخلاص الإنسان.

تخلصون " كأنه أمر غير يقيني بل " بالنعمة أنتم مخلصون " انها بركة حاضرة وابدية كما انها يقينية. حمد ومجدا لإلهنا.

* * * * *

ان الإيمان هو الوسيلة الوحيدة لقبول الخلاص المجاني الذي تقدمه النعمة الغنية للإنسان الخاطئ المسكين. صحيح أن الله اختارنا حسب قصده الأزلي وعيننا للتبني، ولكن الوسيلة التي أعدها الله لنوال نعمة الخلاص وهبة الحياة الأبدية هي الإيمان. انه اليد التي تمسك بالهبة التي يقدمها الله لنا. والله لا يمكن أن يدخل أي إنسان في دائرة النعمة والبركة دون أن يعمل في ضميره وقلبه عملا إلهيا، وذلك بالروح القدس الذي يقوده ليرى حقيقة ذاته كما يراه الله، كما أنه يقوده أيضاً ليرى ويؤمن بما أعده الله له في المسيح يسوع. اننا بالإيمان برسالة الإنجيل ننال الخلاص. ولكن ليس المقصود هو أن الإيمان ذاته هو المخلص بل أن المخلص هو الشخص المبارك الذي هو موضوع الإيمان " لأَنِّي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ، وَمَوْقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ " (٢ تيمو ١ : ١٢) فلا تجعل من إيمانك مخلصاً لك لأن المخلص الوحيد هو الرب يسوع المسيح، والإيمان يمسك به ويثق فيه. ولكي لا يتبادر إلى ذهن أي واحد من المفكرين بأن له أي فضل في اتيانه إلى المسيح وإيمانه به، لذا يضيف الرسول قوله " وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ " وكأن الرسول يقول " ان النعمة والخلاص والإيمان – الكل ليس منكم. هو عطية الله " – العطية المجانية المقدمة من الله لجميع البشر بواسطة الإنجيل، لأن " الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله " فكل من يصغى لرسالة الإنجيل ولا يرفضها بل يقبلها ينال من الله هبة الإيمان والخلاص بالنعمة.

قيل أن احد المبشرين، الذي استخدمه الله في اقتياد الكثيرين إلى المخلص الوحيد الرب يسوع المسيح، كان يتكلم مرة عن الخلاص بالنعمة بالإيمان، بدون أعمال، فاعترضه شخص كان يستند على أعماله الصالحة وسلوكه بالاستقامة ظاناً انه بأعمال بره يكون مقبولا أمام الله، فلم يكن يعرف حقيقة ذاته وأنه خاطيء محتاج إلى المخلص والفادي، فقال له ذلك المبشر " انك إذا دخلت إلى السماء فستكون الإنسان البار الوحيد، لأن كل الذين سيكونون في السماء هم خطاة مخلصون بالنعمة وسيكون موضوع أنشودتهم في السماء : مجدا لحمل الله الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه. هناك سيرنمون للمسيح قائلين " انك ذبحت واشتريتنا لله بدمك " أما أنت فلن تستطيع أن ترنم هكذا، وإذا رنمت هناك

فستقول " مجدا لى لأنى بأعمالي الصالحة وبحياتي المستقيمة أهلت نفسى للسماء " ان الملائكة إذ يسمعونك تمجد وتعظم نفسك لابد انهم يقذفون بك إلى قاع الجحيم " أما الخطاة الذين خلصتهم نعمة الله فلا يفتخرون بشيء في ذواتهم بل بالرب وبنعمته " بِالرَّبِّ تَفْتَخِرُ نَفْسِي " (مز ٣٤ : ٢).

(١٠) " لَأَنَّا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأعمال صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللَّهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا "

تأمل مليا في الترتيب الإلهي الجميل، فمع أن خلاصنا هو بالنعمة وليس من أعمال، الا أن الله قد أعد للمخلصين بالنعمة أعمالا صالحة لكي يسلوكوا فيها، وإنه لمن الأهمية بمكان أن نعرف أن هناك فرقا كبيرا بين التعليم الخاطيء القائل " إعمل لكي تخلص " وبين تعليم الإنجيل الصحيح " إعمل لأنك قد خلصت بالنعمة " بين " إعمل فتحيا " و " إعمل لأنك نلت الحياة "

* * * * *

ان المؤمنين الحقيقيين هم عمل الله الذين خلقوا في المسيح يسوع خليفة جديدة فقد فسدت الخلقه العتيقة ولم تعد صالحة لأي شيء. لا علاج لها وليست قابلة للإصلاح " لَأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عداوة لِلَّهِ إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعاً لِثَامُوسِ اللَّهِ لِأَنَّهُ أَيْضاً لَا يَسْتَطِيعُ. فَالَّذِينَ هُمْ فِي الْجَسَدِ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُرْضُوا اللَّهَ " (رو ٨ : ٧و٨) لذا لم يفكر الله قط في اصلاح هذه الطبيعة الفاسدة بل قضى عليها في صليب المسيح، واستعاض عنها بالخليقة الجديدة بواسطة عمل ابنه المبارك، فكما قضى على الخليقة العتيقة في صليب المسيح، فانه إذ قام المسيح من الأموات بمجد الاب " كالبر من الأموات " وكرأس الجنس الجديد، أقامنا معه بحياة جديدة تختلف كل الاختلاف عن الحياة القديمة " إذا أن كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَ ذَا الْكُلِّ قَدْ صَارَ جَدِيداً " (٢كو ٥ : ١٧).

لقد خلق الله الخليقة الأولى بكلمته " بِالْإِيمَانِ نَفْهَمُ أَنَّ الْعَالَمِينَ أُتْقِنَتْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ " (عب ١١ : ٣) أما الخليقة الجديدة التي هي لمسرته والتي ستكون لمدح مجده إلى اباد الدهور كلها، فقد تكلف فيها أغلى كلفة " لِأَنَّهُ (أي الله) جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً لِأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللَّهِ فِيهِ " (٢كو ٥ : ٢١).

* * * * *

لقد خلقنا في المسيح يسوع " لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها " فكما " سبق الله " عَيَّنَّا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ (ص ١ : ٥) سبق أيضاً فأعد لنا أعمالا صالحة لكي نسلك فيها. إنها ليست أعمال الناموس بل أعمال لها طابعها السماوي – طابع النعمة

الغنية – النعمة التي تعلمنا أن نعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر (تى ٢ : ١٢).

ان الأعمال الصالحة التي أعدها الله لكى نسلك فيها، هي من ثمار الخليقة الجديدة أي الطبيعة الإلهية التي صرنا شركاءها (أدبيا) – هذه الثمار التي ينشئها فينا الروح القدس الساكن فينا فنحن نسلك في الأعمال الصالحة لا كمن يؤدي واجبا أو يتمم فرضا بل بدافع المحبة القلبية لله أبينا وللرب يسوع المسيح الذي أحبنا أولاً. لقد أعطى الله الناموس لشعب إسرائيل الذي وثق في نفسه بأنه سيقوم بكل مطالبه ولكنه فشل في ذلك، فقد كان الناموس امتحانا للقلب البشري أو بالحري لإعلان عجز الإنسان عن إتمام مطالب قداسة الله، فلم يكن الناموس شيئا سبق الله فأعده للسلوك فيه " فلماذا الناموس " اذا؟ الجواب " قَدْ زِيدَ بِسَبَبِ التَّعَدِّيَّاتِ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ النَّسْلُ الَّذِي قَدْ وُعِدَ لَهُ " (غلا ٣ : ١٩) أما المسيحي الحقيقي فقد تحرر من الناموس ليحيا لله. لقد مات للناموس وصار لرجل (أوزوج) آخر " لِلَّذِي قَدْ أُقِيمَ مِنَ الْأَمْوَاتِ لِنُثْمَرِ لِلَّهِ " (رو ٧ : ٤). حقاً ما اسمى مقام ومركز المسيحي لا من حيث امتيازاته فقط بل والتزاماته أيضاً فكما أن اختيارنا وبركاتنا كانت في قصد الله من الازل كذلك الأعمال الصالحة التي أعدها لكى نسلك فيها قد سبق فأعدها من قبل وجودنا في هذا العالم.

وكما أن هذا الفصل يبدأ بالسلوك (ع ١٥ و ٢) فانه ينتهي أيضاً بالسلوك (ع ١٠ و ١١) ولكن ما أكبر الفرق بين الأول والثاني، فالأول هو سلوكنا قبلا في الذنوب والخطايا وذلك لما كنا أمواتا روحيا، والثاني هو سلوكنا، كأحياء روحيا وكالخليقة الجديدة، في الأعمال الصالحة التي سبق الله فأعدها. أن كنا قد أجلسنا في السماويات في المسيح يسوع فانه امتياز مبارك لنا أن نسلك كسماويين أيضاً.

(ثانيا) الانفصال عن الله بسبب البعد عنه (ع ١١-٢٢)

واضح أن موضوع هذه الأعداد يختلف عن موضوع الأعداد السابقة فانه في هذا الفصل يشير بصفة خاصة إلى ما كانت عليه حالة المؤمنين من الأمم قبل إيمانهم بالرب يسوع وما صاروا اليه بنعمة الله بعد إيمانهم به، إلا أن هذا يرسم أمامنا أيضاً حالة وحاجة جميع البشر بصفة عامة وبدون استثناء.

واضح أيضاً أن جميع البشر، بعد الطوفان، تحولوا عن عبادة الله الحي الحقيقي وعبدوا الأوثان الإلهة العديدة الكاذبة، لذا دعا الله رجلا واحدا هو ابراهيم وجعله هو ونسله من بعده مستودعا لمواعيده، وأنية الشهادة له في هذا العالم الشرير، إلا أن إسرائيل، لسبب عدم أمانته، فشل في شهادته لله، الأمر الذي يبينه بكل وضوح صليب ربنا يسوع المسيح. لقد كان البشر قبل صلب المسيح وقيامته من بين الأموات وصعوده إلى السماء وقبل حضور

الروح القدس إلى العالم مكونين من فريقين فقط : اليهود والامم، ولكن بعد يوم الخمسين صار العالم منقسماً إلى ثلاثة أقسام : اليهود والامم وكنيسة الله (كو ١ : ٣٢) أما الكنيسة فإنها مكونة من اليهود والامم الذين آمنوا بالرب يسوع المسيح.

* * * * *

(١١) " لِذَلِكَ اذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمْ الْأُمَمُ قَبْلًا فِي الْجَسَدِ، الْمَدْعُوِّينَ غُرْلَةً مِنَ الْمَدْعُوحَاتَانَا مَصْنُوعًا بِالْيَدِ فِي الْجَسَدِ "

يشير الروح القدس هنا إلى ما كنا عليه قبل إيماننا بالمسيح يسوع، فقد كنا قبلاً من " الامم " وكنا مدعوين " غرلة " ، أما الآن فليس في المسيح يسوع " يوناني (أي أممي) ويهودي، ختان وغرلة... بل المسيح الكل وفي الكل " (كو ٣ : ١١، غل ٣ : ٢٧ و ٢٨)

لقد أعطى الله عهد الختان أولاً لابراهيم (تك ١٧ : ٩-١٤) ثم لنسله من بعده، لذا كان اليهود يدعون " الختان " وقد نظروا إلى الامم بعين الاحتقار داعين إياهم " غرلة " أو الغلف " (انظر اصم ١٧ : ٢٦ و ٣٦، اصم ٢ : ٢٠) ومع ذلك فقد كان كثيرون من اليهود الذين يفتخرون بأنهم من أهل " الختان " كانوا يهودا " في الظاهر " فقط ولم يكونوا مختونين القلب (رو ٢ : ٢٥-٢٩).

* * * * *

(١٢) " أَنْتُمْ كُنْتُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ، أَجَنَّبِينَ عَنْ رَعِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عَهْدِ الْمَوْعِدِ، لَا رَجَاءَ لَكُمْ وَبِلَا إِلَهٍ فِي الْعَالَمِ "

بدون مسيح هذه هي الحالة النعسة التي كنا عليها قبلاً " كُنْتُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ " فمع أن كل غير المخلصين من اليهود والامم على السواء – الكل بدون مسيح، إلا أن هذا كان ينطبق بصفة خاصة على الامم، اليهود كانت لديهم الرموز والنبوات والمواعيد الخاصة بمجيء المسيح، وقد كان رجاء الإسرائيليين في العهد القديم مركزاً في مجيء المسيح الذي يحقق لهم كل المواعيد الإلهية، كما أن كل ظهورات المسيح قبل التجسد كانت لليهود دون سواهم، ولم يدع المسيح مخلص العالم إلا بعد موته فوق الصليب.

* * * * *

ولنسله من بعده بإتمام هذه المواعيد، أما الامم فلم يكن لهم نصيب أو قرعة في هذه المواعيد، لقد كانوا غرباء عنها لذا لا نقرأ في كل العهد القديم أن الله أعطى أي وعد للامم. لقد أعطى مواعيد عن الامم ولكنه لم يعط وعداً واحداً لهم، وحتى العهد الجديد الذي نقرأ عنه في (أر ٣١) وفي (عب ٨) فاننا لا نقرأ أبداً أن الله قطعه

مع الكنيسة بل بالحري لشعب الرب القديم مستقبلاً، إلا أن كل المؤمنين بالمسيح من الامم كما من اليهود أيضاً صارت لهم كل بركات ومواعيد العهد الجديد الروحية من اللحظة التي فيها وضعوا ثقتهم في المسيح يسوع "لأنّ مَهْمَا كَانَتْ مَوَاعِيدُ اللَّهِ فَهُوَ فِيهِ النِّعْمُ وَفِيهِ الْآمِينَ، لِمَجْدِ اللَّهِ، بِوَاسِطَتِنَا" (٢كو ١ : ٢٠).

* * * * *

"لَا رَجَاءَ لَكُمْ" إن من كان "بدون المسيح" هو "بلا رجاء" فكما أن الامم كانوا، قبل مجيء المسيح إلى العالم وموته فوق الصليب، بلا رجاء، كذلك كل من لا يقبل المسيح الآن مخلصاً له فإنه لا رجاء له، لأن في المسيح وحده قد أعطى الله المؤمنين به "وَرَجَاءً صَالِحاً بِالنِّعْمَةِ" (٢تس ٢ : ١٦). أن الرجاء المبارك هو مجيء ربنا يسوع المسيح ثانية ليأخذنا إليه لنكون معه كل حين "مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَمُخْلِصِينَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ" (١تي ٢ : ١٣).

* * * * *

"وَبِلَا إِلَهٍ فِي الْعَالَمِ" فبينما كان الامم يعبدون الإلهة الكاذبة الكثيرة ويسجدون لها، فإنهم كانوا في حقيقة الأمر "بِلَا إِلَهٍ فِي الْعَالَمِ" لأننا "نَعْلَمُ أَنَّ لَيْسَ وَثَنٌ فِي الْعَالَمِ وَأَنَّ لَيْسَ إِلَهٌ آخَرُ إِلَّا وَاحِداً. لِأَنَّهُ وَإِنْ وُجِدَ مَا يُسَمَّى إِلَهَةً سِوَاءَ كَانٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا يُوجَدُ إِلَهَةٌ كَثِيرُونَ وَأَرْبَابٌ كَثِيرُونَ. لَكِنْ لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ : الْإِلَهُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبُّ وَاحِدٌ : يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ" (١كو ٨ : ٤-٦).

* * * * *

(١٣) "وَلَكِنْ الْآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ"

هنا نرى تداخل الله العجيب في أمرنا نحن الامم، ونعمته الغنية التي أدركتنا في المسيح يسوع. هنا نرى المباينة بين الماضي التعيس الذي كنا عليه والحاضر المبارك والمجيد الذي صرنا اليه بفضل عمل المسيح لأجلنا. عندما عمل الرسول بولس مقارنة بين ماضي اليهود والامم قبل إيمانهم بالمسيح وبين حاضرم بعد إيمانهم به، أشار إلى تداخل الله برحمته الغنية ومحبهه الكثيرة ونعمته الفائقة بالقول " (ولكن) الله الذي هو غنى في الرحمة " (٤ع) وهوذا هنا يعمل مقارنة أو بالحري مباينة أخرى بقوله " ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح " لقد كان لليهود شيء من القرب إلى الله على أساس العهد الذي قطعه الله معهم والذي تعهدوا بالقيام بمطاليبه بينما كان الامم "بعيدين" وغرباء عن هذا العهد، غير أن اليهود بسبب فشلهم في القيام

بالتزاماتهم في ذلك العهد – عهد الأعمال، أصبحوا هم أيضاً "بعيدين" عن الله "لأنه لا فرق (بين اليهودي واليوناني). إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رو ٣) أما الخلاص فهو بالنعمة لليهودي كما للاممي على السواء فاليهودي، حتى في العهد القديم، لم يحصل على خلاص الله على أساس استحقاقه الذاتي ولا لأنه من شعب الله القديم الذين تميزوا على سائر أمم العالم بسبب عهد الختان، ولا بسبب الذبائح التي قدموها في عهد الناموس، فالذين من بينهم قد خلصوا قد حصلوا على الخلاص بواسطة نعمة الله الغنية المؤسسة على موت الرب يسوع المسيح على صليب العار. هذه هي الذبيحة الفريدة، ذبيحة ربنا يسوع المسيح على صليب العار. هذه هي الذبيحة الفريدة، ذبيحة ربنا يسوع المسيح التي فيها كل الكفاية لخلاص كل من يضع ثقته فيها وفي كفايتها.

لقد كنا قبلاً بعيدين أما الآن، نحن الذين في المسيح يسوع، صرنا قريبين بدم المسيح. لا ريب في أن أعظم جريمة ارتكبت في هذا العالم هي قتل ربنا يسوع المسيح وسفك دمه الزكي الكريم. هذه الجريمة التي اشترك في ارتكباها اليهود والأمم، لقد كان موته وسفك دمه الطاهر أعظم إعلان لأشر خطية ارتكباها الإنسان، كما كان أيضاً إعلاناً لمحبة الله غير المحدودة ونعمته الفائقة الإدراك، فالصليب الذي أظهر منتهي عداوة وفساد القلب البشري أظهر أيضاً محبة الله التي لا قياس ولا حدود لها، والحربة التي طعن بها ربنا المبارك يسوع، نفذت إلى أحشائه معلنة شر القلب البشري ولكنها خرجت من جنبه الطاهر معلنة محبة الله ونعمته الغنية – خرجت حاملة الدم المطهر والماء المحيي، يالها من نعمة غنية سمت فوق إثمنا وفجورنا حتى أننا نحن الذين كنا قبلاً بعيدين – أمما تعساء ومساكين – أجنبيين وأعداء لله في الفكر في الأعمال الشريرة، صرنا الآن في استحقاق الدم الكريم قريبين من الله – قريبين بكيفية لم يستطع الناموس أن يهبها لليهود أما اليهودي الذي يؤمن بالمسيح فانه يصل إلى نفس مكان القرب إلى الله الذي صار للمؤمن اللاممي، وذلك بواسطة دم المسيح. فهو، له المجد، الله الكلمة الذي صار جسداً لذا فإن لدمه الكريم فاعلية غير محدودة وقيمة لا يدركها سوى الله، ولهذا صرنا الآن "قريبين بدم المسيح" لقد صرنا قريبين إلى الله قرباً كاملاً، ولا توجد أية مسافة كبيرة أو صغيرة تفصلنا عنه بحيث لا يمكن أن نكون، في أي وقت من الأوقات، أكثر قرباً إليه فهل أدرك كل مؤمن حقيقى هذا الامتياز المبارك وهل هو متمتع به عملياً؟ لاشك أن مقامنا كقريبين من الله مؤسس على ذبيحة ربنا يسوع المسيح "بدم المسيح" ولكن تمتعنا به شيء آخر، فإن هذا متوقف على شركتنا معه. فهل شركتنا مع الله

الاب ومع ابنه يسوع المسيح قوية ومستمرة؟ ليتنا نسهر ونواظب على الصلاة لنتمتع عملياً بحالة القرب منه، وفي هذا سلامتنا وسعادتنا "أما أنا فالإقتراب إلى الله حسنٌ لي" (مز ٧٣ : ٢٨).

* * * * *

(١٤) "لأنَّهُ هو سَلامُنَا، الَّذِي جَعَلَ الْاِثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السَّيِّئِ الْجَمْعِ"

المسيح يسوع ربنا نفسه هو سلامنا. ما أمد هذا الحق الإلهي الثمين! فسلامنا ليس هو مجرد فرح في داخلنا نتمتع به الآن وقد يضعف أو يفقد غداً، بل هو المسيح نفسه. هو سلامنا الثابت والدائم والذي من امتيازنا أن يستقر ويستريح إيماننا عليه فنتمتع به عملياً كسلامنا وكموضوع فرحنا. نعم انه من امتيازنا أن نفرح في الرب كل حين وذلك بواسطة الوجود في حالة القرب منه والشركة معه — من امتيازنا أن نبتهج بفرح لا ينطق به ومجيد، ولكن الحق الاسمي هو أن ربنا يسوع المسيح نفسه هو سلامنا، فانا لا نقرأ في كلمة الله أنه له المجد، هو فرحنا ولا أن الله هو إله الفرح بل إله السلام، لانه هو الذي عمله بواسطة بذل ابنه الحبيب فوق الصليب.

* * * * *

" وَنَقَضَ حَائِطَ السَّيِّئِ الْجَمْعِ " يبدو أن الرسول هنا يشير إلى الحائط الذي يظن أنه كان مبنياً في الهيكل والذي كان يفصل بين الدار التي كانت لإسرائيل والدار التي كانت للامم الدخلاء، ويقال أنه كان منقوشاً على ذلك الحائط هذه الكلمات " ليحذر الامم من تجاوز هذا الحائط لئلا يعرض نفسه للموت " ولكن ربنا يسوع المسيح قد نقض حائط السياج المتوسط الذي كان بيننا^(١).

* * * * *

(١٥) " أَيْ الْعُدَاوَةِ. مُبْطَلًا بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الْاِثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلامًا "

جدير بالملاحظة أن المقصود هنا هو أن المسيح، له المجد، إذ بذل نفسه لأجلنا وحمل خطايانا في جسده على الخشبة ابطل العداوة^(٢) أي ناموس الوصايا في فرائض. أعني أن اليهود الذين أعطاهم الله الناموس وفرائضه المتنوعة امتلأت قلوبهم بالكبرياء والبغضة والعداوة للأمم الذين لم يعط الناموس لهم.

لقد قضى باللعنة على كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به (غل ٣ : ١٠) ولكن اليهود الذين افتخروا على الامم بأنهم هم الشعب المبارك الذين أعطاهم الله الناموس بفرائضه المتنوعة لم يدركوا انهم هم أنفسهم تحت اللعنة لانهم كسروا الناموس ولم يحفظوه ولكن ربنا يسوع ابن الله إذ مات فوق خشبة الصليب صار لعنة لأجلنا "لأنَّهُ مَكْتُوبٌ : «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ» (غل ٣ : ١٣)

وبموته واحتماله الدينونة ابطال بجسده ناموس الوصايا في فرائض، فكل الخطاة الذين قبلوا المسيح مخلصاً لهم قد اتحدوا بالمسيح – ماتوا وقاموا معه، ولاسيما اليهودي الذي كان قبل إيمانه بالمسيح تحت سيادة ولعنة الناموس، أصبح بعد إيمانه

(١) And hath broken down the middle wall of partition
.between us

(٢) Having abolished in his flesh the enmity, even the
law of commandments contained in ordinances.

بالمسيح في حرية تامة لان المسيح افتداه من لعنة الناموس فلم يبق للناموس، أعنى ناموس الوصايا والفرائض * أية سيادة عليه.

* * * * *

* المقصود بناموس الوصايا في فرائض هو أن ممارسة اليهودي للفرائض كانت إقراراً منه بأنه تحت ناموس الوصايا. هذا هو معنى القول " ناموس الوصايا في فرائض "

٧٩

صارحها بأنه ليس لها نصيب في تلك المواعيد، فلو كانت قد خاطبته باعتباره " ابن الله " لما تأخر في إجابة ملتمسها، لانه كابن داود هو لإسرائيل وليس للأمم ولكن كم كان تصرف تلك المرأة جميلاً إذ عرفت حقيقة أمرها، وأنها ليست من البنين ومع ذلك فقد قالت له " ولكن الكلاب تأكل " فاز عرفت أنها كأممية ليس لها نصيب في تلك المواعيد، فاضت عليها البركات الإلهية بالنعمة التي في المسيح يسوع " يا امرأة عظيم إيمانك! ليكن لك كما تريد " (مت ١٥).

إن الشخصين الذين أتيا إلى الرب وتعجب من إيمانهما كانا من الأمم – أي قائد المئة (مت ٨) وهذه المرأة الفينيقية (مت ١٥).

إن هذه الرسالة ترينا أولاً أن الأمم كانوا بعيدين كل البعد عن الله وعن شعب الله، ولكنها ترينا أيضاً أن صليب المسيح قد ابطال كل هذه الفوارق، بل لقد أظهر صليب المسيح أن اليهود، بالرغم من امتيازاتهم التي كانت لهم، كانوا أكثر جرماً من الأمم، لانهم رفضوا مسياهم وملكهم وصلبوه، ولاسيما رؤساء كهنتهم فانهم كانوا اكثر تعطشا إلى صلبه، وهكذا الحال دائماً، فانه لا توجد قساوة قلب نظير قساوة المتدين العالمي.

إن الحق الإلهي الواضح هو أن المسيح، له المجد، قد ابطل بجسده العداوة لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً. فربنا يسوع المسيح، بموته فوق الصليب، قد صنع سلاماً مزدوجاً – سلاماً بين الإنسان والله، و سلاماً بين المؤمن اليهودي والمؤمن الأممي اللذين فصل بينهما حائط السياج المتوسط.

(١٦) " وَيُصَالِحُ الْاِثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللَّهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلًا الْعَدَاوَةَ بِهِ "

صليب المسيح هو العلاج الإلهي الوحيد والكامل لحالة الإنسان المسكين، فإن الخطية لم تفصل الإنسان عن الله فقط ولكنها فصلته أيضاً عن أخيه الإنسان. لقد أوجدت الإنسان في عداوة مع الله ومع أخيه الإنسان أيضاً، فإن أول خطية ارتكبها الإنسان فصلته عن الله وأوجدته في عداوة معه تعالى، كما أن ثاني خطية مذكورة في الكتاب المقدس فصلت الإنسان عن أخيه الإنسان وأوجدته في حالة البغضة والعداوة له حتى قام (قايين) على أخيه (هابيل) وقتله، لذا فقد كان الإنسان في حاجة إلى أن يتصالح أولاً مع الله وعندئذ يتسنى له أن يتصالح مع أخيه الإنسان، ولا شك أن ربنا يسوع المسيح هو المصالح الوحيد للإنسان مع الله وللإنسان مع أخيه الإنسان وذلك بواسطة " الصليب " لقد قتل المسيح العداوة بالصليب، أعنى بأخذه مكاننا واحتماله الدينونة نيابة عنا. لقد صالح الاثنين – أي المؤمنين به من الأمم ومن اليهود مع الله، كما أنه جعلهم جسداً واحداً. انه بالصليب قد أعلن محبة الله لنا نحن الذين كنا أعداء له " وَلَكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللَّهِ، الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالِحَةِ، أَيْ أَنَّ اللَّهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ " (٢كو ٥ : ١٨ و ١٩) " لِأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلَّةِ، وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلًا الصَّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءً كَانَ مَا عَلَى الْأَرْضِ أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا اجْنَبِيَيْنَ وَأَعْدَاءَ فِي الْفِكْرِ، فِي الْأَعْمَالِ الشَّرِّيرَةِ، قَدْ صَالَحَكُمُ الْآنَ فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ بِالْمَوْتِ، لِيُخَضِّرَكُمُ قَدِّيْسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ وَلَا شَكْوَى أَمَامَهُ " (كو ١ : ١٩-٢٢). لقد حقق المسيح ما كانت تتوق إليه نفس أيوب قديماً وكأنه لم يجده " لَيْسَ بَيْنَنَا مُصَالِحٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى كَلْبِنَا! " (أي ٩ : ٢٣) فالمسيح، تبارك اسمه، هو وحده الذي استطاع أن يصالح الاثنين مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به. لاسمه المعبود كل مجد واكرام.

* * * * *

(١٧) " فَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلَامٍ، أَنْتُمْ الْبَعِيدِينَ وَالْقَرِيبِينَ "

المسيح يسوع ربنا هو الذي جاء بنفسه إلى هذا العالم وركز بالسلام، أما الآن فإن دائرة كرازته أو سع كثيراً مما كانت في أيام جسده، فهو له المجد يركز ويبشر بالسلام للأمم وللإهود على السواء وذلك بواسطة الروح القدس المرسل من السماء (١بط ١ : ١٢). فقد وعد الرب تلاميذه قبل ارتفاعه إلى السماء بأنه سيرسل إليهم الروح القدس وأمرهم بأن

يذهبوا إلى العالم أجمع وأن يكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها (مر ١٦ : ٩٥) فلا تكون كرازتهم قاصرة على خراف بيت إسرائيل الضالة بل ولجميع أمم العالم أيضاً " فجاء وبشركم بسلام أنتم " البعيدين " أنتم الأمم الخطاة والمساكين الذين كنتم غارقين في لجة من الجهل والظلام، وأنتم " القريبين " أنت اليهود الذين أرسلت إليكم كلمة الله، وكان عندكم نور معرفة الله – هذا النور الذي لم يعرف عنه الأمم شيئاً، ولكنكم مع ذلك قد اشركتم مع الأمم في ارتكاب أعظم جريمة حدثت تحت الشمس – جريمة صلب رب المجد، أما هو ، تبارك اسمه، فانه في غنى محبته قد " بشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين "

* * * * *

(١٨) " لِأَنَّ بِهِ لَنَا كَلِينًا قُدُومًا فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الْآبِ "

تبارك اسم ربنا يسوع المسيح، فإن كل مشورات الله من نحو شركة أولاده تركزت في شخصه الكريم وفي عمله الذي اكمله بموته فوق الصليب، لان به أي بالمسيح وحده لنا كَلِينًا (نحن المؤمنين باسمه من اليهود ومن الأمم) قدوماً في روح واحد إلى الآب. أما في العهد الأول فلم يكن هناك قدوم أو اقتراب مباشر إلى الله، والحجاب الذي لم يكن قد شق بعد كان إعلاناً إلهياً على أن طريق الأقداس لم يكن قد أظهر بعد. فقد كان الله وقتئذٍ " إِلَهٌ مُخْتَبِئٌ " (أش ٤٥ : ١٥).

لما طلب الله من موسى أن يصعد إليه هو وهرون وابناه وسبعون من شيوخ إسرائيل، أمرهم قائلاً " اسجُدُوا مِنْ بَعِيدٍ " (خر ٢٤ : ١) ذلك لانه لم يكن قد فصل بعد في أمر الخطية فصلاً كاملاً ونهائياً، الأمر الذي أتمه الله بواسطة موت ربنا يسوع المسيح.

* * * * *

إن بالمسيح يسوع ربنا لنا كَلِينًا قدوماً " في روح واحد " إلى الآب، فقد أعطى الله الروح القدس لكل المؤمنين بابنه، سواء كانوا من اليهود أو من الأمم " لِأَنَّنا جَمِيعًا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضًا اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ يَهُوداً كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ عبيداً أَمْ أَحْرَاراً. وَجَمِيعًا سُقِينَا رُوحاً وَاحِداً " (١ كو ١٢ : ١٣) فإن كان الناموس قديماً قد أوجد فرقاً بين اليهودي والأممي، ولكن المسيح قد أزال بصليبه كل الفوارق التي بينهما، والروح القدس الذي أعطى في يوم الخمسين قد جمع كل المؤمنين وجعلهم أعضاء في الجسد الواحد " لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ " (رو ٣ : ٢٢).

حقاً ما اسمى امتيازات المسيحي الحقيقي! فقد صار له هذا الشرف العظيم – شرف القدوم إلى الآب بعمل وقيادة الروح القدس الساكن فيه. أن الروح القدس هو الذي أعطانا اليقين بأننا أولاد الله الآب (رو ٨ : ١٥ و ١٦) وهو الذي يقودنا أيضاً للاقتراب والقدوم إلى الآب

وذلك بفضل عمل ربنا يسوع المسيح، فانه به صار لنا حق الاقتراب إلى الاب كأولاد أحياء. ليتنا لا نهمل التمتع بهذه البركة العظمى – بركة القدوم إلى الاب بقوة الروح القدس وفي قيمة عمل المسيح فوق الصليب.

* * * * *

(١٩) " فَلَسْتُمْ إِذَا بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنَزَلَاءَ، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقَدِيسِينَ وَأَهْلَ بَيْتِ اللَّهِ "

رأينا في تأملاتنا السابقة في هذه الرسالة، انه عندما يخاطب الرسول المؤمنين من الأمم كان يقول " أنتم " وعندما يتكلم عن اليهود يقول " نحن " لان الرسول بولس نفسه هو من المؤمنين بالمسيح من اليهود، لذا يقول " نَحْنُ الَّذِينَ قَدْ سَبَقَ رَجَاؤُنَا فِي الْمَسِيحِ " (ص ١ : ١٢) أما للمؤمنين من الامم فيقول " أَنْتُمْ إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، إِنجِيلَ خَلَاصِكُمْ " (ص ١ : ١٣) وإذ يوجه كلامه الآن إلى المؤمنين من الأمم يقول " فلستم إذا " أنتم المؤمنين من الأمم غرباء ونزلاء بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله " لقد كنا قبلا " غُرَبَاءَ عَنْ عُهْدِ الْمَوْعِدِ " (١٢٤) – فلم نكن من شعب الله القديم بل " أَجَنِّبِينَ عَنْ رَعْوِيَّةِ إِسْرَائِيلِ " ومع ذلك فإن إسرائيل فشل في مسئوليته، فصاروا " لوعمى " أي ليسوشعبا لله (هو ١ : ٩، ١بط ٢ : ١٠) لذا دعا الله من بينهم بقية حسب اختيار النعمة (رو ١١ : ٥) وهذه البقية هي جميع الذين آمنوا بالرب يسوع المسيح من اليهود وقبلوه مخلصاً وفاديا لهم فأصبحوا حجارة حية في بيت الله، وكذلك كل الذين يؤمنون بالمسيح من الأمم فانهم يدخلون بنعمة الله إلى هذا المركز عينه، لذا ليسوا فيما بعد " غرباء ونزلاء بل رعية مع القديسين "

إن المقصود بالقديسين هنا ليس إسرائيل بحسب الجسد. كلا بل أن الإسرائيليين الذين آمنوا بالرب يسوع المسيح هم المدعوون هنا " قديسين " لذا عندما يقول " رعية مع القديسين " فانه يقصد بذلك أن الامم الذين يؤمنون بالرب يسوع المسيح ويتحدون به بالروح القدس يصيرون رعية مع اخوتهم اليهود الذين آمنوا بالمخلص المبارك ربنا يسوع المسيح. وقد أشار الرب له المجد إلى هذه الحقيقة بقوله " وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ (حظيرة إسرائيل) يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضاً فَتَسْمَعُ صَوْتِي وَتَكُونُ رَعِيَّةً وَاحِدَةً وَرَاعٍ وَاحِدٌ " (يو ١٠ : ١٦).

* * * * *

إن كلمة " قديس " تعنى شخصا مفرزا ومخصصا لله، وليس المقصود بالقداسة هنا الناحية الاختبارية أو العملية مع ما لهذه الناحية من أهمية، فإن الكثيرين يتصورون أن القديسين هم أشخاص وصلوا إلى درجة الكمال في القداسة، وهذا لا ريب تصور خاطيء، فإن كل إنسان يضع ثقته في الرب يسوع المسيح وفي كفاية عمله فوق الصليب يصير ملكا لله

وللرب يسوع المسيح ويصبح قديسا أمامه تعالى، ولكن كل قديس مدعو من الله لان يحيا حياة القداسة العملية. اننا لا نصير قديسين بسبب عيشتنا في القداسة ولكن لان الله جعلنا قديسين وبلا لوم قدامه، لذا يجب علينا أن نحيا حياة القداسة العملية.

* * * * *

ويجب أن لا يفوتنا أن كل امتياز يضعنا تحت الالتزام بأن نعيش كما يليق بهذا الامتياز، فإن كنا " أهل بَيْتِ اللَّهِ " فيجب أن لا ننسى المكتوب " بَيْتُكَ تَلِيْقُ الْقَدَاسَةُ يَا رَبُّ إِلَى طُولِ الْأَيَّامِ " (مز ٩٣ : ٥) " فَاذْ لَنَا هَذِهِ الْمَوَاعِيدُ أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ لِنُطَهِّرْ دَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، مُكْمِلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللَّهِ " (٢كو ٧ : ١)

* * * * *

(٢٠) " مَبْنِيَّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَاوِيَةِ "

يرسم الروح القدس أمامنا هنا صورة اخرى للعلاقة المباركة التي بين المسيح وكنيسته، فكما رأينا في الاصحاح الأول هذه العلاقة مرسومة في صورة جسد، وان المسيح المقام والمجد هو رأس هذا الجسد وان المؤمنين الحقيقيين به هم أعضاء هذا الجسد، كذلك نرى هنا هذه العلاقة مرسومة في صورة بناء، وان المؤمنين الحقيقيين هم حجارة حية في هذا البناء، وان ربنا يسوع المسيح هو " حَجَرُ الزَاوِيَةِ " وان هذا البناء قد تأسس بواسطة كرازة الرسل والانبياء. وليس المقصود بقوله " مَبْنِيَّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ " انهم (أي الرسل والانبياء) هم الاساس بل أن المؤمنين بالمسيح مبنون على الاساس الذي وضعه الرسل والانبياء، والاساس هو ، بكل يقين " ربنا يسوع المسيح " " فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ " (١كو ٣ : ١١) ربنا يسوع المسيح هو الاساس وهو أيضاً حجر الزاوية.

* * * * *

ثم لنلاحظ أن المقصود بالانبياء هنا ليس أنبياء العهد القديم. صحيح أن روح المسيح فيهم كرز بالمسيح وشهد له شهادات عجيبة ومباركة، فما أعجب ما كتبه أولئك الانبياء عن المسيح! تأمل مثلا في نبوات اشعيا الصريحة عن المسيح – عن ولادته من عذراء وعن حياة الاتضاع الفريدة التي عاشها في هذا العالم، بل وما أعجب ما كتبه عن آلامه وموته الكفاري! (ص ٥٣) وكذلك ما تنبأ به عنه ارميا وزكريا وميخا وغيرهم " بَا حِثْنِ أَيُّ وَقْتٍ أَوْ مَا الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَدُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ، إِذْ سَبَقَ فَشَهِدَ بِالْآلَامِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ وَالْأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا " (١بط ١ : ١١). نعم فإن " فَإِنْ شَهِادَةُ يَسُوعَ هِيَ رُوحُ النُّبُوَّةِ " (رؤ ١٩ : ١٠)، ومع ذلك فليس المقصود هنا أنبياء العهد القديم فإن الله لم يشأ أن يبنى

كنيسته على أساس قديم بل بالحري على أساس جديد ومجيد هو المسيح المقام من بين الأموات والممجد، لذا لا يقول " مَبْنِيَّيْن عَلَى أَسَاسِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ " بل يقول " مَبْنِيَّيْن عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ " ومما يؤيد هذه الحقيقة قوله عن سر المسيح " الَّذِي فِي أَجْيَالٍ أُخَرَ لَمْ يُعَرَّفْ بِهِ بَنُو الْبَشَرِ، كَمَا قَدْ أُعْلِنَ الْآنَ لِرُسُلِهِ الْقَدَّيسِينَ وَأَنْبِيَائِهِ بِالرُّوحِ " (اف ٣ : ٥) وكذلك قوله أيضاً عن المسيح بأنه بعد صعوده إلى السماء " أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلًا، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ " (أف ٤ : ١١) فواضح إذن أن الانبياء هنا هم أنبياء العهد الجديد، فإن بعض كتبة أسفار العهد الجديد أمثال مرقس ولوقا وغيرهما لم يكونوا رسلا ولكنهم كانوا أنبياء — فقد أقامهم المسيح هم والرسل في البداية لوضع الأساس أعنى الكرازة بالمسيح والمناداة بإنجيله المبارك.

* * * * *

" وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَاوِيَةِ " هذا هو الحق الاساسى والجوهرى، فإن كان الرب، له المجد، قد أعطى البعض أن يكونوا رسلا والبعض أنبياء وقد استخدمهم في تأسيس كنيسته بواسطة الكرازة بالإنجيل، وإن كان لدينا الآن كتاباتهم الموحى بها من الله والتي نشكر الله كثيراً لأجلها، إلا أنهم هم شخصياً ليسوا باقين في هذا العالم، أما ربنا يسوع المسيح فهو " حَجَرُ الزَاوِيَةِ " الذي يلزم البناء من أو له إلى نهايته " يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد "

لقد أشار الرب إلى هذا الحق عندما سأل تلاميذه قائلاً " من يقول الناس أنى أنا ابن الإنسان؟ فأجابه بطرس " أنت هو المسيح ابن الله الحى " فقال له الرب " طُوبَى لَكَ يَا سَمْعَانُ بَنَ يُونَا أَنْ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ لَكِنَّ ابِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا : أَنْتَ بَطْرُسُ وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ ابْنِي كُنَيْسَتِي " (مت ١٦) ومما لا ريب فيه أن المقصود بالصخرة هو الإيمان والاعتراف بأن المسيح هو ابن الله الحى. هذا هو الحق الجوهرى والمبارك الذي تعلمه بطرس من الرب، والذي نبر عليه في رسالته الأولى (ص ٢) بقوله عن المسيح انه " حجر حى " (٤ع) وانه " حجر زاوية مختار من الله وكريم " (٤ع و ٦) وإن هذا الحجر صار " رأس الزاوية " والرب نفسه في حديثه مع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب (مت ٢١) قد أشار إلى هذه الحقيقة — أعنى إلى انه هو الحجر الذي وإن كان البنائون قد رفضوه ولكنه صار رأس الزاوية وقد اقتبس الرب هذه الكلمات من مز ١١٨ : ٢٢ و ٢٣ (اقرأ أيضاً ما تنبىء به عنه في اش ٢٨ : ١٦، زك ٤ : ٧).

* * * * *

(٢١) " الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّبًا مَعًا يَنْمُو هَيْكَلًا مُقَدَّسًا فِي الرَّبِّ "

جميل أن نرى هنا الضمان الإلهي الثابت والأكيد لسلامة هذا البناء المقدس، فكل واحد من المؤمنين هو حجر حي مركب ومثبت في مكانه في هذا البناء الإلهي، وذلك بواسطة المسيح حجر الزاوية، فهو " الذي فيه كل البناء مركبا معا " ثم أن هذا البناء ينمو هيكلًا مقدسًا في الرب. انها حالة نمو وليست حالة كمال، ولكن عندما يكمل هذا البناء – الهيكل المقدس في الرب كم سيكون مسكنًا مجيدًا لله ولربنا يسوع المسيح في كل أجيال الدهور الآتية.

عندما نتأمل في هذا الحق المبارك – أعني صيرورتنا حجارة حية في هذا البناء الإلهي – في هذا الهيكل المقدس للرب ألا يقودنا تأملنا في ذلك إلى إدراك أهمية العيشة في القداسة وإلى الحياة النقية الطاهرة والمكرسة للمسيح؟

يشير الرسول بولس في رسالته الأولى لأهل كورنثوس (ص ٣) إلى المؤمنين بأنهم هيكل الله " أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللَّهِ وَرُوحُ اللَّهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟ " وكذلك في رسالته الثانية إليهم يقول " وَأَيَّةُ مُوَافَقَةٍ لِهَيْكَلِ اللَّهِ مَعَ الْأَوْتَانِ؟ فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ اللَّهِ الْحَيِّ، كَمَا قَالَ اللَّهُ : «إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا " لذا يحرضهم الرسول قائلا " لِذَلِكَ اخْرُجُوا مِنْ وَسْطِهِمْ وَاعْتَزَلُوا، يَقُولُ الرَّبُّ. وَلَا تَمَسُّوا نَجَسًا فَأَقْبَلَكُمْ، وَأَكُونُ لَكُمْ أَبًا وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي بَنِينَ وَبَنَاتٍ » يَقُولُ الرَّبُّ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. فَاذْ لَنَا هَذِهِ الْمَوَاعِيدُ أَيُّهَا الْأَجْبَاءُ لِنُطَهِّرَ دَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، مُكَمِّلِينَ الْقُدَّاسَةَ فِي خَوْفِ اللَّهِ " (٢كو ٦ : ١٧-٦). ليت إدراكنا لهذا الامتياز المجيد والمبارك يقودنا إلى حياة الانفصال القلبي والصحيح عن كل ما ليس من المسيح وليس لمجده.

* * * * *

(٢٢) " الَّذِي فِيهِ أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيُونَ مَعًا، مَسْكَنًا لِلَّهِ فِي الرُّوحِ "

قديمًا كان للرب مسكن على الأرض أعني الهيكل الذي كان مكان سكنه ولكن ليس " في الروح " بل بواسطة أشياء مادية منظورة، أما الآن – في تدبير النعمة الحاضر، فإن الله يسكن على الأرض بكيفية أجمل وأعظم بركة وذلك بواسطة الروح القدس الساكن في كل المؤمنين الحقيقيين، فإن عمل الروح القدس هو جمع أولاد الله معا وجعلهم مسكنًا لله. انه ساكن في الكنيسة جاعلا إياها هيكلًا لله، وليس المقصود هنا سكنه في المؤمنين كأفراد مع أن هذا حق ثمين ومبارك، ولكن علاوة على سكنه فيهم كأفراد فانه يسكن في المؤمنين كجماعة – ككنيسة المسيح جاعلا إياها " مسكنًا لله " ما أؤمن هذا الحق! ولكن الله ينتظر منا أن نسلك في ضيائه – أن نسلك بالقداسة التي تليق بهذا الحق.

الاصحاح الثالث

يعتبر الاصحاح الثالث من هذه الرسالة بمثابة أقوال معترضة تدور حول " المسيح والكنيسة " هذا الموضوع الذي هو في ذاته كأنه شيء معترض يجيء في وسط معاملات الله وطرقه من البداية إلى النهاية. ويجيء هذا الاصحاح بين الحق التعليمي في الاصحاح الثاني وبين الأقوال الوعظية التي تبدأ من أول الاصحاح الرابع. وينبر الرسول في هذا الاصحاح على أن الحق المبارك الخاص " بالمسيح والكنيسة " هو سر لم يعرف به أحد من قديسي التدابير السابقة، ولكنه أعلن لرسل وأنبياء العهد الجديد بعد إكمال عمل الفداء وتمجيد المسيح عن يمين الاب وبعد حضور الروح القدس في يوم الخمسين. ومع أن هذا السر أعلن لجميع رسل وأنبياء العهد الجديد إلا أن امتياز إعلانه وتوضيحه للكنيسة أعطى للرسول بولس - رسول المسيح في المجد. صحيح أن الرب أشار إلى " خرافه الخاصة " التي أخرجها من حظيرة إسرائيل، كما أشار أيضاً إلى " خراف آخر " من الأمم وان هؤلاء وأولئك سيكونون رعية واحدة لراع واحد (يو ١٠)، كذلك في رؤية بطرس للملائة المدلاة من السماء اشارة إلى الإتيان بمؤمنين من الأمم إلى المسيح، ولكن الحق الإلهي الواضح والصريح عن " الجسد الواحد " المكون من مؤمنين بالمسيح من اليهود والأمم على السواء، وان المسيح الممجد هو رأس هذا الجسد، هذا الحق كان سرا، والمسيح عرفه لبولس بإعلان خاص (٣ : ٣) وقد أعطى لبولس امتياز الكرازة بهذا السر وإنارة الجميع فيه (٨٤).

لقد أوضح الرسول في الاصحاح الثاني من هذه الرسالة هذه الحقيقة المباركة وهي أن المؤمنين بالمسيح من اليهود والأمم يقفون جميعاً على قدم المساواة، فانه في المسيح يسوع ليس يهودى ولا اممى بل الجميع هم جسد واحد والمسيح هو رأس هذا الجسد، وقد كان إعلان هذا الحق سبباً في مقاومة اليهود للرسول بولس واضطهادهم له (قارن أع ٢٢ : ٢١ - ٢٤، ٢٥ : ٢٨، ٢٩ : ٣٠) بل كان إعلان هذا الحق سبباً في اسره وسجنه (اف ٣ : ١).

لم يكن من السهل حتى على المؤمنين بالمسيح من اليهود أن يدركوا لأول وهلة هذا الحق الجوهري - أي أن المؤمنين من اليهود والامم هم على السواء أعضاء في جسد المسيح، وأن المسيح بموته جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة لم يكن من السهل عليهم أن يفهموا تماماً كيف أن الله نقض وابطل ما سبق أن بناه هو بنفسه، فإن كان الله هو الذي جعل في العهد القديم فاصلاً بين اليهود والامم إذ ميز اليهود في ذلك العهد العتيق واعطاهم امتيازات لم يكن للامم نصيب فيها فكيف اذن ازال الله كل الفوارق؟ الجواب هو أن الله جعل لكل تدبير زماناً معيناً، فهو، تبارك اسمه، عين زماناً لتدبير العهد القديم الذي فيه جعل فرقاً بين شعبه القديم والامم، اما الآن فانه قد سر بأن يأتي بتدبير جديد

مؤسس على عمل الفداء – تدبير جديد تزول فيه كل هذه الفوارق، والجزء الأول من هذا الاصحاح (٣) يدور حول أيضاً هذا الجزء من سر المسيح أي أن الامم المؤمنين بالمسيح يقفون على قدم المساواة مع اخوتهم المؤمنين بالمسيح من اليهود – أي الذي ن قبلوا المسيح مخلصاً وفادياً وانهم جميعاً أصبحوا جسداً واحداً، والسبب الذي لأجله لا يستطيع اليهودي أن يفهم هذا الحق بسهولة هو أن الناموس والانبياء وكل أسفار العهد القديم لم تعلن هذا السر.

إن كلمة "سر" ليس معناها شيئاً غامضاً لا يمكن فهمه بل شيئاً لم يكن معلناً في أسفار العهد القديم، وانما أعلن بكل وضوح في العهد الجديد ولا سيما في هذه الرسالة. ثم لنلاحظ أن موضوع هذا السر هو "المسيح والكنيسة" أي ليس المسيح وحده ولا الكنيسة وحدها "هَذَا السِّرُّ عَظِيمٌ، وَلَكِنِّي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ" (١ف ٥ : ٣٢).

(١) "بِسَبَبِ هَذَا أَنَا بُولُسُ، أُسِيرُ الْمَسِيحِ يَسُوعَ لِأَجْلِكُمْ أَيُّهَا الْأُمَّمُ"

يرينا الرسول هنا بكل وضوح السبب الذي لأجله كان اسيرا، فقد كان اسير المسيح يسوع لأجل المؤمنين من الامم، فانه بسبب كرازته بهذا الحق المبارك اعنى أن المؤمنين بالمسيح من الامم لهم نفس الامتيازات والبركات التي للمؤمنين بالمسيح من اليهود، وانه ليس هناك أي فرق بين هؤلاء وأولئك، بسبب ذلك ثار اليهود على الرسول بولس واضطهدوه حتى وصل الامر إلى أسره وسجنه في رومية.

ولكن كم هو جميل حقاً أن الرسول لا ينظر إلى أسره من الناحية الإنسانية فلا يعتبر أنه اسير الدولة الرومانية، بل ينظر إلى ذلك من الناحية الإلهية فيقول بأنه "اسير المسيح يسوع" ولا ريب في أن ذلك كان سبب تعزية وفرح لنفسه بل أنه يحسب ذلك شرفاً عظيماً إذ يقول في ختام هذه الرسالة بانه "سفير في سلاسل (ص ٦ : ٢٠). أيها الاحباء أليس في هذا درس نافع لنا فيجب أن لا ننظر إلى آلامنا ومتاعبنا ومشقات الطريق من الناحية الإنسانية بل من الناحية الإلهية فتمتلئ قلوبنا سلاماً وعزاء ونصرة" في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي احبنا "

وكم هو عجيب أيضاً أن الرسول الذي أعطى له شرف وامتياز كتابة هذه الرسالة التي تعلن اسمى حقائق الإنجيل الجوهرية والتي تعلن هذا السر العجيب موضحة مقام الكنيسة السماوي واقتربانها بالمسيح الرأس الممجّد، نقول اليس عجيباً أن الرسول كان في نفس الوقت اسيراً ومقيداً بالسلاسل؟ أن وطن الكنيسة الحقيقي هو السماء – هو بيت الاب، وانها (أي الكنيسة) غريبة في هذا العالم الموضوع في الشرير فلا عجب أن كانت تلاقي منه اضطهادات ومقاومات – ليس غريباً إذن أن بولس رسول المسيح الممجّد يكتب هذه الرسالة المباركة وهو اسير ومقيد بالسلاسل.

* * * * *

(٢) " إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِتَدْبِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُعْطَاةِ لِي لِأَجْلِكُمْ "

أن كلمة " تدبير " هنا معناها " خدمة " أو " وكالة " فقد كان الرسول بولس الاناء المختار من الله لإعلان المشورات الإلهية المتعلقة بدعوة الكنيسة ومقامها السماوي ورجائها المجيد. صحيح أن هذا السر قد أعلن أيضاً لبقية رسل المسيح وانبيائه لكنه لم يعلن للكنيسة بواسطة بل بواسطة الرسول بولس – رسول المسيح يسوع للامم. ويعتبر الرسول أن اختيار الله له لهذه الخدمة أو الوكالة كان من مجرد النعمة " نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُعْطَاةِ " وهذا ينطبق إلى حد ما على كل من أوتمن على خدمة من الله " (١بط٤ : ١٠). والرسول بولس يؤكد للمؤمنين في أفسس أن هذه الوكالة أو الخدمة هي لأجلهم – أي لأجل المؤمنين من الامم.

* * * * *

(٤٣و٤) " أَنَّهُ بِإِعْلَانِ عَرَفَنِي بِالسِّرِّ. كَمَا سَبَقْتُ فَكَتَبْتُ بِالْإِيجَازِ. الَّذِي بِحَسْبِهِ حِينَمَا تَقْرَأُونَهُ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْهَمُوا دِرَائَتِي بِسِرِّ الْمَسِيحِ "

تتكرر كلمة " سر " في هذا الاصحاح ثلاث مرات. وقد أعلن الرب هذا السر للرسول بولس بإعلان خاص، فلم يتسلمه من بطرس ولا من غيره من الرسل الذين كانوا قبله، بل أخذه من الرب الممجد مباشرة. هذا السر العظيم الخاص " بالمسيح والكنيسة " أي بمجد ربنا المبارك وبغبطة الكنيسة التي هي جسده، فإن مجد المسيح وبركتنا نحن اعضاء جسده مرتبطان معا ارتباطا ابديا ولا يمكن فصل الواحد عن الآخر.

والرسول في قوله " كَمَا سَبَقْتُ فَكَتَبْتُ بِالْإِيجَازِ " يشير إلى ما كتبه في الاصحاح الأول (٩٤-١٤) وكذلك في الاصحاح الثاني. لقد أشار بإيجاز إلى موضوع هذا السر، ولكنه يريد هنا في الاصحاح أن يكتب عنه بأكثر تفصيل.

* * * * *

إن غاية الرسول العظمى هي أن المؤمنين إذ يقرأون ما يكتبه عن هذا السر يكون معروفا ومفهوما جيدا، وهذا بلا شك هدف كل خادم أمين للمسيح. انه يريد أن يوصل لاختوته المؤمنين كل ما تعلم من الحق الإلهي. ليتنا نقرأ كلمة الله بروح الصلاة وبتأمل عميق حتى نستطيع أن نفهمها ونتغذى بها ونلهج فيها. وبقدر ما نتعمق في درس كلمة الله وفهمها يزداد سجودنا وتعبدنا لإلهنا وأبيننا وللرب يسوع سيدنا من أجل نعمته التي اجزلها لنا.

* * * * *

(٥) " الَّذِي فِي أَجْيَالٍ أُخَرَ لَمْ يُعَرَفْ بِهِ بَنُو الْبَشَرِ ، كَمَا قَدْ أُعْلِنَ الْآنَ لِرُسُلِهِ الْقَدِيسِينَ وَأَنْبِيَائِهِ بِالرُّوحِ "

ترينا كلمات الرسول هذه، بكل وضوح، أن هذا السر لم يكن معروفا قبلا عند أحد من البشر، ومع انه كان في التدابير السابقة لعهد النعمة الحاضر قديسون أفاضل ولكن هذا السر لم يعلن لأحد منهم، وانما أعلنه الرب يسوع لرسله القديسين وأنبيائه (انبياء العهد الجديد) بالروح القدس، ومعروف طبعا أن الروح القدس لم يسكن في أحد من المؤمنين قبل موت ربنا المبارك وقيامته من بين الأموات بمجد الاب وارتفاعه إلى السماء (يو : ٧ : ٣٩).

يذكر الرسول هنا ما يتضمنه هذا السر الذي لم يكن معروفا من قبل. انه يتضمن بركات سماوية ومواعيد عظيمة وثمانية للمؤمنين بالمسيح من الأمم في تدبير النعمة الحاضر – مواعيد لم يعرف عنها أنبياء وقديسو العهد القديم شيئا. انك إذا قرأت كل أسفار العهد القديم، من سفر التكوين إلى سفر ملاخي لن تجد فيها ذكرا للبركات الروحية السماوية التي للمؤمنين بالمسيح من الأمم كما للمؤمنين به من اليهود (١١٤١ : ١٥-١٧). صحيح أن الله أعطى لابراهيم مواعيد تتضمن بركات أرضية للأمم مستقبلا – أعنى في الملك الألفى المجيد (تك ٢٢ : ١٨) ولكن هناك فرقا كبيرا بين مواعيد الله لابراهيم من نحو الأمم وبين بركاته للكنيسة التي صارت لها في المسيح يسوع. نعم أن هناك فرقا كبيرا بين المواعيد التي تكلم بها أنبياء العهد القديم وبين البركات التي للكنيسة في تدبير النعمة الحاضر، والتي أعلنها الروح القدس في كتابات العهد الجديد، وهي أن الأمم، الأمم المؤمنين بالمسيح صاروا (أولاً) " شُرَكَاءَ فِي الْمِيرَاثِ " ، فمع أنه لم يكن للأمم نصيب في الميراث والمواعيد والبركات الأرضية التي وعد الله بها ابراهيم ونسله (مت ١٥ : ٢١-٢٧) ولكن شكرا لله فقد صار لنا نحن المؤمنين بالمسيح من الأمم شركة في الميراث السماوي مع المسيح كما للمؤمنين به من اليهود على السواء " فَإِنْ كُنَّا أَوْلَادًا فَإِنَّا وَرَثَةٌ أَيْضًا وَرَثَةُ اللَّهِ وَ وَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ " (رو ٨ : ١٧). (ثانيا) أن هؤلاء المؤمنين بالمسيح من الأمم صاروا شركاء في الجسد أعنى الجسد السرى المكون بقوة الروح القدس من جميع المؤمنين بالمسيح والذي رأسه هو المسيح الممجد عن يمين الاب. (ثالثاً) صاروا شركاء أيضاً في " نَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ بِالْإِنْجِيلِ " والمقصود بموعده هنا على الأرجح هو الروح القدس " مَوْعِدَ الْإِب" (أع ١ : ٤). فإن الروح القدس لم يعط للمؤمنين بالمسيح من اليهود فقط بل ومن الأمم أيضاً (أع ١٠ : ٤٥ ، ١١ : ١٦ و ١٧).

* * * * *

(٧) " الَّذِي صِرْتُ أَنَا خَادِمًا لَهُ حَسَبَ مَوْهَبَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُعْطَاةِ لِي حَسَبَ فِعْلِ قُوَّتِهِ "

كان للرسول بولس خدمتان : فقد كان خادماً للإنجيل – إنجيل المسيح في المجد. هذا الإنجيل الذي بشر به بين الأمم وبواسطته تأسست كنائس كثيرة في أماكن عديدة، كما كان أيضاً خادماً للكنيسة، فهو الذي أعطى له أن يعلن ويذيع الحق المجيد الخاص بالكنيسة باعتبارها جسد المسيح. ويبين الرسول هذه الحقيقة، أعني أنه كان (١) خادماً للإنجيل (٢) وخادماً للكنيسة في رسالته إلى المؤمنين في كولوسي، فعن الإنجيل يقول " الَّذِي صِرْتُ أَنَا بُؤْسَ خَادِمًا لَهُ " (١ : ٢٣) كما أنه يقول عن الكنيسة " الَّتِي صِرْتُ أَنَا خَادِمًا لَهَا، حَسَبَ تَدْبِيرِ اللَّهِ الْمُعْطَى لِي لِأَجْلِكُمْ " (١ : ٢٤ و٢٥).

* * * * *

(٨) " لِي أَنَا أَصْغَرَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ أُعْطِيتُ هَذِهِ النِّعْمَةُ، أَنْ ابْشِرَ بَيْنَ الْأُمَمِ بِغْنَى الْمَسِيحِ الَّذِي لَا يُسْتَقْصَى "

يالسمنعمة الله التي أعطيت للرسول بولس! فإن هذا الذي كان قبلاً مجدفاً ومضطهداً لكنيسة الله أصبح الآن إناء مكرساً للمسيح وللكراسة بغناه الذي لا يستقصى. وما أجمل الوداعة والتواضع اللذين زين الله بهما هذا الرسول المغبوط، فانه إذ يتحدث عن نعمة الله العاملة فيه كواحد من المؤمنين يقول بأنه " أَصْغَرَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ " كما أنه عندما يتحدث عن خدمته كواحد من الرسل يقول " لِأَنِّي أَصْغَرُ الرُّسُلِ أَنَا الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا لِأَنْ أُدْعَى رَسُولًا لِأَنِّي اضْطَهَدْتُ كَنِيسَةَ اللَّهِ " (١كو ١٥ : ٩) ولكنه عندما يشير إلى نفسه كواحد من البشر يقول بأنه أول الخطة " الْخُطَاةَ الَّذِينَ أَوْ لَهُمْ أَنَا " (١تي ١ : ١٥). لیتنا نتمثل بالرسول بولس في تواضعه بل بالحري بالرب يسوع نفسه الذي يدعونا قائلاً " تَعَالَوْا إِلَيَّ... احْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمَتَوَاضِعٌ الْقَلْبِ فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنَفْسِكُمْ " (مت ١١ : ٢٩).

إن إدراكنا لمقامنا السماوي كما أن نمو نا في النعمة وفي معرفة ربنا يسوع المسيح يجب أن يكون مزيماً ومجماً بالوداعة والتواضع وليس بالعجب والانتفاخ، فلا نحسب أنفسنا أفضل وأعظم من الآخرين الذين لم يدركوا بعد ما أدركنا بنعمة الله من حقائق إلهية.

* * * * *

لقد كانت خدمة الرسول هي الكرازة بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يستقى، الأمم الذين كانوا قبلاً في ظلمة حالكة، وفي جهالتهم كانوا يعبدون الأوثان اليكم، هؤلاء صار لهم نصيب مجيد ومبارك في " غنى المسيح الذي لا يستقصى " تبارك اسم ربنا يسوع فإن غناه الذي لا حد له صار لنا نحن الأمم الذين قبلناه مخلصاً وربنا وسيداً. فهل أنا وأنت يا

قارن العزير متمتعان بهذا الغنى الذي لا نهاية له؟ أن كان فقر المسيح هو غنى لنا (٢كو ٨ : ٩) فكم بالحري يكون غناه الذي لا يستقصى؟ لقد حسب موسى في يومه أن عار المسيح غنى أعظم من خزان مصر (عب ١١ : ٢٦) فليتنا نحن بدورنا نوجد باستمرار في ملء الشركة المقدسة مع ربنا المبارك فنتمتع عمليا به وبغناه "الذي لا يُستقصى" ما أسعد الوجود في هذه الحالة المباركة اختباريا!

* * * * *

(٩) "وَأُنِيرَ الْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدَّهْرِ فِي اللَّهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ"

ليت كل خادم للمسيح يتأمل مليا فيما تتضمنه كلمات الرسول هذه، فإن عمله لم يكن قاصرا على خدمة المؤمنين فقط، بل كان هدفه أيضاً توصيل البشارة إلى جميع الناس "وَأُنِيرَ الْجَمِيعَ" أعنى ليدرك جميع البشر نعمة الله الغنية التي لا تقدم لهم غفرانا لخطاياهم فحسب – غفرانا مؤسسا على كفاية ذبيحة ربنا يسوع المسيح بل تعبهم أيضاً اتحادا بالمسيح وتصيرهم أعضاء في جسده.

* * * * *

ثم لنلاحظ قوله "السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدَّهْرِ فِي اللَّهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ" فإن هذا السر لم يكن مكتوماً في الكتاب المقدس – أعنى أسفار العهد القديم، بل كان مكتوماً في الله، فلم يعرفه أحد من قديسي التدابير السابقة لعهد النعمة الحاضر، ولكن بعد موت ربنا يسوع المسيح وقيامته من بين الأموات وصعوده إلى السماء حضر الروح القدس إلى العالم وسكن في المؤمنين ليعلن لهم قيمة عمل الفداء وليذيع هذا السر الذي كان قلاباً مكتوماً وغير معلناً.

* * * * *

(١٠) "لِكَيْ يُعْرَفَ الْآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلَاطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ بِوَسِطَةِ الْكَنِيسَةِ بِحِكْمَةِ اللَّهِ الْمُتَنَوِّعَةِ"

نرى هنا أن هذا السر المجيد الخاص بالكنيسة ومقامها السماوي لم يكن فقط غير معروف عند مؤمني العهد القديم بل كان غير معروف أيضاً عند الرؤساء والسلطين أي الملائكة ورؤساء الملائكة "لِكَيْ يُعْرَفَ الْآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلَاطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ" وان يروا فيه "بِحِكْمَةِ اللَّهِ الْمُتَنَوِّعَةِ" أعنى أن الله أراد أن يعلن للملائكة نوعاً جديداً من الحكمة الإلهية. لقد رأى الملائكة من قبل حكمة الله في صور متنوعة. رأوا حكمته في ابداع

الخليقة وعندئذٍ " تَرْتَمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعاً وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللَّهِ؟ " (أيوب ٣٨ : ٧) كما رأوا حكمته في أعماله المتنوعة في كل التدابير السابقة لعهد النعمة الحاضر، أما الآن فقد أعلن الله لهم شيئاً جديداً لم يعرفوه من قبل بل كان سرا مكتوماً في الله وحده. نعم لقد شاء الله أن يعرف الملائكة حكمته المتنوعة بواسطة الكنيسة. يا لسمو هذا المقام الذي رفع الله كنيسته إليه! وفي الوقت نفسه ما أخطر مسؤولية الكنيسة أي جميع المسيحيين الحقيقيين الذين تتكون الكنيسة منهم! ولكن ما أقل الذين يدركون مقام الكنيسة وبالتالي ما أكثر الذين لا يعرفون فكر الله ومشينته من نحو كنيسته ومن نحو سلوكها في هذا العالم كشاهدة له. فهل نحن سالكون وفق إرادته حتى يتسنى له تعالى أن يشير إلينا كدرس لملائكته؟ أن إرادة الله هي أن تكون الكنيسة بمثابة كتاب للملائكة فيه يتعلمون " حِكْمَةَ اللَّهِ الْمُتَنَوِّعَةِ " هذا هو قصد الله وهذه هي مسئوليتنا نحن، فليس قصد الله أن يعرف الرؤساء والسلطين بحكمته المتنوعة عندما نصل إلى السماء بل الآن ونحن هنا في هذا العالم " لِكَيْ يُعَرَّفَ الْآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلَاطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ بِوَاسِطَةِ الْكَنِيسَةِ بِحِكْمَةِ اللَّهِ الْمُتَنَوِّعَةِ "

مما لا ريب فيه أنه أن كنا سالكين بحسب إرادة الله أبينا والرب يسوع سيدنا فإن العالم ييغضنا، ولكن ألا يكفيننا بل ويسعدنا اننا موضوع مشورات الله العجيبة، وأن ملائكته يحيطون بنا، وأنه ينظر إلينا باستمرار نظرة الحب الفائق الإدراك؟ ألا يكفيننا أنه أعطانا المسيح ليكون " حياتنا " – المسيح الذي هو " عطية الله التي لا يعبر عنها " كما أنه أعطانا الروح القدس ليسكن فينا جاعلاً إيانا هيكلًا له ونحن هنا على الأرض؟ إذا أراد ملاك من الملائكة أن يعرف أين تستقر محبة الله فعليه أن يطل من فوق إلى هذا العالم فيراها مستقرة على كل المؤمنين، حتى على أصغر وأضعف

المؤمنين، فهل ادركنا هذا أيها القارئ العزيز؟ هل أدركنا أنت وأنا هذا السمو الذي أو صلنا الله إليه في نعمته الغنية والعجيبة؟ أن إدراكنا لهذا الحق الثمين والمبارك من شأنه أن يقودنا لأن نفصل عن كل ما هو تحت الشمس، عن كل ما يميل إليه الجسد مما في هذا العالم. لقد صار لنا مركز ومقام مع المسيح فوق الشمس لذا يجب أن نضع كل شيء هنا في هذا العالم تحت حكم الموت وأن يكون هدفنا الوحيد هو مجد اسم ربنا يسوع المسيح وأن يكون فرحنا فيه وحده.

* * * * *

(١١) " حَسَبَ قَصْدِ الدَّهْورِ الَّذِي صَنَعَهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبَّنَا "

أن كل مشورات الله العجيبة وأفكاره الصالحة من نحو كنيسته وما عمله لأجلها وفيها، كل ذلك تم لها بحسب قصده الأزلي " قَصْدِ الدَّهْورِ " وذلك في المسيح يسوع ربنا. لاسمه المعبود كل المجد.

إن من يقرأ كلمة الله بإمعان وبروح الصلاة يجد واضحا فيها أن قصد الله الأزلى عندما خلق العالم وعمل الإنسان هو أن يأخذ جماعة عظيمة من أولاد آدم الساقط ويصيرهم خليفة جديدة ويتحد بهم بابنه المبارك ليكونوا معه ويشاركونه في مجده طوال الأبدية. كل ذلك " صنعه في المسيح يسوع ربنا " ولمجده.

* * * * *

(١٢) " الَّذِي بِهِ لَنَا جَرَاءَةٌ وَقُدُومٌ بِإِيمَانِهِ عَنْ ثِقَةٍ "

أشار الرسول في العدد السابق إلى ربنا يسوع المسيح الممجد الآن في الأعلى كمن فيه وحده يتحقق قصد الله الأزلى " قَصْدُ الدهور " هذا القصد الذي يدور حول بركة الكنيسة في اقترانها واتحادها برأسها المجيد يسوع المسيح. هذا هو الحق الغالي والثمين الذي فيه يرى الملائكة ورؤساء الملائكة " حكمة الله المتنوعة " ولكن ليس هذا كل ما صار لنا في المسيح، فهو، تبارك اسمه، الذي صار لنا به جراءة وقدم إلى الله أبينا. لقد صار لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح : لذا وقد امتلكننا هذا السلام نستطيع أن نتقدم بجراءة أعنى بدون خوف أو فزع بل بالحري بشجاعة تامة وثقة كاملة إلى الله أبينا الذي يسر باقترابنا وقدمنا إلى عرش نعمته في اسم ابنه العزيز ربنا يسوع المسيح " فَاذْ لَنَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى الْأَقْدَاسِ » بِدَمِ يَسُوعَ... لِنَتَقَدَّمَ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ الْإِيمَانِ " (عب ١٠ : ١٩-٢٢) " فَاذْ لَنَا رُبُّسٌ كَهَنَةً عَظِيمٌ قَدْ اجْتَاَزَ السَّمَاوَاتِ، يَسُوعُ ابْنُ اللَّهِ،... فَلِنَتَقَدَّمَ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ " (عب ٤ : ١٤-١٦) أن النفس التي وثقت في محبة الاب لا ترهب الاقتراب إليه بل يلذ لها أن توجد في حضرته القدسية – يلذ لها أن تطيل الشركة معه. ليتنا نزداد إدراكا لمحبة أبينا فنجد أن أسعد اللحظات هي التي نهنا فيها بالوجود أمامه في اسم ربنا يسوع المسيح الذي آمنا به و وثقنا فيه وفي كفاية عمله فوق الصليب " بِإِيمَانِهِ عَنْ ثِقَةٍ " أي بالإيمان به والثقة فيه.

* * * * *

(١٣) " لِذَلِكَ أَطْلُبُ أَنْ لَا تَكَلُّوا فِي شِدَائِدِي لِأَجْلِكُمْ الَّتِي هِيَ مَجْدُكُمْ "

رأينا في أول هذا الاصحاح كيف أن الرسول كان أسير يسوع المسيح وذلك بسبب إعلان السر الخاص بالكنيسة ومقامها.

نعم انه بسبب إعلان السر الخاص بالكنيسة (المكونة من اليهود والأمم على السواء) ومقامها السماوي – هذا المقام الذي صار لها لاقترانها واتحادها بالمسيح الرأس – بسبب ذلك كان الرسول بولس أسيرا مقيدا بالسلاسل، وكان معرضا وقتئذ للموت، إذ قد سر الله بأن يستخدم عبده ورسوله هذا في إعلان سمو مركز الكنيسة ومقامها المجيد. وهنا (في

(١٣ع) يعود الرسول ليذكرهم بهذه الحقيقة مرة أخرى إذ يبدو أن نفوسهم كانت صغيرة بسبب آلامه، لذا يشجعهم ويطلب اليهم أن لا يكلوا بسبب شدائده بل بالحري يجب أن تكون تلك الشدائد عاملا على تقوية إيمانهم. لقد كان الرسول تحت سلطة الحكومة الرومانية الغاشمة التي قيدته بالسلاسل، ولكن هناك في ذلك الأسر أعلن الله، بواسطة الكنيسة، ذلك المجد الذي صار لها في اتحادها برأسها الممجّد، الأمر الذي ملأ قلب الرسول فرحا في وسط شدائده، لذا يطلب اليهم بأن لا يكلوا ولا يفشلوا. ما أجمل الاتحاد الذي أوّده الروح القدس بين القديسين أعضاء الجسد الواحد، فالرسول يعتبر أن شدائده هي مجد لهم وليس له وحده.

* * * * *

(١٥و١٤) "بِسَبَبِ هَذَا أَحْنِي رُكْبَتِي لَدَى أَبِي رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الْأَرْضِ"

رأينا في تأملاتنا في الاصحاح الأول أن من أهم الصلوات التي سر الروح القدس أن يدونها لنا على صفحات الكتاب المقدس، تلك التي قدمها الرسول بولس وهو أسير ومقيد بالسلاسل. انها صلوات قيمة وعظيمة وملينة بالتعاليم الروحية النافعة لنا. وقد رأينا أيضاً أن هذه الرسالة تتضمن صلوتين، الأولى في الاصحاح الأول (١٥ع-٢٣) والثانية في هذا الاصحاح ٣ : (١٤-٢١) وقد سبقت الإشارة عند التأمل في الاصحاح الأول (٣ع) إلى أن الله، تبارك اسمه، هو إله ربنا يسوع المسيح وأنه أيضاً ابوربنا يسوع المسيح، وان كل صلاة من هاتين الصلوتين مرتبطة في موضوعها باحدى هاتين العلاقتين. فالصلاة الأولى مقدمة إلى "إِلَهُ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١ : ١٧) والثانية مقدمة إلى "أَبِي رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (٣ : ١٤). في الصلاة الأولى رأينا كالأب الذي الله إلهه "إلهي" (مت ١٧ : ٤٦، يو ١٧ : ١٧) بينما في الصلاة الثانية نراه في علاقته الفريدة بالأب كالأب الوحيد-العلاقة الأزلية والأبدية "أبي" (يو ٢٠).

ومن الأهمية بمكان أن نراعي أن هناك فرقا بين صلاته الأولى (ص ١) وبين صلاته الثانية (ص ٣) فالأولى موضوعها "الذهن" بينما الثانية موضوعها "الإنسان الباطن" - الأولى موضوعها "الاستنارة" بينما الثانية موضوعها "المسيح في القلب" فلا يكفي حصولنا على المعرفة بل يجب أن تثمر هذه المعرفة ثمرا روحيا في حياتنا العملية. ان قراءتنا للصلاة الأولى تقودنا للتأمل في قصد الله الأزلي ومشوراته العجيبة من نحونا، ولكن تأملنا في الصلاة الثانية يقودنا إلى سكب قلوبنا بالتعبد والتعظيم لله أبينا، والمحبة والتكريس للرب يسوع الذي أحبنا أولاً.

* * * * *

"بسبب هذا" أعنى بسبب سمو هذا السر الذي أفاض الرسول في شرحه في الأعداد السابقة (١٤-١٣) حيث كان كل غرضه أن يتمتع المؤمنون عمليا بهذه الامتيازات المباركة التي لهم في المسيح.

" بسبب هذا أحنى ركبتي لدى ابي ربنا يسوع المسيح " فإن سمو وجلال الموضوع الذي كان ماثلا أمام الرسول ومالئا قلبه وافكاره قد قاده لأن يحنى ركبته ويسكب نفسه وعواطفه أمام الله الاب. صحيح أن في أجزاء كثيرة من كلمة الله نقرأ عن الصلاة وقوفا (أنظر اصم ١ : ٢٦، مر ١١ : ٢٥، لو ١٨ : ١١ و ١٣) ولكن إحناء الركبتين أمام الله يدل على الأهمية العظمى التي لموضوع الصلاة كما يدل على سكب النفس والقلب أمام عرش النعمة. وكأني بالرسول عندما كان يملأ هذه الرسالة على الشخص الذي كان يكتبها (كما في رو ١٦ : ٢٢) – كأني به عندما أتى إلى إعلان هذه المشورات العجيبة وإلى الكرازة بغنى المسيح الذي لا يستقصى، لم يستطع إلا أن يتوقف قليلاً عن الاملاء لكي يحنى ركبتيه. ولسنا نغالي أن قلنا أن صلاة بولس هذه هي اسمى صلواته – هي تاج كل صلواته الأخرى. ولم يكن أمرا مستغربا عند القديسين في أفسس أن يحنى بولس ركبتيه في الصلاة لأجلهم فانه بعد أن خاطب قسوس تلك الكنيسة ذلك الخطاب الوداعي " جَنَّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ مَعَ جَمِيعِهِمْ وَصَلَّى " (١٠٤ : ٣٦). الم نختبر نحن أيضاً ذلك عمليا؟ فقد نصلى منفردين أو مجتمعين معا ونحن واقفون على أقدامنا ولكن عندما يقودنا الروح القدس للتأمل العميق في مشورات محبة الله العجيبة ونعمته الغنية ألا نجد أنفسنا مدفوعين لاحناء ركبتنا بالسجود والتعبد لله أبيعنا؟ ليتنا ننمو في إدراك سمو مقامنا وما صار لنا في المسيح يسوع ربنا من غنى لا يستقصى فتكون لنا الركب المنحية والقلوب الفاضلة بالتعبد لابي ربنا يسوع المسيح.

* * * * *

" الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الْأَرْضِ "

لقد كانت لإسرائيل دون سواه في العهد القديم علاقة مع الله باعتباره " يهوه " ولكن عندما يحدثنا الرسول هنا عن اله " ابي ربنا يسوع المسيح " فانه لا يقدمه لنا كمن له علاقة بعشيرة واحدة فقط هي إسرائيل، ولكن كالخالق لجميع الكائنات الحية – الملائكة والبشر على السواء، هو " الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الْأَرْضِ " انه هو " خالق الجميع بيسوع المسيح " (٩٤) فالمقصود بكل عشيرة في السموات وعلى الأرض هو الملائكة ورؤساء الملائكة الذين يدعون أيضاً "أبناء الله" (أي ١ : ٦، ٣٨ : ٧) وكذا جميع المؤمنين في تدبير النعمة الحاضر كما في التدابير السابقة أعنى في أيام الاباء الذين قبل

الطوفان وبعده، وكذا مؤمنى العهد القديم، وكذلك جميع المؤمنين الذين سيوجدون على الأرض بعد اختطاف الكنيسة أي البقية النقية من إسرائيل والامم الذين يقبلون بشارة الملكوت. وقد عين الله لكل عشيرة من هذه العشائر مركزها ومقامها، فليس لها جميعها مركز ومقام واحد، فاننا نقرأ في كلمة الله عن العروس امرأة الخروف كما نقرأ عن أصدقاء العريس. كذلك نقرأ في سفر نشيد الانشاد (ص ٦ : ٨ و ٩) عن ملكات وسرارى و عذارى وبنات. ولاشك أن لكل عشيرة من هؤلاء علاقتها بالمسيح، إلا أن المقام الاسمى، ولا ريب، هو للكنيسة التي هي عروس الحمل السماوية، الكنيسة التي هي جسده " لأننا أعضاء جسده من لحمه ومن عظامه "

* * * * *

(١٦) " لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ أَنْ تَتَّيَدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الْإِنْسَانِ الْبَاطِنِ "

يا لسمو نعمة إلها وأبينا من نحونا! انه، تبارك اسمه، مستعد ويريد أن يعطى، لا بمقياس ادراكنا المحدود ولكن " بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ " (في ٤ : ١٩) ومهما سألنا فلا نستطيع أن نطلب منه أكثر مما يستطيع أن يعطى أو يهب. انه يعطينا " بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ " قيل أن شخصا ما تقدم إلى الملك وطلب منه شيئا فأعطاه الملك بحسب غناه وكرمه، أعطاه أكثر مما سأل، فقال ذلك السائل له، يا جلالة الملك أن هذا كثير وأكثر جدا من اللازم. فابتسم الملك وقال له " قد يبدو لك أن ما تأخذه كثير بالنسبة لك ولكن بالنسبة لى ليس ما أعطيه كثيراً على " فجدير بنا اذن أن نطلب من إلها وأبينا المحب بثقة وبيقين لأنه يفعل فوق كل شيء أكثر جدا مما نطلب أو نفتكر.

* * * * *

ان صلاة الرسول بولس هذه هي بمثابة سلسلة ثمينة مكونة من حلقات ذهبية. انها تتضمن مجموعة من الطلبات الروحية العالية :

" لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ أَنْ تَتَّيَدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الْإِنْسَانِ الْبَاطِنِ " لقد عرف الرسول بولس ضعف الإنسان في ذاته – عرف معنى قول الرب " بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا " بل سمع كلمات الرب المشجعة " تكفيك نعمتى لان قوتى في الضعف تكمل " لذا كان أول شيء طلبه في هذه الصلاة هو أن يتأيّدوا بقوة الروح القدس في الإنسان الباطن. صحيح أن الروح القدس ساكن في كل مؤمن حقيقى الأمر الذي أكده الرسول في الاصحاح الأول " إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمُؤَدِّ الْقُدُّوسِ " (١٣ع) ولكن ما نحتاج اليه هو أن نتأيّد بقوته في الإنسان الباطن. ليتنا نتمثل بالرسول بولس فنحنى ركبنا باستمرار لدى ابى ربنا يسوع المسيح لكى يؤيدنا بقوة روحه القدوس. حقاً ما أحوجنا في هذه الأيام

الأخيرة – أيام لأودكية التي ساد فيها الضعف والفتور على كثيرين من المسيحيين، أقول ما أخرجنا إلى سكب نفوسنا يومياً وباستمرار أمام إلهنا وأبيننا لكى يؤيدنا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن.

* * * * *

(١٧) " لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ "

جدير بالملاحظة أن غاية الرسول في طلبه لأجل المؤمنين بأن يتأيدوا بقوة الروح القدس في الإنسان الباطن هي لكى يحل المسيح بالإيمان في قلوبهم. إذ متى امتلك الروح القدس حياة المسيحي الحقيقي فإنه يملأ قلبه وعواطفه وأفكاره وكل كيانه بالمسيح يسوع. أن غاية الروح العظمى في سكناه في المؤمنين هي أن يريهم ما في المسيح من كمالات وأمجاد. انه يريهم كيف انه " ابرع جمالا من بنى البشر " وان " حلقه حلوة وكله مشتهيات " " ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مَعَهُ لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِيَابَ هُوَ لِي. لِهَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مَعَهُ لِي وَيُخْبِرُكُمْ " (يو ١٦ : ١٤ و ١٥).

انه من الخطأ أن تنحصر أفكارنا ومشغوليتنا في عمل الروح القدس فينا مهما كان عظيماً، فإن الغرض من سكنا ومن عمله فينا هو ليشهد للمسيح (يو ١٥ : ٢٦) حتى يكون للمسيح مكانه اللائق في قلوبنا.

* * * * *

ومن الأهمية بمكان أن نراعى قصد الرسول في صلاته هذه، فهو لا يطلب لأجل القديسين في أفسس بأن يقبلوا المسيح بالإيمان، فإن هذا قد تم فعلاً في اللحظة التي فيها قبلوه مخلصاً وفادياً لهم، ولكن هناك بركة اسمى من ذلك، وهي أن يجلس المسيح على عرش قلوبنا.

و واضح أيضاً أن كل مؤمن حقيقى هو في المسيح " إذاً أَنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ " (٢كو ٥ : ١٧) " أَعْرِفْ إِنْسَاناً فِي الْمَسِيحِ " (٢كو ١٢ : ٢). ولكن السؤال المهم هو " هل للمسيح وحده مكانه في قلوبنا؟ " انه لا يقبل أن يكون لأي شيء آخر مكان معه فيه. كما تقول ترنيمة انجيلية ما معناه " إذا لم يكن المسيح رباً وسيداً على كل شيء (في القلب) فهو ليس سيداً على أي شيء^(١).

ومتى حل المسيح بالإيمان في قلب المؤمن وامتلكه فإنه بالتالي يهيمن على الكيان بجملته. انه يسود على الحواس والعواطف والأفكار وكل أعضاء الجسد، وهذا هو سبيل النصر والفرح في حياة المسيحي الحقيقي. حقاً ما أسعد المؤمن الذي يكون المسيح كل شيء في حياته " المسيح يحيا في " ليتنا نصلى بلجاجة وباستمرار وبركبة منحنية لدى ابي ربنا

يسوع المسيح حتى يكون هذا اختبار الكاتب والقارئ العزيز طيلة أيام وجودنا في هذا العالم.

* * * * *

(١٨) " أَنْتُمْ مُتَّاصِلُونَ وَمُتَّاسِسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمُقُ وَالْعُلُوُّ "

يستعمل الرسول في مستهل هذا العدد تشبيهين جميلين للمؤمنين " أَنْتُمْ مُتَّاصِلُونَ

(1) " If Christ is not Lord of all, He is not Lord at all

وَمُتَّاسِسُونَ " واننا نجد ما يماثلهما في رسالته إلى أهل كولوسي (ص ٢ : ٧) " مُتَّاصِلِينَ وَمَبْنِيِّينَ فِيهِ " وهذا معناه اننا " متواصلون " كشجرة تعمقت جذورها في باطن الأرض فصارت ثابتة لا تززعها العواصف كما انها مليئة بالثمار الشهية " فَيَكُونُ كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ مَجَارِيِ الْمِيَاهِ الَّتِي تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي أَوَانِهِ وَرَقُهَا لَا يَذْبُلُ " (مز ١) " ومتأسسون " كبناء راسخ مبنى على الصخر " صخر الدهور " ربنا يسوع المسيح.

" مُتَّاصِلُونَ وَمُتَّاسِسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ " فالمؤمن كشجرة متصلة تستمد غذائها من الله الذي هو " محبة " وكنباء متين مؤسس على الصخر الراسخ ربنا يسوع المسيح الذي هو المحبة المتجسدة " وَأَنْتُمْ فَلَاحَةُ اللَّهِ بِنَاءِ اللَّهِ " (١كو ٣ : ٩).

* * * * *

" حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين " وهنا نرى فائدة الشركة المقدسة بين المؤمنين، فانه متى كنا متواصلين ومتأسسين في المحبة نستطيع أن نساعد ونعاون بعضنا بعضا في فهم وادراك مشورات نعمة الله الغنية من نحونا. اننا لا نستطيع أن نستغنى عن بعضنا البعض، فكل واحد منا كعضو في الجسد الواحد هو نافع لبقية الأعضاء. بل بالحري أن أصغر وأضعف عضو في جسد المسيح هو لازم لبقية الاعضاء (١كو ١٢ : ٢٢-٢٥) فمتى كنا متواصلين ومتأسسين في المحبة نستطيع معا " أن ندرك ما هو العرض والطول والعمق والعلو " أي يكون لنا النمو والتقدم في معرفة وادراك ذلك السر الذي هو موضوع هذا الاصحاح بصفة خاصة.

يظن البعض أن المقصود بالعرض والطول والعمق والعلو هو " محبة المسيح " ولكن ليس هذا هو قصد الرسول هنا لان حرف الواو في العبارة التالية " وتعرفوا محبة المسيح " يبين أن المقصود بعبارة " أَنْ تُدْرِكُوا... مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمُقُ وَالْعُلُو " هو شيء آخر غير محبة المسيح.

صحيح أن الرسول لا يذكر هنا بوضوح الشيء الذي له هذا العرض والطول والعمق والعلو – انه يترك ذلك لفطنة القارئ أو بالحري ليفهم أن المقصود هو ذاك السر المبارك الذي أفاض الرسول في شرح موضوعه في هذه الرسالة وبصفة خاصة في هذا الاصحاح.

* * * * *

(١٩) " وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةَ، لِكَيْ تَمْتَلِنُوا إِلَى كُلِّ مِلءٍ اللَّهِ "

يختم الرسول صلاته لأجل القديسين بهذه الطلبة العجيبة والمجيدة " وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةَ " فكأنه ابقى الخمر الجيدة إلى الآخر. انه شيء جميل ومبارك أن ننمو في إدراك سمونعمة الله الغنية من نحن – أن ندرك ما هو عرض وطول وعمق وعلو قصد الله الأزلى – ذلك القصد الذي كان سرا مكتوما ولكنه أعلن لنا نحن أولاد الله في تدبير العهد الجديد المجيد، إلا أن الرسول يختم صلاته بهذه الطلبة العجيبة " وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةَ، لِكَيْ تَمْتَلِنُوا إِلَى كُلِّ مِلءٍ اللَّهِ " ألا يبدو كأن هناك تناقضا في هذه العبارة إذ كيف نستطيع أن نعرف شيئا فائق المعرفة؟ الصحيح هو أن الرسول لا يقصد بقوله هذا أننا نستطيع – في أي وقت من الأوقات – أن نستوعب محبة المسيح ونعرفها معرفة كاملة بل أن ننمو أكثر فأكثر في معرفة هذه المحبة اللانهائية، وكأن الرسول يقودنا إلى السباحة في بحر عميق – عميق جدا ولا نهاية لعمقه – إلى بحر لا شاطئ له، فأننا لن نستطيع، لا في الحياة الحاضرة ولا في الأبدية، أن نصل إلى آخر أو نهاية لهذه المحبة، فإن محبة

المسيح لنا هي كمحبة الاب له " كَمَا أَحَبَّنِي الْإِبْنُ كَذَلِكَ أَحَبُّنُكُمُ أَنَا " (يو ١٥ : ٩) فكما أن محبة الله الاب لابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح لا قياس ولا حدود لها كذلك محبة المسيح لنا.

أيها الرب يسوع ما أعجبك وما أعجب محبتك لنا! فهبنا بنعمتك أن نعرفك ونعرف محبتك أكثر فأكثر وان نختبرها عمليا وباستمرار في حياتنا.

حبك الحب العجيب فاق إدراك العقول

لم يكن هول الصليب دون ذا الحب يحول

ليس من حد له أو قياس أو قرار

كل فكر للورى عند ذا الحب يحار

أليست هذه هي غبطة السماء بعينها؟ أن غبطتنا ونحن هنا على الأرض إذا كنا قد عرفنا
محبة المسيح الفائقة المعرفة وملكت هذه المحبة على كل كيائنا هي غبطة السماء.

وكما أن محبة المسيح لنا هي كمحبة الاب له كذلك محبة الاب لنا نحن أولاده هي كمحبته
لابنه العزيز ربنا يسوع (يو ١٧ : ٢٣) أليس هذا عجيباً! نعم انه عجيب ولكنه في الوقت
نفسه حقيقى وصحيح.

والله قد احبنا محبة ابنه الحبيب

لأننا فيه وذا تفسير ذا السر العجيب

* * * * *

انه جميل حقاً أن نلاحظ كيف أن هذه الصلاة ترينا الله الواحد في أقانيمه الثلاثة عاملاً
لبركتنا، فالرسول قد حنى ركبتيه لدى ابى ربنا يسوع المسيح (الله الاب) لكى يؤيدنا بالقوة
بروحه (الله الروح القدس) في الإنسان الباطن ليحل المسيح بالإيمان في قلوبنا ولكى
نعرف محبة المسيح الفائقة المعرفة (الله الابن) تبارك اسمه المعبود.

* * * * *

" لِكَيْ تَمْتَلِنُوا إِلَى كُلِّ مَلءِ اللَّهِ " هذه بلاشك هي النتيجة المباركة لحلول المسيح بالإيمان
في قلوبنا ولمعرفة محبته الفائقة المعرفة. وهذا واضح من قوله " لِكَيْ تَمْتَلِنُوا " ولكن كما
أننا لا نستطيع أن نصل إلى نهاية لمحبة المسيح الفائقة المعرفة كذلك لا نستطيع أن نصل
إلى نهاية لملاء الله. وليس هناك اختبار أعجب واسمى من هذا اننا نحن الخلائق الضعيفة
المسكينة في ذاتها نمتلىء إلى كل ملء الله. أن طلبه الرسول هذه هي لنا كما كانت قديماً
للقدسيين في أفسس، فلم يكتف هذا الرسول المغبوط بما طلبه في صلاته الأولى (ص ١) أي
الاستنارة حتى نعرف أننا جسد المسيح وأننا ملء الذي يملأ الكل في الكل، بل يريد لنا أكثر
من ذلك – انه يريد لنا اختباراً اسمى أي أننا بقوة الروح القدس الساكن فينا نمتلىء إلى كل
ملء الله نفسه، وهذه جالة عملية دائرتها، ليس الذهن بل القلب، أي نمو وعمق في الشركة
مع الله بعد أن استترنا وعرفنا مركزنا ومقامنا في المسيح.

لقد صلى سليمان عند تدشين الهيكل قائلاً " هوذا السماوات وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لَا تَسْغُكُ " (١مل ٨ : ٢٧) ومع ذلك فإنه يسكن " أَسْكُنْ وَمَعَ الْمُنْسَحِقِ وَالْمُتَوَاضِعِ الرُّوحِ " (اش ٥٧ : ١٥). وكلمات الرسول يوحنا " وَمَنْ يَحْفَظْ وَصَايَاهُ يَثْبُتْ فِيهِ وَهُوَ فِيهِ " " اللَّهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ يَثْبُتْ فِي اللَّهِ وَاللَّهُ فِي " (١يو ٣ : ٢٤، ٤ : ١٦) وكذلك قول الرب يسوع لخاصته " أَتُبْنُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ " (يو ١٥ : ٤) هذه الكلمات قد تعطينا فكرة عن معنى قول الرسول " لِكَيْ تَمْتَلِنُوا إِلَى كُلِّ مِلَّةٍ اللَّهُ "

" حسنا فسر أحد رجال الله كلمات الرسول هذه بتشبيه جميل وهو أنك إذا ألقيت وعاء مفتوحا في البحر فإنه يكون في البحر والبحر فيه " ليت لنا القلوب المفتوحة لله وأمامه أو بالحري ليتنا نكثر من الشركة مع الله فيكون هذا اختبارنا المبارك استمرار - اختبار الامتلاء إلى كل ملء الله.

* * * * *

يحدثنا الروح القدس هنا عن " ملء الله " وفي الاصحاح الرابع عن " ملء المسيح " (١٣ع) وفي الاصحاح الخامس عن " ملء الروح القدس " (١٨ع) " امتلئوا بالروح " فماذا يعوزنا بعد؟

* * * * *

(٢١و٢٠) " وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِيْنَا، لَهُ الْمَجْدُ فِي الْكَنِيسَةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ إِلَى جَمِيعِ أَجْيَالِ دَهْرِ الدَّهْرِ. آمِينَ "

يختم الرسول القسم الأول من هذه الرسالة أي القسم التعليمي (ص ١-٣) بهذه التسبحة الجميلة. لقد رأينا في الأعداد السابقة (١٤-١٩) جاثيا على ركبته مصليا لأجل القديسين هذه الصلاة القيمة والتي لا تغالي أن قلنا انها أعظم واسمى صلواته المدونة في كل رسائله، أما الآن فإن قلبه يفيض بالتسبيح لله ابي ربنا يسوع المسيح " القادرة أن يفعل ".

ومن المفيد أن نلاحظ أن كلمتي " القادر أن " تتكرران ثلاث مرات في ثلاث تسبيحات واردة في رسائل العهد الجديد، فالرسول بولس في رسالته إلى أهل رومية (ص ١٦ : ٢٥) يقول " وَلِلْقَادِرِ أَنْ يُثَبِّتَكُمْ حَسَبَ إِنْجِيلِي وَالْكَرَازَةِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ... لِلَّهِ الْحَكِيمِ وَحَذَهُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ " ثم في رسالة يهوذا (٢٤ع) يقول " وَالْقَادِرُ أَنْ يَحْفَظَكُمْ غَيْرَ عَائِرِينَ، وَيُؤَفِّقَكُمْ أَمَامَ مَجْدِهِ بِلاَ عَيْبٍ فِي الْابْتِهَاجِ، الْإِلَهُ الْحَكِيمُ الْوَحِيدُ مُخْلِصُنَا، لَهُ الْمَجْدُ وَالْعِظَمَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالسُّلْطَانُ، الْآنَ وَإِلَى كُلِّ الدَّهْرِ. آمِينَ " فما اعظم قدرة الهنا الذي معه أمرنا! أن التسبيح ملذ لقلبه ومبهج لنفوسنا أيضاً.

* * * * *

ثم لنلاحظ أيضاً سعة إيمان الرسول وثقته في قدرة الله، فهو لا يكتفى بالقول " والقادر أن يفعل أكثر مما نطلب " فإن طاقته الروحية كانت أو سع من ذلك فلا يكتفى أيضاً بالقول " والقادر أن يفعل أكثر مما نطلب " بل لقد سما إيمانه بالله وبقدرته العظيمة فقال " وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ " لقد سلفت الإشارة بأن الرسول طلب في صلاته لأجل القديسين بأن يعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة وأن يمتثلوا إلى كل ملء الله، وإذ يبدو أن هذا أمر صعب المنال، لانه كيف نستطيع أن نسمو إلى اختبارات مجيدة كهذه؟ لذا يوجهنا الروح القدس إلى الله القادر أن يفعل لا أكثر مما نطلب فقط بل وأكثر مما نفتكر أو يخطر لنا ببال. ليت إيماننا في قدرة إلهنا وأبيننا يقوى ويزداد حتى اننا في كل ظروف الحياة المتنوعة نتقدم إليه بثقة كاملة وبيقين شديد عالمين انه " القادر " الذي لا حدود لقدرته فهو الذي يستطيع كل شيء ولا يعسر عليه أمر ما.

* * * * *

ان إلهنا هو القادر أن يفعل " بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِيْنَا " هذه القوة هي قوة الله الروح القدس الساكن في قلب كل مؤمن، فالمسيحي الحقيقي هو هيكل لله " لِأَنَّ هَيْكَلَ اللَّهِ مُقَدَّسٌ الَّذِي أَنْتُمْ هُوَ " (١كو ٣ : ١٧) " أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنْ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمْ " (١كو ٦ : ١٩).

أيها الأحباء أن في داخلنا نحن المؤمنين قوة إلهية تعمل فينا الآن كما أن هناك أيضاً قوة إلهية قد عملت لأجلنا وهي التي تأملنا فيها في الاصحاح الأول (١٩٤) " وَمَا هِيَ عَظْمَةٌ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحُونَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ " تلك هي القوة التي أقامت المسيح من الأموات والتي عملت لأجلنا " نحونا " حتى أقامتنا من موتنا – أقامت المسيح وأقامتنا معه. أما هنا فالروح القدس يضع أمامنا القوة التي تعمل الآن فينا والتي بها نستطيع أن نعرف محبة المسيح الفائقة المعرفة وأن نمتلىء إلى كل ملء الله. أن الله هو القادر أن يفعل " بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِيْنَا " فبقدر ما نفسح المجال للروح القدس ليهيمن على حياتنا وليعمل فينا بقوته، بهذا القدر عينه نستطيع أن نفوز بثمار وبركات هذه القدرة الإلهية التي لا حدود لها.

* * * * *

" لَهُ الْمَجْدُ فِي الْكَنِيسَةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ إِلَى جَمِيعِ أَجْيَالِ دَهْرِ الدهور. آمِينَ "

يالسموالمقام الثابت والدائم الذي أعطاه الله لكنيسته! هذا المقام الذي تضمنته هذه التسبحة الجميلة، فإن الله قد أو جد الكنيسة لتكون لمجده إلى جميع أجيال دهر الدهور – لمجده في الزمان وفي الأبدية، فلا يمكن أن يكون هناك وقت من الأوقات أو بالحري أي دهر من

الدهور لا تكون فيه الكنيسة " عروس الحمل " لمجد الله. ففي الأبدية أي بعد أن تزول السماء الأولى والأرض الأولى والبحر لا يكون فيما بعد، ستكون الكنيسة نفسها هي " مسكن الله مع الناس " (رؤ ٢١ : ٣-١) أي أن الله حالا في الكنيسة سيسكن مع الناس، فإن جميع المفديين المقيمين (بخلاف الكنيسة) سينظرون في الأبدية " مسكن الله " الذي بلا شك هو الكنيسة*، والذي بواسطته سيسكن الله مع أولئك المفديين.

* * * * *

غير أنه من المهم أن نرى أن الكنيسة لا يمكن أن تكون لمجد الله بالانفصال عن

* واضح من مقارنة رؤ ٢١ عدد ٩ مع الأعداد ١٠-٢٣ ان " العروس امرأة الخروف " التي أراها أحد السبعة الملائكة ليوحنا هي " المدينة العظيمة أو رشلیم المقدسة " فالمدينة هذه هي صورة رمزية لمجد الكنيسة وعندما رأي يوحنا أو رشلیم الجديدة نازلة من السماء سمع صوتا عظيما قائلا " هوذا مسكن الله " (ع ٣و٢).

إن الكنيسة هي مسكن الله في الحاضر وفي المستقبل أيضاً، فهي الآن مسكن لله في الروح (أف ٢ : ٢٠-٢٢) أما في الأبدية فالله، الذي هو الكل في الكل سيجعلها مسكناً له (رؤ ٢١ : ٣).

المسيح. اننا بدون المسيح كنا أجنبيين عن الله وأعداء له، ولكن إذ اتحدت الكنيسة بالمسيح فصار هو (أي المسيح) رأسها وهي جسده، صارت لحمد الله ولمجده " له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع إلى جميع أجيال دهر الدهور "

" آمين " ليت كلا من القارئ العزيز والكاتب أيضاً يشترك من القلب مع الرسول المغبوط في إحناء ركبتيه أمام الله ابي ربنا يسوع المسيح طالبا منه أن يعطيه أن يختبر عمليا كل ما تضمنته صلاة الرسول كما ويشترك معه أيضاً بكل عواطفه في هذه التسبحة المباركة التي تملأ قلبه سجودا وتعبدًا حتى يستطيع أن يقول بحق " آمين "

الأصحاح الرابع

الأصحاح الرابع هو بداية القسم الثاني والأخير من هذه الرسالة، أي القسم العملي فإن الثلاثة الاصحاحات الأولى هي القسم التعليمي الذي يدور حول قصد الله الأزلي ومشوراته من نحو الكنيسة ومقامها المجيد الذي صار لها لاتحادها واقترانها برأسها المبارك ربنا يسوع المسيح. فالله الاب هو الذي قصد منذ الأزل بان يأتي بالخطاة المساكين الذين يؤمنون بابنه الوحيد ليكونوا أولادا له، هؤلاء الذين منهم تتكون الكنيسة التي هي " جسد المسيح " ، والمسيح " الابن الوحيد " هو الذي اشترى الكنيسة بدمه الكريم إذ أسلم نفسه لأجلها، والروح القدس أتى من السماء ليقود النفوس إلى المخلص الوحيد وليتحد كل مؤمن حقيقى بالمسيح الرأس وبذا يتم قصد الله الأزلي.

سلفت الإشارة إلى أن الاصحاحات الثلاثة الأولى من هذه الرسالة هي القسم التعليمي أما الاصحاحات الثلاثة الأخيرة فإن الرسول يحدثنا فيها بالتفصيل عن الواجبات المسيحية، لأن التعليم الصحيح يجب أن يقود إلى السلوك الصحيح، ذلك لان الحياة العملية النقية هي ثمرة التعاليم النقية. فادراك سمو الدعوة أولاً ثم السلوك كما يحق لهذه الدعوة. هذا هو الترتيب الإلهي الذي نراه دائماً في رسائل الرسول بولس، وهذا هو أسلوبه الخاص فيها، فهو دائماً يقدم التعليم قبل العيشة العملية. الدعوة أولاً ثم السلوك. المقام قبل المسؤولية، أو الامتيازات قبل الالتزامات، فالمؤمن الذي يتيقن من دعوته العليا يمكنه أن يدرك أيضاً واجبه من نحو العيشة في القداسة. أن آمنت بالمسيحية التعليمية فلا بد لك من أن تحيا في المسيحية العملية. وكما يرانا الله كمن أجلسنا في السماويات في المسيح، هكذا يجب أن يرانا الناس فوق الأرض في الحالة التي تتناسب مع هذا المقام.

ويقدم لنا الروح القدس في هذا القسم الأخير من الرسالة حقيقتين جوهريتين هما : السلوك المسيحي (ص ٤ : ١ ، ٦ : ٩) والجهاد المسيحي (ص ٦ : ١٠ - ٢٠).

(١) " فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ، أَنَا الْأَسِيرُ فِي الرَّبِّ، أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا "

واضح من قوله " فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ " ان هناك ارتباطا وثيقا بين الحق التعليمي في الاصحاحات السابقة وبين الحق العملي في الاصحاحات الثلاثة الأخيرة، إذ حيثما يوجد إيمان حقيقى فلا بد أن يثمر بالأعمال الصالحة.

وهذه هي المرة الثانية التي فيها يشير الرسول إلى نفسه بأنه " الْأَسِيرُ فِي الرَّبِّ " (أنظر ص ٣ : ١) فبالرغم من أن الحكومة الرومانية هي التي أسرته وقيدته وأخيرا قدمته للموت كما قدمت ربه وسيده قبل الموت " موت الصليب " ، بالرغم من ذلك فإن الرسول يحسبه

شرفا يردد ذكره أن يكون " أسير يسوع المسيح " أو " سَفِيرٌ (له) فِي سَلَاسِلٍ " (ص ٦ : ٢٠).

وما أرق الاسلوب الذي به يخاطب الرسول بولس أولاده في الإيمان في أفسس فهو لا يخاطبهم بلغة أو لهجة الأمر ولكن بأسلوب لطيف " فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ، أَنَا الْأَسِيرُ فِي الرَّبِّ " .

* * * * *

" أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا " ما اسمى هذه الدعوة!! فإنها " دَعْوَةُ اللَّهِ الْعُلْيَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ " (في ٣ : ١٤) – " دَعْوَةُ مُقَدَّسَةٍ " (٢تى ١ : ٩). انها " الدَّعْوَةُ السَّمَاوِيَّةُ " التي صرنا شركاءها (عب ٣ : ١) لقد دعانا الله بنعمته " إلى

شَرَكَةِ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا " (١كو ١ : ٩) وفيه قد باركنا بكل بركة روحية في

السماويات، فقد وهبنا حياة أبدية، واتحدنا بابنه الحبيب رأس الجسد المقام من الأموات والمجد عن يمين الله في السماويات، كما أننا صرنا مبنيين معا مسكنا لله في الروح – صرنا هيكلًا مقدسا في الرب. ففي نور هذه الحقائق الثمينة يجب أن نسلك كما يحق لهذه الامتيازات المباركة، وكما يحق للدعوة التي دعينا بها.

* * * * *

(٢) " بِكُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطُولِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ "

كان في ذهن الرسول أن يكتب للمؤمنين عن أهمية " حفظ وحدانية الروح برباط السلام " لذا نراه هنا يمهّد لذلك بالحث على السلوك بالتواضع والوداعة... الخ

" بِكُلِّ تَوَاضُعٍ " أي التواضع في كل ناحية من نواحي الحياة. هذا ويجب أن نسهر على حالة قلوبنا التي كثيراً ما تخذعنا فنحرص على ألا يكون لنا مظهر التواضع الظاهري، بل بالحري التواضع القلبي. أن سيد المعلمين يدعوننا أن نتعلم منه لأنه " متواضع القلب "

على أن هناك فرقا كبيرا بين تواضع الرب وبين تواضعنا نحن. فهو، له المجد، المعادل لله ابيه " أنا والاب واحد " ولكنه أخلى نفسه... وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، فهو العظيم الذي لا حد لعظمته ولجلاله ولكنه تنازل حتى وصل إلى أرضنا المملوطة بالخطية لا بل قد نزل إلى أقسام الأرض السفلى. أما تواضعنا نحن فليس كذلك، فإن معناه أن نعرف حقيقة ذاتنا – أن نعرف أننا تراب ورماد. وادراكنا لهذه الحقيقة يصوننا من الكبرياء والانتفاخ. ليحفظنا الرب في حالة الاتضاع الصحيح لأن " الله يقاوم المستكبرين أما المتواضعون فيعطيههم نعمة "

لقد افاض الرسول في شرح وأيضاً سمومقامنا وكيف أن الله الغنى في الرحمة والمحبة والنعمة قد "أجلسنا معا في السماويات في المسيح يسوع" ولكنه (أي الرسول) يحثنا على السلوك "بِكُلِّ تَوَاضُعٍ" فلا ننتفخ ونتعظم بسبب سمومقامنا بل بالحري نظهر جمال هذا المقام بسلوكنا بالتواضع. هذه هي الخطوة الأولى في سبيل الوحدة.

* * * * *

١١٨

"ووداعة" حقاً ما أجمل هذه الصفة! وما أجمل أن نتحلى بها! انها صفة من صفات المسيح الجميلة التي يشير اليها الرسول بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (ص ١٠ : ١) "أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ بَوَدَاعَةِ الْمَسِيحِ وَحِلْمِهِ" والرب نفسه يدعونا قائلاً "تَعَالَوْا إِلَيَّ... وَتَعَلَّمُوا مِنِّي لِأَنِّي وَدِيعٌ وَتَوَاضَعُ الْقَلْبِ فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ" (مت ١١ : ٢٨ و ٢٩).

الوداعة هي أن نقابل الإساءة بكل هدوء كما كان سيدنا هنا على الأرض "الذي إذ شتم لم يشتم عوضاً" فيجب أن نتمثل به في وداعته وفي كل صفاته "مَنْ قَالَ إِنَّهُ ثَابِتٌ فِيهِ، يَنْبَغِي أَنَّهُ كَمَا سَلَكَ ذَاكَ (أي المسيح) هَكَذَا يَسْلُكُ" (١ يوح ٢ : ٦) هذه خطوة أخرى في سبيل الوحدة.

* * * * *

"وَبَطُولِ أَنَاةٍ" يتكرر هذا الحث في بعض رسائل الرسول بولس الأخرى، وطول الاناة معناه أن لا نكون سريعى الغضب والتهيج عندما يعتدى علينا أو يساء اليينا، ولا سيما إذا كانت الإساءة اليينا افتراء ولا نصيب لها من الصحة.

ما أجمل هذه السجية "طُولِ الْأَنَاةِ" فإنها تكسب النفس سلاماً وهناءً. ليتنا نصلى بلجاجة حتى يعطينا الرب سعة صدر ورحبة قلب كما أعطى سليمان قديماً (١ مل ٤ : ٢٩). هذه أيضاً خطوة أخرى مباركة في سبيل الوحدة.

* * * * *

"مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْمَحَبَّةِ" تجيء هذه العبارة مرة أخرى في (كو ٣ : ١٣) وهذا الحث يتضمن في معناه أن كلا منا معرض للخطأ في حق أخيه، ولكن متى توفرت المحبة في قلوبنا فاننا نستطيع بنعمة الله أن نحتمل أخطاء الآخرين اليينا كما

أننا نريد أنهم يحتملون أخطاءنا في المحبة.

صحيح أنه من واجبنا أن نكون ساهرين فلا نخطيء إلبغيرنا، ولكن بما أننا نحن أنفسنا معرضون للخطأ في حق أخوتنا لذا يجب علينا أن نحتمل أخطاءهم اليينا والرسول بطرس يحرض المؤمنين على التعقل والصحو للصلوات، وهذا تحريض له أهميته ومع ذلك فانه يقول " وَلَكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ لِتَكُنْ مَحَبَّتُكُمْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ شَدِيدَةً، لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ تَسْتُرُ كَثْرَةَ مِنَ الْخَطَايَا " (١بطء : ٧و٨). أن كل هذه التحريضات التي يقدمها لنا الروح القدس هي التي تساعدنا على حفظ وحدانية الروح برباط السلام.

* * * * *

(٣) " مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرَبَاطِ السَّلَامِ "

لعله يكون واضحا وجلليا لدى القارئ العزيز أن الرسول لا يطلب منا هنا أن نحفظ وحدانية " الجسد " ، لأن هذا ليس من اختصاص البشر بل هو عمل " إلهي " قد قام الله به بواسطة الروح القدس الذي حضر من السماء في يوم الخمسين ليضم إلى الكنيسة كل الذين يؤمنون إيمانا قلبيا صحيحا بالرب يسوع المسيح جاعلا منهم جسدا واحدا للمسيح " لِأَنَّا جَمِيعًا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضًا اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ " (١كو١٢ : ١٣) فانه بالرغم من الانقسامات العديدة التي حدثت، مع الاسف الشديد، في المسيحية فإن جميع المسيحيين الحقيقيين في كل الطوائف والجماعات المسيحية في كل العالم هم جسد المسيح الواحد. أما ما يحثنا الرسول عليه هنا فهو الاجتهاد في حفظ " وحدانية الروح " – أعنى بذل كل الجهد في حفظ هذه الوحدانية – أي أن أعتبر أن كل مسيحي حقيقي في أية جماعة من الجماعات المسيحية هو أخى وأنه عضومثلى في جسد المسيح وأن من واجبى أن أحبه وأتعامل معه على هذا الأساس.

ثم لنلاحظ أيضاً أن الرسول لا يطلب منا أن نجتهد في بناء أو تكوين هذه الوحدة بل في حفظها، لأن الروح القدس قد كون فعلا هذه الوحدانية، و واجبنا هو أن نجتهد في حفظها وذلك بواسطة اظهار المحبة القلبية – المحبة التي بلا رياء لجميع المؤمنين الحقيقيين بدون استثناء أو بالحري في اظهار جمال وبهاء هذه الوحدانية في تعاملنا مع كل أولاد الله.

* * * * *

" بِرَبَاطِ السَّلَامِ " ليس المقصود بالسلام هنا سلام الله لنفوسنا – السلام الذي يحفظ قلوبنا وافكارنا في المسيح يسوع، بل السلام الذي يربط قلوبنا بكل أولاد الله الأعزاء. قد يكون عند البعض من هؤلاء المؤمنين عدم إدراك كامل لكل الحقائق الإلهية، ونفعل حسنا إذا كنا بكل تواضع و وداعة نساعدهم في فهم وإدراك المبادئ الإلهية الصحيحة ولكن الشيء الأهم الذي ينبز عليه الرسول هنا هو الاجتهاد في حفظ وحدانية الروح برباط السلام.

على أنه، من الناحية الأخرى، يجب مراعاة هذه الحقيقة الهامة وهي أن حفظ وحدانية الروح برباط السلام ليس معناه قبول أي إنسان في الشركة مع جماعة المؤمنين كيفما كانت عيشته العملية أو مبادئه التعليمية، انه من الخطورة بمكان أن نفعل ذلك بدافع المحبة أو لحفظ وحدانية الروح برباط السلام، فإن المحبة لا تكون محبة مسيحية صادقة إذا أظهرت على حساب حق الله والمسيح. هل من الإخلاص للرب يسوع والمحبة له ولحقه الثمين أن نسمح لإنسان غير سالك بالأمانة وفي القداسة العملية بالوجود في شركة مع المؤمنين؟ أو أن نسمح بذلك لشخص يقول أنه مسيحي حقيقي ولكنه ملوث بتعاليم فاسدة تهين مجد المسيح ربنا وسيدنا؟

أيا قديسي الله. لنصح ولنتنبه جيدا إلى أننا نعيش في الأيام الأخيرة – أيام لارتداد التي فيها " سر الإثم " يعمل بقوة استعدادا للارتداد الكامل وقبول " الأثيم – ضد المسيح " أن المبادئ العصرية التي تنكر وحى الكتب المقدسة كلها أو بعض أجزاء منها، أو التي تنكر لاهوت ربنا يسوع المسيح، أولاً تؤمن بأن موته فوق الصليب كان موتاً كفارياً، أو غير ذلك من المبادئ الكفرية – هذه كلها قد تغلغلت في وسط المسيحية الاسمية، فجدير بكل محبي المسيح أن يتجنبوا أمثال هؤلاء العصريين الذين يدعون أنهم مسيحيون. أن يوحنا رسول المحبة يحذرنا من قبول أمثال هؤلاء المضلين ومن التعامل معهم بأية صورة من الصور " كُلُّ مَنْ تَعَدَّى وَلَمْ يَثْبُتْ فِي تَعْلِيمِ الْمَسِيحِ فَلَيْسَ لَهُ اللَّهُ. وَمَنْ يَثْبُتْ فِي تَعْلِيمِ الْمَسِيحِ فَهَذَا لَهُ الْآبَ وَالْابْنُ جَمِيعاً. أَنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِيكُمْ وَلَا يَجِيءُ بِهَذَا التَّعْلِيمِ، فَلَا تَقْبَلُوهُ فِي الْبَيْتِ، وَلَا تَقُولُوا لَهُ سَلَامٌ. لِأَنَّ مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ يَشْتَرِكُ فِي أَعْمَالِهِ الشَّرِّيرَةِ " (١يو ١-١١).

إن الرب يسوع المسيح قد بنى كنيسته على الاعتراف الصحيح الذي أعلنه الاب لبطرس فقال " أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ " (مت ١٦ : ١٦ و ١٧) فمن لا يعترف بأن الرب يسوع المسيح هو ابن الله الحي ولا يؤمن به وبقيمة عمله الفداي فهو ليس من كنيسة المسيح أي ليس مسيحياً بالحق حتى ولو كان عموداً أو معلماً في أكبر أو أعظم الطوائف المسيحية، فلا يليق أبداً أن تكون لمجبي الرب يسوع – أفراداً أو جماعات أية شركة، من أي نوع كان مع أمثال هؤلاء، بينما يجب علينا في الوقت نفسه أن نحفظ وحدانية الروح مع جميع الذين يحبون ربنا يسوع المسيح في عدم فساد – أن نحبههم بالحق وأن نقبلهم في المحبة. ليعطنا الرب أن نحفظ بنعمته من الرخاوة والتساهل مع الشر فلا تكون لنا شركة مع من يسيئون إلى اسم ربنا المبارك سواء في سلوكهم العملي أو بمبادئهم العصرية الآثمة. وليعطنا من الناحية الأخرى أن نحفظ أيضاً من الروح الضيقة – الروح الطائفية، فنحب جميع أولاد الله حتى القاصرين منهم في إدراك كل امتيازاتهم التي صارت لهم في المسيح يسوع " وَمَنْ هُوَ ضَعِيفٌ فِي الْإِيمَانِ فَاقْبَلُوهُ... فَيَجِبُ عَلَيْنَا نَحْنُ الْأَقْوِيَاءُ أَنْ نَحْتَمِلَ أَوْعَافَ الضُّعَفَاءِ وَلَا نُرْضِيَ أَنْفُسَنَا. فَلْيُرْضَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا قَرِيبَهُ لِلْخَيْرِ لِأَجْلِ

الْبُنْيَان....لِذَلِكَ اقْبَلُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً قَبِلَنَا لِمَجْدِ اللَّهِ " (رو ١٤ : ١ ، ١٥ : ٧-١).

* * * * *

(٤) " جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضاً فِي رَجَاءٍ دَعَوْتِكُمْ الْوَاحِدِ "

يرسم الرسول أماننا في هذا العدد وفي العددين التاليين له (٤-٦) سبع صفات للوحدة، ففي هذا العدد (الرابع) ثلاث صفات تعتبر بمثابة الجزء الأول من هذه الوحدة، وفي العدد الخامس الجزء الثاني المكون أيضاً من ثلاث صفات أخرى لهذه الوحدة وفي العدد السادس الجزء الثالث، المكون من الصفة السابعة.

* * * * *

" جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضاً فِي رَجَاءٍ دَعَوْتِكُمْ الْوَاحِدِ " هذه هي الدائرة الأولى والتي لا يمكن أن يدخل فيها إلا كل مؤمن حقيقي - كل من ولد ثانية وختم بروح الموعد القدوس.

والمقصود بالجسد الواحد جميع الذين اغتسلوا بدم المسيح الكريم وصاروا خاصته واتحدوا به كأعضاء في جسده " فَإِنَّهُ كَمَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ لَنَا أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ لَيْسَ جَمِيعُ الْأَعْضَاءِ لَهَا عَمَلٌ وَاحِدٌ هَكَذَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ : جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ وَأَعْضَاءٌ بَعْضٌ لِبَعْضٍ كُلُّ وَاحِدٍ لِلْآخَرِ " (رو ١٢ : ٥٤).

" وَرُوحٌ وَاحِدٌ " أي الروح القدس الذي به اعتمدنا فصرنا أعضاء في جسد المسيح " لَأَنَّنَا جَمِيعُنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ يَهُوداً كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ عبيداً أَمْ أَحْرَاراً. وَجَمِيعُنَا سَقِينَا رُوحاً وَاحِداً " (١ كو ١٢ : ١٣).

" كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضاً فِي رَجَاءٍ دَعَوْتِكُمْ الْوَاحِدِ " فإن كل المؤمنين الحقيقيين لهم هذا الرجاء الواحد - رجاء مجيء ربنا يسوع المسيح حيث نكون مثله لأننا سنراه كما هو . لقد اشار الرسول في الاصحاح الأول من هذه الرسالة (١٨ع) إلى رجاء دعوتنا هذه بالقول " رجاء دعوته " أي أن الله هو الداعي، كما انه " رجاء دعوتنا " لأننا نحن الذين دعينا.

* * * * *

(٥) " رَبُّ وَاحِدٌ، إِيْمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ "

يتضمن هذا العدد الجزء الثاني أو الدائرة الثانية لهذه الوحدة. وهي دائرة أو سع نوعاً من الدائرة الأولى. فهي لا تتضمن بالضرورة كل المؤمنين الحقيقيين فقط، ولكنها قد تتضمن أيضاً المعترفين بإيمانهم بالمسيح دون أن يكونوا متجددين حقيقة أو مولودين ولادة ثانية.

" رَبُّ وَاحِدٌ " أي الرب يسوع المسيح ابن الله الازلي الوحيد، والمؤمن الحقيقي يجد شعباً لنفسه إذ يعترف به رباً وسيداً ويسلك في الطاعة القلبية له ولإرادته الصالحة، انه، تبارك اسمه، هو مخلصنا ولكن أكثر من ذلك هو ربنا وسيدنا، وإدراكنا لربوبيته وسيادته علينا وعلى جميع خاصته هو من أقوى العوامل على حفظ وحدانية الروح برباط السلام. غير أن الإقرار به رباً قد يشمل أيضاً المعترفين به دون أن يكونوا مولودين الولادة الثانية، وقد أشار الرب إلى ذلك في قوله " أَلَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي : يَا رَبُّ يَا رَبُّ يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ : يَا رَبُّ يَا رَبُّ أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصْرَحُ لَهُمْ : إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الْإِثْمِ! " (مت ٧ : ٢١-٢٣). أن اليوم سيبين حقيقة كل المعترفين بربوبية المسيح. حقاً ما أخطر هذا وما أروعاً بالنسبة لكل معترف بالمسيح ولكنه ليس مسيحياً بالحق!

وسيجيء الوقت الذي فيه يعترف كل لسان أن يسوع هو رب لمجد الله الاب.

* * * * *

" إِيْمَانٌ وَاحِدٌ " إن الوسيلة الوحيدة لدخول الإنسان في دائرة النعمة والحياة الأبدية هي الإيمان القلبي بالرب يسوع المسيح. لقد كنا أمواتاً روحياً ولكننا إذ آمنا بالرب يسوع انتقلنا من الموت إلى الحياة – أي نلنا حياة أبدية، غير أن القول " إيمان واحد " إنما يشير إلى الإيمان المسيحي العام أو المشترك أعني إقرار جميع المعترفين بالمسيح بالإيمان به، وذلك للتمييز بينه وبين الإيمان اليهودي وإيمان الأمم الوثنيين.

* * * * *

" مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ " لا جدال في أنه ليس المقصود بالمعمودية هنا المعمودية الروح القدس فإن هذه أشير إليها في العدد السابق بقوله " روح واحد " أي الروح القدس، ولكن المقصود بالمعمودية هنا هو المعمودية بالماء باسم الابن والابن والروح القدس، وتسمى بالمعمودية هنا هو المعمودية بالماء باسم الابن والابن والروح القدس، وتسمى بالمعمودية المسيحية أو باسم الرب يسوع تمييزاً لها عن معمودية يوحنا المعمدان وعن المعموديات (الغسلات) اليهودية (قارن أع ٢ : ٣٨، ١٠ : ٤٨ مع مت ٣ : ٦ وعب ٦ : ٢).

على أن المقصود بالمعمودية لا إزالة وسخ الجسد بل "سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح" (١بط ٣ : ٢١) وفي (أع ٨ : ١٣) نقرأ أن فيلبس قد عمد سيمون الساحر عندما اعترف بإيمانه بالمسيح ولكن تبين على الفور أنه لم يكن مسيحياً بالمرّة، ولذلك فإن فيلبس لما قال له الخصى الحبشى بعد ذلك "هو ذا ماء. ماذا يمتنع أن أعتمد؟" فقال فيلبس : «إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ يَجُوزُ " (أع ٨ : ٣٦ و ٣٧).

* * * * *

(٦) "إِلَهٌ وَابٍ وَاحِدٌ لِلْكَلِّ، الَّذِي عَلَى الْكَلِّ وَبِالْكَلِّ وَفِي كُلِّكُمْ"

هذه هي الدائرة الثالثة في هذه الوحدة وهي دائرة أو سع كثيراً من سابقتها، فانه وإن كان من امتياز المؤمنين الحقيقيين أن يعرفوا الله كآله والاب الواحد لهم وأن يجدوا سلامهم وشبع قلوبهم في هذه المعرفة، إلا أننا من الناحية الأخرى نرى الله هنا كصاحب السيادة والسلطان على كل البشر لأنهم خليقته. انه في الواقع إله الجميع "الرَّبُّ إِلَهُ أَرْوَاحِ جَمِيعِ الْبَشَرِ" (عدد ٢٧ : ١٦) فهو إله الذين يعرفونه ويؤمنون به وإله الذين لا يعرفونه بل يعبدون الإلهة والأوثان العديدة "نَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ وَثَنٌ فِي الْعَالَمِ وَأَنْ لَيْسَ إِلَهُ آخَرُ إِلَّا وَاحِدًا. لِأَنَّهُ وَإِنْ وُجِدَ مَا يُسَمَّى إِلَهًا. لَكِنْ لَنَا إِلَهُ وَاحِدٌ : الْاب الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبُّ وَاحِدٌ : يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ" (١كو ٨ : ٤-٦).

إننا نؤمن "بإله واحد" وليس بآلهة عديدة كالأمم الوثنيين، كما نؤمن "باب واحد للكل" هذه الحقيقة لم يدركها اليد في عهد الناموس فأنهم كانوا يظنون أن الله لهم وحدهم دون بقية البشر كما أنهم لم يعرفوه كآلآب بالكيفية المباركة التي يعرفه به مسيحيو العهد الجديد "إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَيُّنِ الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ : «يَا آبا الْآبِ! أَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لَأَرْوَاحِنَا أَنَّنا أَوْلَادُ اللَّهِ" (رو ٨ : ١٥ و ١٦).

ان الله والاب الواحد هو "للـكـل" فانه يعتنى بالكل أعنى بجميع خلائقه حتى ولو كانوا ينكرونه "فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسُهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى الْأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ" (مت ٥ : ٤٥) وهو الذي "يُعْطِي الْجَمِيعَ حَيَاةً وَنَفْسًا وَكُلَّ شَيْءٍ... لِأَنَّنَا أَيْضًا ذُرِّيَّتُهُ" (١) " (١٧ع ١ : ٢٤-٢٨).

وكما أنه للكل فانه أيضاً "على الكل" أي صاحب السلطان والسيادة على كل خليقته.

(١) ليس المقصود بالقول "اننا أيضاً ذريته" ان جميع البشر هم أولاد الله المولودون منه ولادة جديدة بل باعتبار انهم خليقته وصنعة يديه الذين يعتنى ويهتم بهم.

" وَفِي كُلِّكُمْ " هذا هو امتياز المؤمنين الحقيقيين، فانه وان كان الله هو الإله والاب الواحد للكل وعلى الكل، الا انه في كل المؤمنين أولاده، إذ لا يقول الرسول هنا " في الكل " بل في كلكم " وفي هذا نرى التمييز الواضح والفرق الكبير بين معاملة الله للعالم بجملته وبين معاملته لأولاده المولودين منه " الولادة الثانية " " فِي كُلِّكُمْ " فهو ليس معنا فقط بل هو أيضاً فينا. ما أُمجد هذا!

* * * * *

بتأملنا في هذه الوحدة السباعية نرى الله المثلث الأقانيم عاملاً لأجلنا وفينا لحفظ وحدانية الروح برباط السلام، ففي (٤ع) الروح القدس " رُوحٌ وَاحِدٌ " وفي (٥ع) الرب يسوع " رَبُّ وَاحِدٌ " وفي (٦ع) الله الاب " اب وَاحِدٌ " لاسمه المعبود كل المجد والاكرام.

* * * * *

(٧) " وَلَكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أُعْطِيَتْ النِّعْمَةُ حَسَبَ قِيَاسِ هِبَةِ الْمَسِيحِ "

يوجه الروح القدس التفاتنا في هذا العدد وفي الأعداد التالية له (٧-١٣) إلى موضوع المواهب الروحية التي أعطاها المسيح الممجد والمرتفع إلى السماء لكنيستته لبنانياتها ونموها، غير أن هذا الموضوع يجيء بعد الكلام بالتفصيل عن أهمية حفظ وحدانية الروح برباط السلام، إذ ما قيمة ممارسة المواهب مع ما لها من أهمية عظمى إذا لم يراع حفظ الوحدة برباط السلام؟ ما قيمة الخدمة مهما كانت سامية إذا لم تتوفر المحبة بين أعضاء الجسد الواحد؟ (اقرأ ١كو ١٣).

والرسول هنا يتكلم أولاً عن المواهب المعطاة لكل واحد من المؤمنين " لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا " بينما توجد في الوقت نفسه مواهب خاصة سيجيء الكلام عنها في الأعداد التالية. أن كل عضوفي أجسادنا الطبيعية له عمله - الأعضاء الداخلية الغير المنظورة والأعضاء الخارجية المنظورة - كل منها له عمله ووظيفته التي يقوم بها لفائدة بقية أعضاء الجسد، كذلك كل عضوفي جسد المسيح له عمله أي موهبته التي يجب أن يخدم بها بقية الأعضاء " فَإِنَّهُ كَمَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ لَنَا أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ لَيْسَ جَمِيعُ الْأَعْضَاءِ لَهَا عَمَلٌ وَاحِدٌ هَكَذَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ : جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ وَأَعْضَاءٌ بَعْضًا لِبَعْضٍ كُلُّ وَاحِدٍ لِلْآخَرِ. وَلَكِنْ لَنَا مَوَاهِبٌ مُخْتَلِفَةٌ بِحَسَبِ النِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَنَا " (رو ١٢ : ٤-٦).

وهذه المواهب كلها من مجرد النعمة " لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أُعْطِيَتْ النِّعْمَةُ (أو نعمة) حَسَبَ قِيَاسِ هِبَةِ الْمَسِيحِ " فالمسيح الرأس قد أعطى بحسب نعمته ومسرته الصالحة لكل واحد من

أعضاء جسده عملاً أو هبة. وقوله " حَسَبَ قِيَاسِ هِبَةِ الْمَسِيحِ " معناه أن الرب يسوع قد أعطى لكل واحد من المؤمنين موهبته بحسب القياس أو القدر الذي أراده له " وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ وَضَعَ اللَّهُ الْأَعْضَاءَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي الْجَسَدِ كَمَا أَرَادَ " (١ كو ١٢ : ١٨).

إن المسيح الرأس هو مصدر كل المواهب التي أغدقها على كنيسته، وجدير بالملاحظة أن الوحي في هذه الرسالة يتحدث عن الرب يسوع الذي صعد إلى العلاء كمصدر للمواهب بينما في رسالة كورنثوس الأولى لا يشير إلى الرب يسوع كمانح المواهب الروحية بالقدر الذي يشير به الروح القدس كالمعطي لتلك المواهب (١ كو ١٢ : ٧-١٢)، ذلك لأن الكنيسة منظور إليها في رسالة كورنثوس باعتبار أنها لازالت في هذا العالم وبما أن الروح القدس الاقنوم الإلهي قد حضر إلى العالم ولا يزال موجوداً فيه لذا يشار إليه كالمعطي للمواهب الروحية، بينما في رسالة أفسس ترى الكنيسة أنها أجلسست في السماويات لذا يشار إلى المسيح الممجد والجالس الآن في السماويات كالمناح لهذه المواهب الروحية.

* * * * *

(٨) " لِذَلِكَ يَقُولُ : « اذ صَعِدَ إِلَى الْعَلَاءِ سَبَى سَبْيًا وَأَعْطَى النَّاسَ عَطَايَا » "

اقتبس الرسول بولس هذه الكلمات من مزمور ٦٨ : ١٨ حيث يقول " صَعِدْتَ إِلَى الْعَلَاءِ. سَبَيْتَ سَبْيًا. قَبِلْتَ عَطَايَا بَيْنَ النَّاسِ ^(١) " وأيضاً المتمردين للسكن أيها الرب الإله " ويبدو أن داود قصد في كتابة هذا المزمور الإشارة إلى حادثة تاريخية في أيام ملكه على إسرائيل، أعنى إلى إحدى انتصاراته على أعدائه واقتياد جزء منهم إلى السبي، كما يبدو أيضاً أنه عند انتصار الملك داود على أولئك الأعداء وزعت " عطايا " سواء من الملك إلى رعيته وهو الأرجح، أو من الرعية إلى الملك اعترافاً بفضل انتصاره، انما الذي يهمنا نحن أن نراعيه هو أن الرسول بولس رأي في كلمات داود هذه ربنا يسوع كمن ترمز إليه هذه الأقوال – رأي في نصرته ملك العهد القديم (داود) صورة لنصرة ربنا المبارك على الموت وعلى من له سلطان الموت أي إبليس (عب ٢ : ١٤) وانه من وقت رجوعه المظفر إلى بيت أبيه لا يزال يوزع عطايا وهبات على رعيته. أن هذا ما أدركه أيضاً الرسول بطرس عندما قال في يوم الخمسين عن الرب يسوع " وَإِذْ ارْتَفَعَ بِيَمِينِ اللَّهِ وَأَخَذَ مَوْعِدَ الرُّوحِ الْقُدُسِ مِنَ الْآبِ سَكَبَ هَذَا الَّذِي أَنْتُمْ الْآنَ تُبْصِرُونَهُ وَتَسْمَعُونَهُ " (اع ٢ : ٣٣) فقد كان حضور الروح القدس هو العطية الأولى التي وهبها الرب لكنيسته بعد ارتفاعه إلى السماء.

(١) " أو قبلت عطايا لأجل الناس وأيضاً للمتمردين "

Thou hast received gifts for men : yea, for the rebellious also.

(١٠ و ٩) " وَأَمَّا أَنَّهُ صَعِدَ، فَمَا هُوَ إِلَّا إِنَّهُ نَزَلَ أَيْضاً أَوَّلًا إِلَى أَقْسَامِ الْأَرْضِ السُّفْلَى. الَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضاً فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلَأَ الْكُلَّ "

الانتصارات التي أعطاها الرب لداود ولغيره من ابطال العهد القديم كانت انتصارات عظيمة وعجيبة حقاً، ولكن أعظم وأعجب وأشرف نصره هي نصرته المسيح له المجد، فانه بعد أن انتصر على الخطية وغلب الموت وهزم الشيطان قام بمجد إلهي وصعد إلى السماء بجلال فائق ومن هناك وزع الغنائم والبركات على أولئك الذين كانوا أسرى مسبيين في قبضة العدو ، فهو (أي المسيح) الأقوى الذي غلب القوى وخلص الأسرى إذ حطم الأغلال والقيود التي كبلهم بها ذلك العدو . مبارك وممجّد اسم ربنا المعبود إلى الأبد.

تأمل في هذا! أن الذي صعد فوق جميع السموات هو الذي نزل أولاً إلى أقسام الأرض السفلى، فإذا ما تأملت في اتضاعه فانك لن تصل إلى أعمال تنازله أن ذاك المعادل لله أدخل نفسه أخذا صورة عبد (صا) را في شبه الناس. وإذا وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لقد مات رئيس الحياة موت العار والهوان والازدراء. لقد حمل دينونتنا – حمل خطايانا في جسده على الخشبة. نعم انه نزل إلى أقسام الأرض السفلى – أي أنه دفن في القبر وهناك دفنت خطايانا إلى الأبد. يا له من تنازل!

كما أنك إذا رفعت بصرك إلى السماء فانك لن تصل إلى ادراك سمو الرفة التي رفعه الله اليها – الرفة التي وصل اليها المسيح كإنسان، فانه هو الإنسان الوحيد المقام من الأموات والمجد والمرتفع إلى السماء بل فوق جميع السموات " لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم " واني إذ أراه بالإيمان هناك اتيقن بأنني صرت مقبولا فيه أمام الله بل مقبولا كقبوله هو أمام ابيه. لقد صعد فوق جميع السموات " لِكَيْ يَمْلَأَ الْكُلَّ " وهل هناك ملء أعظم من صيرورتنا مقبولين فيه قبولا كاملا وابديا؟ وأن الله يرانا فيه "قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة" ؟ نعم هل هناك ملء أكثر من أن الله يحبنا الآن كمحبته لابنه الحبيب (يو ١٧ : ٢٣)؟ لقد أسلم الرب يسوع لأجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا، ووجوده هناك فوق جميع السموات هو أعظم برهان على تبريرنا وقبولنا أمام الله. هل أدركنا هذه الحقيقة المباركة أن الذي صعد فوق جميع السموات هو إنسان مثلنا تماماً بلا خطية؟ وأنه ممجد على عرش الله، وأنه بالرغم من وجوده في السماء فإنه كإنسان يرثي لنا في آلامنا وتجاربنا وأحزاننا؟ " فَاذْ لَنَا رَئِيسَ كَهَنَةٍ عَظِيمٍ قَدْ اجْتَارَ السَّمَاوَاتِ، يَسُوعُ ابْنُ اللَّهِ، فَلْنَتَمَسَّكَ بِالْإِقْرَارِ. لِأَنَّ لَنَا رَئِيسَ كَهَنَةٍ غَيْرَ قَادِرٍ أَنْ يَرِثِيَ لِمُضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بَلَا خَطِيئَةٍ. فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ " (عب ٤ : ١٤-١٦) نعم لنأت إليه في كل ظروف الحياة ولنخبره بكل شيء فإن قلبه الرقيق مملوء بالحنان والعطف علينا ويده ممدودة بالعون في حينه.

* * * * *

(١١) " وَهُوَ أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلًا، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضَ رُعَاةَ وَمُعَلِّمِينَ "

المسيح له المجد هو الرأس الممجد والمرتفع إلى السماء، وهو وحده صاحب السلطان في أن يعطي هذه المواهب المتنوعة لمن يشاء.

إن الموهبتين الأولى والثانية " الرسل والأنبياء " هما الموهبتان الأساسيتان أو بالحري الموهبتان اللتان استخدمهما الرب لتأسيس الكنيسة. ومن الخطأ البين أن يظن أحد بأنه يوجد رسل في الكنيسة الآن بخلاف الرسل الذين أقامهم الرب في البداية أو يوجد خلفاء للرسل باقون للآن ولهم سلطان الرسل أنفسهم.

لقد أختار الرب يسوع في أيام جسده على الأرض اثني عشر تلميذا الذين سماهم رسلا (لو ٦ : ١٣) ولكن خدمتهم وقتئذ لم تكن لتأسيس الكنيسة بل كانت قاصرة على خراف بيت إسرائيل الضالة (مت ١٠ : ٦٥) أما بعد أن أكمل الرب عمل بالفداء وقام من بين الأموات بمجد الاب فقد أعطى هؤلاء الرسل أنفسهم خدمة جديدة - أعطاهم هذه الموهبة الفريدة أي أن " يَكُونُوا رُسُلًا " للكراسة بالإنجيل للخليفة كلها. على أن رساليتهم الجديدة كانت متوقفة على صعود الرب إلى السماء وارسال الروح القدس ليحل عليهم ويزودهم بالقوة في إتمام خدمتهم الجديدة هذه، وهي خدمة تأسيسية " مَبْنِيَّيْنَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوِّغُ الْمَسِيحُ نَفْسَهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ " (١ كو ٢ : ٢٠)

* * * * *

" وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ " أقام الله في البداية أشخاصا لم يكونوا رسلا ولكنهم كانوا أو اني للوحى مثل مرقس ولوقا وغيرهما، هؤلاء كانوا أنبياء. وليس ذلك فقط بل كان هناك أنبياء آخرون ولكنهم لم يكونوا أو اني للوحى نظير أغابوس (أع ٢١ : ١٠ و ١١) وغيره. ذلك لأن أسفار الوحى لم تكن كلها قد كتبت وقت تأسيس الكنيسة لذا أقام الله الأنبياء الذين كان يعطيهم إعلانات أي نبوات شفوية ينطقون بها عند الحاجة لمعرفة فكر الله في أي أمر من الأمور. هذا هو المقصود بقوله للمؤمنين في كورنثوس بأنه إذا كان أحد المؤمنين يتكلم في الاجتماع لبنيان المؤمنين اخوته وحدث أن " أُعْلِنَ لِأَخَرٍ جَالِسٍ فَلْيَسْكُتِ الْأَوَّلُ " (١ كو ١٤ : ٣٠) ذلك لأن الإعلان هنا هو عبارة عن وحى شفوي لإرشاد الكنيسة في أي أمر من الأمور أو مبدأ من المبادئ الإلهية. أما وقد كملت أسفار الوحى (التي تبدأ بسفر التكوين وتنتهي بسفر الرؤيا) فلم تعد هناك حاجة إلى إعلانات جديدة، وإن كل ادعاء بوجود ما يسمى إعلانات في الوقت الحاضر لهو انكار لكمال الوحى الإلهي الذي فيه كل الكفاية

لإرشاد المؤمنين أفرادا وجماعات في كل شيء، كما أن هذا الادعاء يعطى الشيطان الكذاب وابو الكذاب فرصة لخداع النفوس وتضليلها.

مما لا ريب فيه أن الله أقام من حين إلى آخر رجالا موهوبين كان لهم في خدمتهم ما يشبه إلى حد ما خدمة الأنبياء إذ استخدمهم في إظهار بعض الحقائق الإلهية المعلنة في كلمة الله والتي أخفاها العدو عن الناس ربما لأجيال عديدة. مثال ذلك، الحق البسيط الخاص بالتبرير بالإيمان بدون أعمال. هذا الحق قد طمس العدو عيون المسيحيين عن إدراكه أجيالا طوالا إلى أن أقام الله لوثر الذي استخدمه في إنارة الملايين من الناس في إدراك هذا الحق الإلهي الثمين أن " البار بالإيمان يحيا " كذلك الحق المبارك الخاص بمجىء الرب الثاني كرجاء الكنيسة، هذا الحق الذي غاب واختفى من أمام الكنيسة أجيالا عديدة، ولكن الله أقام من وقت ليس ببعيد رجالا موهوبين لم يكونوا أنبياء بالمعنى المقصود في هذا العدد ولكن كان لهم في خدمتهم ما يشبه خدمة الانبياء إذ استخدمهم الرب في إحياء هذا الحق الثمين فأشرق نوره البهيج على الكثيرين من أولاد الله فملأ قلوبهم بفرح مجيد، كما أنه قادهم إلى الانفصال العملي عن كل ما ليس من الله. وأين تجد في كتابات المفسرين في عصور المسيحية الوسطى المظلمة الحق الخاص بدعوة الكنيسة وصيرورتها جسد المسيح ومقامها السماوي؟ وأين تجد شرحا مفصلا وكاملا لرجاء الكنيسة – أعنى مجىء الرب لاختطاف المؤمنين ليكونوا معه ويشاركوه في مجده؟ هذه وحقائق أخرى غيرها غابت وأصبحت مجهولة حتى من المؤمنين الحقيقيين أجيالا عديدة إلى أن أقام الرب رجالا مكرسين استخدمهم في شرح وتوضيح هذه الحقائق الثمينة.

على أن هناك نوعا آخر من الانبياء بخلاف الانبياء الذين استخدمهم الرب هم والرسل في تأسيس الكنيسة. هذا النوع الآخر من الأنبياء هم الذين يكلمون جماعة المؤمنين " بُنِّيَّانٍ وَوَعظٌ وَتَسْلِيَةٌ " (١ كور ١٤ : ٣) هؤلاء موجودون في الكنيسة في كل مدة وجودها على الأرض وإلى أن يأتي الرب.

" وَالْبَعْضُ مُبَشِّرِينَ " ما اسمى هذه العطية! فإن خدمة المبشر المجيدة هي أن يحمل أخبار النعمة الغنية المفرحة إلى عالم ائيم وهالك، فخدمته ليست دائرتها الكنيسة حيث الخدمة فيها للراعى والمعلم، ولكن دائرتها " العالم أجمع " ، ومع ذلك فإن خدمة المبشر هي أعظم بركة للكنيسة فانه يأتي بالنفوس البعيدة ويقودها إلى

المسيح وبالتالي إلى جماعة المؤمنين. ومما هو جدير بالملاحظة أن الكنيسة التي لا تعتم بالكراسة بالإنجيل هي كنيسة ضعيفة ومنحطة روحيا ولا يمكن أن تنمو أو يتزايد عدد تلاميذ الرب فيها، أو كما قال أحدهم " ان الكنيسة المحلية التي تتوقف عن خدمة البشارة تعد كفنها بيدها " وهذا ما آلت اليها فعلا بعض الاجتماعات المحلية.

ثم أن هذه الموهبة ليست قاصرة على طائفة معينة من المؤمنين ولكن الرب الذي صعد إلى السماء يعطى البعض من المؤمنين بين كل الجماعات المسيحية أن يكونوا " مُبَشِّرِينَ "

يظن بعض المسيحيين أن خدمة المبشر هي أقل أهمية أو أدنى مرتبة من خدمة الراعى أو المعلم ولكن هذا الظن لا أساس له من الصحة، فقد كان الرسول بولس مبشرا وكذا تيموثاوس وفوق الكل الرب يسوع الذي كان يذهب إلى القرى والمدن كارزا ومبشرا بملكوت الله.

ان المبشر هو شخص قد ملأ الرب قلبه بالمحبة للنفوس البعيدة وألهب عواطفه بالغيرة المقدسة والاهتمام بالأتين بالنفوس إلى المخلص الكريم. ليت الرب يملأ قلوب الكثيرين من خاصته بالمحبة للنفوس البعيدة ويزودهم بالقوة الروحية لتقديم بشارة الإنجيل المباركة للنفوس " الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون. فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده.

* * * * *

" وَالْبَعْضَ رُعَاةً " ان كان عمل المبشر هو الكرازة بالإنجيل للنفوس المسكينة فإن الراعى الحقيقى يتميز بأن قلبه مملوء بالعطف والاهتمام بسلامة قطيع المسيح. أن كان المبشر يجد النفوس كخراف ضالة وتائهة في برية هذا العالم ويأتي بها إلى مكان الأمن والسلام – إلى حيث قطع المسيح فإن الراعى يغذيها من مراعى كلمة الله. إنه يهتم بكل واحد منها فيعمل على تقوية الضعيف وتعزية الحزين وتشجيع المجرب وإقامة الساقط والعائر. يهتم بكل واحد من قطيع المسيح ولو كان في حالة المرض أو على فراش الموت.

عندما التقى الرب يسوع راعى الخراف العظيم المقام من بين الأموات ببطرس ومعه بعض التلاميذ عند بحر طبرية وسأله ثلاث مرات قائلا " أحببني؟ " كان جوابه " نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ ». قَالَ لَهُ : «أَرَعُ خِرَافِي " قَالَ لَهُ أَيْضاً ثَانِيَةً : «يَا سَمِعَانُ بَنَ يُونَا أَتُحِبُّنِي؟» قَالَ لَهُ : «نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ ». قَالَ لَهُ : «أَرَعُ غَنَمِي " (يو ٢١ : ١٥-١٧) فلم يكن بطرس رسولا فحسب بل كان راعى أيضاً. ما اسمى هذه الخدمة! انها موهبة لا تنال بالعلم في الجامعات أو الكليات اللاهوتية ولكن الرب نفسه هو الذي يعطى الراعى قلبا مملوء بالمحبة الشديدة لخرافه.

* * * * *

" وَمُعَلِّمِينَ " وهنا يجب أن نراعى أن هناك فرقا بين الراعى والمعلم، فالراعى شخص قد ميزه الرب بأن اعطاه فطنة روحية في رعاية قطيعه والاهتمام بكل واحد منهم في ظروفه المتنوعة، بينما المعلم هو شخص أعطاه الرب معرفة واسعة في كلمته وقدرة على شرحها

للمؤمنين. اننا نقرأ في رسالة كورنثوس الأولى (١٢ : ٨) " فانه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة. ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد " فيمكننا القول بأن الراعى تتميز خدمته بكلام " حكمة " – حكمة في رعاية خاصة المسيح ومعالجة متاعبهم أو بالحري كل ظروفهم، بينما تتميز خدمة المعلم بكلام " علم " فهو يستطيع أن يشرح ويفصل كلمة الحق بالاستقامة حتى يستوعبها المؤمنون ويستفيدوا منها.

وقد يعطي الرب شخصا واحدا أن يكون راعيا ومعلما في وقت واحد.

هذه هي المواهب الدائمة واللازمة لكنيسة الله كل مدة وجودها على الأرض، وذلك بخلاف بعض المواهب الأخرى المعجزية المذكورة في رسالة كورنثوس الأولى (ص ١٢ و ١٤) والتي كانت لازمة لتثبيت الكرازة عند تأسيس الكنيسة " وَالرَّبُّ يَعْمَلُ مَعَهُمْ وَيُثَبِّتُ الْكَلَامَ بِالْآيَاتِ النَّاتِجَةِ " (مر ١٦ : ٢٠ قارن أيضاً عب ٢ : ٤٣).

* * * * *

(١٢) " لأجل تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ، لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِإِبْنَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ "

يبين الرسول هنا غاية الرب العظمى من إعطاء المواهب الروحية، فإن قصده من خدمة الرسل والانبياء والمبشرين والرعاة والمعلمين هو " لأجل تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ " أي نموهم ونضوجهم الروحي. هذه هي إرادة الرب من نحو قديسيه، فهو يريد لهم أن يكونوا كاملين في المعرفة وفي الحياة العملية. أن كان الرسل والانبياء المؤسسون ليسوا موجودين الآن بالجسد بين المؤمنين على الأرض فإن لدينا كتاباتهم – الأنجيل وسفر الأعمال والرسائل وسفر الرؤيا وفيها كل الكفاية لكنيسة المسيح إلى نهاية وجودها في هذا العالم، كما أعطى البعض أن يكونوا مبشرين للاتيان بنفوس المعينين للحياة الأبدية إلى المسيح، وكذلك أعطى البعض أن يكونوا رعاة ومعلمين لفائدة شعبه. وغاية الرب في ذلك كله هي " لأجل تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ " وذلك بواسطة الخدمة التي أعطاها الرب لخدمته للقيام بها " لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ " – هذا العمل الذي يستخدمه الرب " لِإِبْنَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ "

ان الرب يسوع المسيح رأس الجسد الذي أحب الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها هو الذي يغذى ويقوت أعضاء جسده وذلك بواسطة المواهب الروحية التي أغدقها على كنيسته لبنيان جسده.

* * * * *

(١٣) " إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الْإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللَّهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مَلَأِ الْمَسِيحِ "

المسيح يسوع ربنا وحده ولا سواه هو موضوع كلمات الرسول هذه، فإن قصد الله في إعطاء المواهب الروحية هو بنيان المؤمنين ونموهم روحياً حتى يكون لهم هدف واحد • وهو المسيح نفسه. انه جميل حقاً أن نعرف حقيقة الفداء الذي صار لنا بموت ربنا يسوع، ولكن ارادة الله الاسمى هي أن ننمو ونتعمق أكثر في معرفة ابن الله نفسه. أن الإيمان بعمله الكفاري فوق الصليب لازم ولا غنى للنفس عنه، ولكن اسمى ما يستطيع أن يصل اليه الإيمان هو الرب يسوع ابن الله المبارك نفسه، فانه من اسمى امتيازاتنا أن ننتهي جميعاً إلى وحدانية الإيمان – أي الإيمان الواحد المسلم مرة إلى القديسين – أن نتعمق في الإيمان بكل ما للمسيح من أمجاد فائقة ومقام فريد، وننمو في معرفة ابن الله.

" إلى إنسان كَامِلٍ. إلى قِيَّاسِ قَامَةِ مِلءِ الْمَسِيحِ " والكمال هنا بمعناه الحقيقي هو أن نعرف الرب يسوع معرفة اختبارية، وأن يكون هو هدفنا الوحيد. أن يكون هو كل شيء في حياتنا وأن يكون موضوع تعلق وفرح وتعبد قلوبنا.

صحيح أننا سنصل إلى هذه الحالة السامية والمجيدة بصورة كاملة في المجد عندما يأتي الرب يسوع ويأخذنا لنكون مثله ونراه كما هو ، ولكن قصد الروح القدس هنا هو حالة النمو الروحي التي يجب أن نكون عليها ونحن هنا على الأرض قبل أن نصل إلى المجد. وهذا يؤيده قول الرسول في العدد التالي " كي لا نكون فيما بعد أطفالاً.. الخ "

* * * * *

(١٥١٤) " كَيْ لَا نَكُونَ فِي مَا بَعْدُ أَطْفَالاً مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحٍ تَعْلِيمٍ، بِحِيلَةِ النَّاسِ، بِمَكْرٍ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلَالِ. بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنمو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ : الْمَسِيحُ "

جدير بنا أن نلاحظ هنا المباشرة الواضحة بين " إنسان كَامِلٍ " في العدد السابق

وبين " أَطْفَالاً مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحٍ تَعْلِيمٍ " فإن غاية الله من اعطاء المواهب

الروحية هي نمو المؤمنين في النعمة وفي معرفة ربنا يسوع المسيح. انه لا يريد أن يكون المؤمنون به كالأطفال الصغار الذين لا استقرار لهم ولا ثبات " وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحٍ تَعْلِيمٍ، بِحِيلَةِ النَّاسِ، بِمَكْرٍ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلَالِ "

إن قرعنا وقعت في هذه الأيام الأخيرة " الأزمنة الصعبة " التي كثر فيها المعلمون الكذبة الذين يستعملون كل حيلة لاقتناص المؤمنين الذين لا يزالون في حالة الطفولة الروحية. فليحذر كل مؤمن وليسهر لئلا ينخدع بأراء هؤلاء المعلمين أمثال شهود يهوه أو المعلمين العصريين وغيرهم.

ان أهم وسيلة لوقاية المؤمنين من " حيلة الناس " ومكرهم ومكايدهم التي تقود إلى " الضلال " هي درس كلمة الله بروح الصلاة إذ هي " اللب العلى العديم الغش "

* * * * *

" بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ " أي متكلمين بالحق أو متمسكين بالحق في المحبة^(١).

ان المقصود بهذه العبارة هي ألا نكون أطفالاً بل بالحري نامين في ادراك الحق الإلهي والتكلم به بروح المحبة. انه لأمر له أهميته أن نكون أمناء في تمسكنا بالحق الإلهي والمجاهرة به بشجاعة وبكل أمانة، ولكنه أيضاً أمر جوهري أن نفعل ذلك بروح المحبة، فلا نكون متشامخين ولا معجبين بأنفسنا ظانين اننا أفضل ممن لم يدركوا بعد كل الحق الذي قبلناه من الله إذ ليس لنا فضل في ذلك " لانه من يميزك. وأي شيء لك لم تأخذ (من الله) وان كنت قد أخذت (من الله) فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ؟ " (أي كما لو كان ما عندك هو منك ولم تأخذه من الله) " وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوءَةٌ وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الْأَسْرَارِ وَكُلُّ عِلْمٍ وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الْإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَلَسْتُ شَيْئاً " (١كو ١٣ : ٢). اننا نرى هذين الأمرين " الحق والمحبة " ظاهرين

(١) " But speaking the truth in love " or " Being truthful in " " love " or " Holding the truth in love "

في كمالهما في ربنا يسوع المسيح، فقد كان تبارك اسمه هو " النور الحقيقي " (يو ٨) الذي أعلن الحق كاملاً بل كان هو " الحق " بعينه (يو ١٤) كما كان هو المحبة المتجسدة " لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ " (يو ١٥ : ١٣) بل ولأجل أعدائه أيضاً!

فبينما يجب علينا أن نتمسك بالحق المعلن في كلمة الله ونجاهر به بدون خوف بل بكل شجاعة مقدسة، فانه من واجبنا أيضاً أن نكون لطفاء مزينين التعليم الصحيح بوداعة المحبة.

" بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنُمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ : الْمَسِيحُ " هذه هي ارادة الله من نحو كل واحد من المؤمنين خاصته. فهو يريد أن نكون جميعنا نامين " في

كُلِّ شَيْءٍ " أعنى في كل ناحية من نواحي حياتنا، النمو الذي يقودنا إلى الرأس الممجد ربنا يسوع وإلى اظهاره واطهار كمالاته في حياتنا يوما بعد يوم.

* * * * *

(١٦) " الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّباً مَعاً، وَمُقْتَرِناً بِمُؤَاوَزَةِ كُلِّ مَفْصِلٍ، حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ، يُحْصَلُ نَمُو الْجَسَدِ لِبُنْيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ "

الصورة الماثلة أمامنا في هذه الكلمات مأخوذة من أعضاء الجسد الطبيعية، فكما أن كل عضو وكل مفصل أو بالحري كل جزء في جسم الإنسان كبيرا كان أو صغيرا له عمله وله وظيفته التي يقوم بها لفائدة وحفظ بقية أجزاء الجسد الأخرى، كذلك الامر في كنيسة المسيح التي هي جسده، فانه متى قام كل عضوفي جسد المسيح أي في الكنيسة بعمله المعين له من المسيح الرأس " الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ

مُرَكَّباً مَعاً وَمُقْتَرِناً " فإن الجسد بمؤازرة كل مفصل يقوم بعمله " عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ " أي بحسب قياس العمل المعطى لكل جزء، وعندئذٍ " يُحْصَلُ نَمُو الْجَسَدِ لِبُنْيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ " أن الرب يسوع المسيح هو " رأس الجسد " والذي منه يستمد كل عضواته والتوجيه والارشاد لمعرفة واجبه من نحو بقية الأعضاء، كما يستمد منه القوة والمعونة للقيام بذاك الواجب وبذلك " يُحْصَلُ نَمُو الْجَسَدِ لِبُنْيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ " ليعطى الرب كل واحد منا ادراكا اكثر لمسئولية الفردية كعضوفي جسد المسيح من نحو نمو وبنيان بقية الأعضاء في المحبة.

* * * * *

(١٧) " أَقُولُ هَذَا وَأَشْهَدُ فِي الرَّبِّ، أَنْ لَا تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدُ كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ الْأُمَمِ أَيْضاً بِبُطْلٍ ذِهْنُهُمْ، "

يناشد الرسول بولس المؤمنين بأن لا يسلكوا كما يسلك سائر الأمم، واضعاً امامهم الرب يسوع الذي آمنوا به والذي بوركوا فيه بكل بركة روحية في السماويات " أَقُولُ هَذَا وَأَشْهَدُ فِي الرَّبِّ " انه الرب صاحب السلطان والسيادة علينا نحن المؤمنين به والذي صرنا أعضاء جسده فلا يليق ابدا بأن يكون سلوكنا مشابها لسلوك غير المؤمنين به. لقد كان المؤمنون في أفسس من الامم الوثنيين ولكنهم رجعوا إلى الله من الأوثان وقبلوا المسيح يسوع مخلصاً ورباً لذا يحذرهم الرسول من الرجوع إلى الحياة أو العوائد الوثنية الدنسة أو السلوك فيها، فإن غير المؤمنين يسلكون في الشر والدنس منقادين في ذلك " بِبُطْلٍ ذِهْنُهُمْ " وإذ " لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللَّهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ أَسْلَمَهُمُ اللَّهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ

لِيَفْعَلُوا مَا لَا يَلِيقُ " (رو ١ : ٢٨) وما يقوله الرسول للمؤمنين في أفسس يقوله الروح القدس لنا نحن أيضاً.

* * * * *

(١٨) " إِذْ هُمْ مُظْلَمُوا الْفِكْرَ، وَتَجَنَّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللَّهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلَظَةِ قُلُوبِهِمْ "

مظلموا الفكر، أو بالحري " أَظْلَمَ قُلُوبُهُمُ الْغَيْبُ " (رو ١ : ٢٨) فليس لديهم أي شعاع أو ومضة من النور الإلهي. هذه هي حالة النفوس المسكينة، النفوس البعيدة عن الله فانهم " متجنبون عن حياة الله، أو بالحري ليس فيهم حياة إلهي " مَنْ لَهُ الْابْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللَّهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ " (١ يوحنا ٥ : ١٢). فأولئك الامم هم مظلموا الفكر ومتجنبون عن حياة الله بسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة (أو عمى) قلوبهم. لذا ارسل الرب يسوع عبده بولس عندما ظهر له وهو في طريقه إلى دمشق، إلى أولئك الامم المساكين قائلا له " لَتَفْتَحَ عُيُونُهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللَّهِ حَتَّى يَنَالُوا بِالْإِيمَانِ بِي عُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيباً مَعَ الْمُقَدَّسِينَ " (١ كو ١٧ : ١٨).

* * * * *

(١٩) " الَّذِينَ إِذْ هُمْ قَدْ فَقَدُوا الْحَسَّ، أَسْلَمُوا نُفُوسَهُمْ لِلدَّعَاةِ لِيَعْمَلُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ فِي الطَّمَعِ "

أو دع الله في الإنسان " الضمير " الذي يميز بين الخير والشر، ولكن أولئك الامم الوثنيون أو بالحري جميع البعيدين عن الله متى تهادوا في الشر فانهم يصلون إلى هذه الحالة المريعة – أخط درجة يمكن أن يصل إليها الإنسان، اعنى انهم يفقدون الحس، وكأن الضمير لم يبق له أي عمل فيهم. لقد صاروا اناسا " موسومة ضما)رهم " فانهم يفعلون الشر بدون مبالاة. يشربون الإثم كالماء، ولا يشعرون بأي ألم في أنفسهم بسبب ارتكابهم الشر، " إِذْ هُمْ قَدْ فَقَدُوا الْحَسَّ، أَسْلَمُوا نُفُوسَهُمْ لِلدَّعَاةِ لِيَعْمَلُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ فِي الطَّمَعِ " (أوبطمع) أي انهم ارتكبوا كل أنواع النجاسة بطمع وشراسة.

بالعظم غنى نعمة الله! فإن القديسين في أفسس كانت هذه الحالة البشعة حالتهم قبل إيمانهم بالرب يسوع. حقاً انه المخلص القدير الذي يدعو أشر الفجار ليقبلوا اليه بالإيمان فيخلصون من حالة الشر القذرة وينالون حياة أبدية. يصبحون خليقة جديدة " الأشياء العتيقة قد مضت هو ذا الكل قد صار جديداً " ياله من مخلص!! تبارك اسمه المعبود إلى الأبد.

* * * * *

(٢١ و ٢٠) " وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَمْ تَتَعَلَّمُوا الْمَسِيحَ هَكَذَا - أَنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمُوهُ وَعُلِمْتُمْ فِيهِ كَمَا هُوَ حَقٌّ فِي يَسُوعَ "

العلاج الإلهي الصحيح لحفظنا من السلوك كما يسلك سائر الأمم هو في المسيح يسوع. انه، له المجد، ليس فقط مخلصاً من الديونة والهلاك الأبدي بواسطة موته فوق الصليب ولكن حياته التي عاشها فوق الأرض كإنسان وأيضاً كالمقام من بين الأموات والمجد عن يمين الاب هي دستور حياة المسيحي الحقيقي. وكما انه هو المعلم الوحيد الذي ليس مثله معلم، فهو أيضاً الدرس الأعظم الذي يجب أن نتعلمه " تتعلموا المسيح " وذلك بالشركة معه والتفرس في كمالاته " وَنَحْنُ جَمِيعاً نَظَرِينْ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهِهِ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرَاةٍ، نَنْعَيِّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحَ " (٢كو ٣ : ١٨).

" تَتَعَلَّمُوا الْمَسِيحَ... قَدْ سَمِعْتُمُوهُ " ان الروح القدس هنا يربطنا بالمسيح بكيفية مباشرة. صحيح أن الرسول يوحنا يخبرنا عما سمعه هو والرسول من المسيح لكي تكون لنا شركة معهم فيما سمعوه ولكي يكون فرحنا كاملاً (١ يو ١)، ولكن لنا ما هو أكثر من ذلك كما هو ظاهر من قول الرسول بولس هنا " سَمِعْتُمُوهُ " وليس سمعتم عنه. أن هذا هو امتياز خاصة المسيح – اننا تعلمنا المسيح واننا سمعناه هو ، كما قال بفمه الكريم بأن " وَالْخَرِافُ تَتَّبَعُهُ لِأَنَّهَا تَعْرِفُ صَوْتَهُ... وَلِي خَرِافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ يَنْبَغِي أَنْ آتِي بِتِلْكَ أَيْضاً فَتَسْمَعُ صَوْتِي... خَرِافِي تَسْمَعُ صَوْتِي وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتَّبَعْنِي " (١ يو ١٠).

" سَمِعْتُمُوهُ وَعُلِمْتُمْ فِيهِ كَمَا هُوَ حَقٌّ فِي يَسُوعَ " إن الحق كله هو " في يسوع " وليس هناك حق خارجا عنه " أنا هو الطريق والحق والحياة " فاذا أردنا أن نتعلم الحق من جهة الإنسان، فاننا لن نجده في آدم الإنسان الأول الذي فشل في مسؤوليته أمام الله ولكننا نجد الحق كله في الإنسان الكامل – الإنسان الثاني الذي كان هنا بحسب فكر الله، كما أننا إذا أردنا أن نتعلمه الحق من جهة الله فاننا لن نجده في أي شخص أو في أي شيء آخر سوى في المسيح، فهو وحده الذي استطاع أن يقول " أَنَا وَالْأَبُ وَاحِدٌ... وَالَّذِي رَأَيْتَنِي فَقَدْ رَأَيْتِ الْأَبَ " (١ يو ١٠ و ١٤) وحتى أن أردنا أن نتعلم فكر الله من نحو الخطية فاننا لن نتعلمه إلا في صليب المسيح، فهناك نرى مخلصنا المبارك آخذا مكاننا ونرى ما تستحقه الخطية. أن الحق هو في يسوع فكأن المسيح المجد في الأعلى يقودنا إلى شخصه كمن عاش هنا في هذا العالم لتتعلم كيف يجب أن نسلك كما سلك هو . وبالأجمال لن نستطيع أن نجد الحق بخصوص أي أمر من الأمور إلا في " يسوع وحده "

واضح كل الوضوح أن يسوع هو المسيح، والمسيح هو يسوع ولكن الروح القدس لا يضع أماننا هذين الاسمين في هذا العدد بدون قصد أو غرض. فهو أولاً يضع أماننا اسمه " المسيح " – " لم تتعلموا المسيح هكذا " لانه في ذلك يقودنا إلى ادراك كل بركاتنا

وامتيازاتنا التي صارت لنا في المسيح المقام والمجد في السماويات. ثم يضع أمامنا اسم " يسوع " وهو الاسم الذي سمى به لما كان هنا في هذا العالم وذلك لنذكر واجبنا من حيث السلوك كما هو حق في يسوع الذي ترك لنا مثالا لكي نتبع خطواته " كما سلك ذاك هكذا نسلك نحن أيضاً "

* * * * *

(٢٢) " أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الْإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ "

كيف أستطيع أن أسلك كما سلك المسيح لما كان هنا على الأرض وأنا أعلم اننى ورثت من " الإنسان الأول " آدم طبيعة ساقطة وفاسدة؟

إن الحق كما هو في يسوع هو أن نخلع من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور. وهذا ليس معناه تحسين الإنسان العتيق فانه لا يقبل إصلاحاً بأي حال من الأحوال، ولكن العلاج الإلهي الوحيد هو أننى كمسيحي أخلع أو أطرح كل تصرفات الإنسان العتيق الفاسد السابقة.

إن الإنسان العتيق هو الطبيعة القديمة الساقطة التي لا تحب شيئاً سوى الفساد والشهوات الغاشة والتي لا تحب البر والقداسة كما انها عديمة القوة فلا تستطيع أن ترضى الله بعمل أي شيء صالح أو مقدس " لِأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ لِلَّهِ إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعاً لِنَامُوسِ اللَّهِ لِأَنَّهُ أَيْضاً لَا يَسْتَطِيعُ " (رو ٨ : ٧) والرب يسوع لم يطلب قط من " الإنسان العتيق " أن يخلع عنه تصرفاته الفاسدة، فإن محاولة تكليف الإنسان العتيق بخلع أعماله وتصرفاته وشهواته وبعمل ما هو مرضى أمام الله هي نظير وضع خمر جديدة في زقاق عتيقة " وَلَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ خَمراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ "

١٤٦

لئلا تَشَقَّ الْخَمْرُ الْجَدِيدَةُ الزِّقَاقَ فَهِيَ تُهْرَقُ وَالزِّقَاقُ تَتَلَفُ. بَلْ يَجْعَلُونَ خَمراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ جَدِيدَةٍ فَتُحْفَظُ جَمِيعاً " وإذ عرف الرب يسوع ما كان في قلوب الفريسيين قال لهم " وَلَيْسَ أَحَدٌ إِذَا شَرِبَ الْعَتِيقَ يُرِيدُ لِلْوَقْتِ الْجَدِيدِ لِأَنَّهُ يَقُولُ : الْعَتِيقُ أَطِيبُ " (لو ٥ : ٣٧-٣٩). هذه هي حالة القلب غير المتجدد انه يفضل شهوات " الإنسان العتيق الفاسد " ومسراته الوقتية الغاشة على العيشة في البر والقداسة. أن المقصود بخلع الإنسان العتيق هو النظر اليه في صليب المسيح – الإيمان واليقين بأنه قد سمر في الصليب " عَالَمِينَ هَذَا : أَنْ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْتَطَلَ جَسَدُ الْخَطِيئَةِ كَيْ لَا نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضاً لِلْخَطِيئَةِ " وأن نحسب أنفسنا أمواتا عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا (رو ٦ : ٦ و ١١).

ومن الاهمية بمكان أن نعرف أن خلق الإنسان العتيق ليس معناه انه لم يبق فينا أي أثر أو ميل إلى الخطية فإن ذلك يحسبه الرسول يوحنا ضللا وليس بحسب الحق (١ يو ١ : ١٠ و ٨). والرسول بولس بعد أن يقول للمؤمنين "مُتُّ مَعَ الْمَسِيحِ" (كو ٢ : ٢٠) "لَأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللَّهِ" (كو ٣ : ٣ و ٥). فالقول بالموت مع المسيح أو خلق الإنسان العتيق ليس معناه أننا وصلنا إلى حالة الكمال وهذا ما قاله الرسول العظيم بولس عن نفسه "لَيْسَ أَنِّي قَدْ نِلْتُ أَوْ صِرْتُ كَامِلًا، وَلَكِنِّي أَسْعَى لَعَلِّي أُدْرِكُ الَّذِي لِأَجْلِهِ أُدْرِكُنِي أَيْضًا الْمَسِيحُ يَسُوعُ. أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، أَنَا لَسْتُ أَحْسِبُ نَفْسِي أَنِّي قَدْ أُدْرِكْتُ. وَلَكِنِّي أَفْعَلُ شَيْئًا وَاحِدًا : إِذْ أَنَا أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءَ وَآمْتُدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ. أَسْعَى نَحْوَ الْغَرَضِ لِأَجْلِ جَعَالَةِ دَعْوَةِ اللَّهِ الْعُلْيَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (في ٣ : ١٣-١٤).

وجدير بالملاحظة أن القول بأننا لم نصل بعد إلى حالة الكمال ليس معناه التساهل أو التهاون في السلوك بالتدقيق والعيشة في القداسة العملية بَلْ نَظِيرَ الْفُدُوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا قَدِيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ (١ بط ١ : ١٥ و ١٦) فإن الرسول يوحنا بعد أن يقرر هذه الحقيقة وهي أننا "إِنْ قُلْنَا إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيئَةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا" يحتثنا قائلا "يا أولادي، أَكْتُبْ إِلَيْكُمْ هَذَا لِكَيْ لَا تَخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الْإِلَهِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا" (١ يو ١ : ٨، ٢ : ٢ و ١).

* * * * *

(٢٣ و ٢٤) "وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذَهْنِكُمْ، وَتَلْبَسُوا الْإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللَّهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ"

بالمبانيعة مع خلق الإنسان العتيق وتصرفاته الفاسدة يحتثنا الرسول على أن نتجدد بروح ذهننا، والمقصود بتجديد روح الذهن هو تغذية وتقوية أرواحنا المتجددة حتى يمتلئ الذهن بأشواق ورغائب مقدسة وطاهرة. فكما نحرص بكل اهتمام على تغذية أجسادنا بالأطعمة التي نحفظها وتجدها وتجعلها قوية كذلك يجب أن نتجدد وتنقوى أرواحنا واذهاننا النقية بالتغذية بكلمة الله "اللبن العقلي العديم الغش" وبالشركة مع الرب يسوع ومع شعبه المحبوب. بهذه الوسائل الإلهية تتجدد أرواح اذهاننا. فلن تجد مسيحيا قويا ونشيطا دون أن يكون متغذيا بكلمة الله محبا لها وشغوبا بها، ودون أن يكون في شركة عميقة مع الرب ومحبا لآخوته المؤمنين أيضاً.

* * * * *

"وَتَلْبَسُوا الْإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللَّهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ" مما لا ريب فيه أن لبس الإنسان الجديد قد تم فعلا في اللحظة التي فيها قبل الإنسان المسيح مخلصاً له، و ولد

الولادة الثانية، ولكن المقصود هنا هو لبس الإنسان الجديد بكيفية عملية أو اختبارية. إنه اظهر الإنسان الجديد أو الحياة الجديدة بكيفية علنية – ذلك الإنسان الجديد أو الطبيعة الجديدة التي حصل عليها المؤمن في داخله.

وهذا الإنسان الجديد هو " الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللَّهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ " فانه أن كانت الخليقة الأولى قد فسدت ولم تبق بحسب فكر الله فإن الخليقة الجديدة هي " بِحَسَبِ اللَّهِ " أي كما قصد أن تكون عليه، وذلك بواسطة المسيح أولاً لأن الله يراها فيه " أعرف إنسانا في المسيح " وهذا الإنسان الجديد يرى بكيفية عملية في صورتين وهما البر وقداسة الحق : البر في تعاملنا المسيحي اللائق مع جميع الناس، والقداسة هي في سلوكنا بالتقوى أمام الله. البر هو سلوكنا الخارجي أمام الناس في كل ناحية من نواحي الحياة، والقداسة هي في حالة قلوبنا الداخلية أمام الله.

واذ صرنا خليقة جديدة فيجب أن نلبس ثياب " الإنسان الجَدِيدَ " أعنى سيرة جديدة وتصرفات جديدة، تختلف كل الاختلاف عن تصرفات الإنسان العتيق وشهواته الفاسدة. يجب أن تكون رغبة كل مسيحي حقيقي هي أن الرب " يُعْطِينَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ... نَعْبُدُهُ بِقَدَاسَةٍ وَبِرٍّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا " (لو ١ : ٧٤ و٧٥).

* * * * *

(٢٥) " لِذَلِكَ اطْرَحُوا عَنْكُمُ الْكَذِبَ وَتَكَلَّمُوا بِالصِّدْقِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ قَرِيبِهِ، لَأَنَّنَا بَعْضُنَا أَعْضَاءُ الْبَعْضِ "

أيليق بالمؤمن الذي خلع الإنسان العتيق ولبس الجديد المخلوق بحسب الله في

البر وقداسة الحق أن لا يكون أميناً وصادقاً في أعماله وفي أقواله أيضاً؟ أن الكذب هو من أعمال الطبيعة العتيقة الفاسدة، كما انه من صفات غير المؤمنين الذين " نَصِيبُهُمْ فِي الْبُحَيْرَةِ الْمُتَّقِدَةِ بِنَارٍ وَكِبْرِيَةٍ، الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي... لِأَنَّ خَارِجاً (أي خارج المدينة السماوية)... كُلُّ مَنْ يُحِبُّ وَيَصْنَعُ كَذِباً " (رؤ ٢١ : ٨، ٢٢ : ١٤ و١٥).

إن واجب كل من تعلم الحق كما هو في يسوع أن يطرح عنه الكذب وإن يتكلم بالصدق دائماً متمثلاً بالسيد الذي كانت كل أقواله تعلن حقيقة حياته " فَقَالُوا لَهُ : «مَنْ أَنْتَ؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : «أَنَا مِنَ الْبَدْءِ مَا أَكَلِمَكُمُ أَيضاً بِهِ " (يو ٨ : ٢٥) فإن كلام الإنسان هو المرأة التي تظهره على صورته الحقيقية.

* * * * *

"لَأَنَّا بَعْضُنَا أَعْضَاءُ الْبَعْضِ " أي اننا أعضاء في جسد واحد، فمن لا يتكلم بالصدق مع قريبه الذي هو عضو في الجسد الواحد فهو لا يغش أخاه فقط ولكن كأنه يخدع نفسه. هل يعقل أن عضوا في أجسادنا الطبيعية يعمل على خداع واذى عضو آخر؟ أن ما يضر عضوا واحدا يضر بقية الأعضاء، وما يفيد عضوا واحد يفيد بقية الأعضاء، وهكذا الحال في جسد المسيح. فالعضو الذي يتكلم بالصدق مع أي عضو آخر فانه يحسن، لا إلى ذلك العضو فقط، بل إلى نفسه أيضاً. ليت طلبية المرمن قديما تكون طلبتنا نحن أيضاً " لِتَكُنْ أَقْوَالُ فَمِي وَفِكْرُ قَلْبِي مَرْضِيَّةً أَمَامَكَ يَا رَبُّ صَخْرَتِي وَوَلِيِّي " (مز ١٩ : ١٤).

* * * * *

(٢٦ و ٢٧) " اِغْضَبُوا وَلَا تُحْطِنُوا. لَا تَعْرِبِ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ وَلَا تُعْطُوا ابْلِيسَ مَكَاناً "

لقد حيرت هذه الكلمات كثيرين من المؤمنين وأربكت اذهانهم لأنهم يتصورون أن الغضب في كل الحالات هو شر لا يليق بالمؤمنين، ولكن ليست هذه هي الحقيقة تماماً، ولا نغالي إذا قلنا انه في بعض الحالات يكون عدم الغضب شراً لا يليق بالمؤمن الذي يحب المسيح ويغار على مجده، غير أنه من المهم جداً أن نتنبه إلى الحافز أو الدافع إلى الغضب، فإذا كان سببه شيئاً يمس الذات أو الكرامة الشخصية فانه لا يكون غضباً مقدساً، بل هو الغضب الذي يحذرنا منه الرسول يعقوب بقوله " لِأَنَّ غَضَبَ الْإِنْسَانِ لَا يَصْنَعُ بَرًّا لِلَّهِ " (يع ١ : ٢٠).

أما الغضب الذي بحسب مشيئة الله فهو الذي نرى فيه المسيح مثلاً لنا، فأننا نقرأ عنه بأنه " نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ حَزِينٍ عَلَى غِلَاطَةِ قُلُوبِهِمْ " (مر ٣ : ٥) قد غضب الرب في مناسبات مختلفة ولكنه، تبارك اسمه، لم يخطيء في غضبه. غضب حينما رأى أولئك الذين جعلوا الهيكل بيت تجارة فصنع سوطاً من حبال وطرده الجميع من الهيكل (يو ٢ : ١٣-١٦) كما انه نطق بالويل على الكتبة والفريسيين المرائين لأنهم كانوا يأكون بيوت الأراامل ولعلة يطيلون صلواتهم (مت ٢٣ : ١٤).

انى إذا كنت أرى أو اسمع كلمات التجديف المهينة لشخص ربنا يسوع ولمجده وابقى جامدا ولا تحتد روى في فانى لا أكون في الحالة التي يجب أن أكون عليها كمسيحي يحب المسيح ويعتز بمجده وكرامته. أن عدم الغضب في هذه الحالة هو عدم تقدير لمجد وكرامة سيدنا المعبود المبارك. هذا أمر له أهميته لأن البعض يظنون أن ذلك يتعارض مع المحبة. أن ظنا كهذا لا أساس له من الصحة، فإن المحبة الصحيحة هي التي تغار للحق ولا تتساهل مع الشر. إنها " وَلَا تَفْرَحْ بِالْإِثْمِ بَلْ تَفْرَحْ بِالْحَقِّ " (١ كو ١٣ : ٦) فلا يليق أن تكون المحبة على حساب حق الله والمسيح، فإن المحبة في هذه الحالة لا تكون محبة صادقة بل رياء.

غير أن هناك خطر نحن معرضون له بكل سهولة وهو الغضب المقترن بالخطية. لذا يحذرنا الروح القدس بقوله " إَغْضَبُوا وَلَا تُخْطِئُوا " إن الوسيلة الإلهية لحفظنا من الخطأ هي أن يكون الغضب لمجد الله وأن يحدث منا ونحن في حضرة الله وهناك ينتهي ولا يتعدى هذا الحد، لذا يقول الرسول " لَا تَغْزِبِ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ " لأنه إذا بقي هياج أو غضب كامنا في نفوسنا فلا يكون هذا الغضب من الله. فإذا ما غربت الشمس فإما أن أكون في حالة السلام القلبي العميق والشركة الحلوة مع الرب، أو أكون في حالة الغيظ محروما من التمتع به والشركة معه، و واجبى فيه هذه الحالة الأخيرة أن لا أستريح على فراش نومى إلا بعد أن أعترف بخطأى لأخى الذي غضبت عليه وبعد أن أجتو أمام الرب معترفا له بخطيتى، وإلا فأننا نعطى لابلis مكاناً، فأننا إذا ابقينا شيئاً من الغضب في قلوبنا واذهاننا فأننا بذلك نعطى منفذا للعدوليدخل إلى حياتنا. يجب أن نكون في حالة الصحو والسهر لأن ذلك العدو الخبيث يريد أن يهيمن على حياتنا فيسلبنا أفراحنا الروحية ويحرمانا من الشركة الحلوة مع الرب سيدنا.

يجب أن يكون الصفح رائدنا في حياتنا في كل حين " لِئَلَّا يَطْمَعَ فِيْنَا الشَّيْطَانُ، لِأَنَّنَا لَا نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ " (٢كو٢ : ١٠ و ١١).

* * * * *

(٢٨) " لَا يَسْرِقِ السَّارِقُ فِي مَآ بَعْدُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَتَعَبُ عَامِلًا الصَّالِحَ بِيَدَيْهِ، لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ احتِياجٌ "

صحيح أن المؤمنين في أفسس كانوا قبلا وثنيين لا يعرفون الله، وكانوا سالكين في كل أنواع الشرور والردائل، لذا كانوا بعد إيمانهم بالمسيح، معرضين لارتكاب هذه الخطايا – كانوا معرضين لخطية السرقة التي كانوا يمارسونها قبل إيمانهم بالرب يسوع. هذا صحيح ولكن ليس المعنى أن المسيحي ليس معرضا لارتكاب هذه الخطية إذا لم يكن متحصنا بالنعمة الإلهية. أن ما يوجهه الروح القدس للمؤمنين في أفسس في حالة السموالروحي. وقد عرفهم الرسول بولس بمقامهم السماوي كأعضاء في جسد المسيح، فأدركوا أن الله الاب قد باركهم بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، وانهم قاموا مع المسيح وأجلسوا فيه في السماويات، ومع ذلك كان يعظهم بالقول " لَا يَسْرِقِ السَّارِقُ فِي مَآ بَعْدُ " فمن الخطأ والخطر أن نتصور أننا لسنا معرضين للوقوع في هذه الخطية – ليحفظنا الرب بنعمته.

ما اسمى وأجمل تحريضات النعمة لمن ادركتهم هذه النعمة " لَا يَسْرِقِ السَّارِقُ فِي مَآ بَعْدُ " هذه لغة النعمة اللطيفة، وما أكبر الفرق بين تحريضات النعمة وبين تهديدات الناموس (خر ٢١ : ١٦، ٢٢ : ١-٣).

* * * * *

إن هناك أشكالاً متنوعة للسرقة، فقد يسرق موظف أو عامل من وقت عمله، وآخر يسلب سمعة غيره أو صيته، وما أكثر المؤمنين الذين يسلبون الله فلا يعطونه حقه من الأموال التي أعطاهم الله إياها " أَيْسَلُبُ الْإِنْسَانُ اللَّهَ؟ فَإِنَّكُمْ سَلَبْتُمُونِي. فَقُلْتُمْ : بِمَ سَلَبْنَاكَ؟ فِي الْعُشُورِ وَالتَّقْدِيمَةِ. قَدْ لَعْنْتُمْ لَعْنًا وَإِيَّايَ أَنْتُمْ سَالِبُونَ " (ملا ٣ : ٨ و ٩). على أن عمل النعمة في المؤمن في العهد الجديد يقوده إلى العطاء للرب بسخاء أكثر مما كان مطلوباً في العهد القديم (انظر ٢كو ٨ : ٣-٥).

* * * * *

" بَلْ بِالْحَرِيِّ يَتَعَبُ عَامِلًا الصَّالِحَ بِيَدَيْهِ، لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ اِحْتِيَاجٌ " لا يكفي أن يكون المؤمن أميناً فلا يسرق، بل هناك صورة ايجابية جميلة وهي انه يتعب عاملاً الصالح ببيده ليكون له هذا الامتياز المبارك وهو أن يعطى للمحتاجين. عجيبة حقاً هي نعمة الله! فإن اليدين اللتين كانتا تمتدان للسرقة تغيرتا تغييراً كلياً فصارتا تمتدان للعطاء للمعوزين والمحتاجين " ان كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة الأشياء العتيقة قد مضت. هو ذا الكل قد صار جديداً " لقد كان انسيما عبداً سارقاً ولكن إذا افتقدته نعمة الله المخلصة اصبح الأخ الأمين الحبيب " (كو ٤ : ٩) قال واحد من رجال الله الأفاضل " انى اكون سالكا بحسب البر الذي في الناموس إذا لم اسلب واختلس حقوق غيرى، ولكننى لا استطيع أن أحيا بحسب مبدأ النعمة الغنية والقداسة الحقيقية إذا لم أشرك الآخرين في الخيرات التي منحني الله إياها " أن فرح المعطى اسمى واعظم بكثير من فرح الأخذ " وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجًا، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَنْبُتُ مَحَبَّةُ اللَّهِ فِيهِ؟ " (١ يو ٣ : ١٧) ولنذكر دائماً كلمات الرسول المغبوط " لَا تَنْسُوا فِعْلَ الْخَيْرِ وَالتَّوَزُّعِ، لِأَنَّهُ بِذَبَاحِ مِثْلِ هَذِهِ يُسَرُّ اللَّهُ " (عب ١٣ : ١٦).

* * * * *

(٢٩) " لَا تَخْرُجْ كَلِمَةً رَدِيَّةً مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحًا لِلْبُنْيَانِ، حَسَبَ الْحَاجَةِ، كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلْسَامِعِينَ "

ينتقل الرسول من الحث على العمل الصالح وعلى العطاء للمحتاجين إلى التحذير من الكلام الردىء والحث على الكلام الصالح الذي يؤول للبنيان. وما أكثر التحريضات التي في كلمة الله عن هذا الموضوع الهام، فإن كلام الشفتين هو مرآة صادقة لحالة القلب الداخلية " فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْقَمُّ " (مت ١٢ : ٣٤). لقد أفاض الرسول يعقوب في

الكلام عن اللسان " إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَعْتَرُ فِي الْكَلَامِ فَذَلِكَ رَجُلٌ كَامِلٌ، قَادِرٌ أَنْ يُلْجِمَ كُلَّ الْجَسَدِ " (يع ٣ : ٢).

وكم هو جميل ومبهج أن نوجد في حضرة قديس فاضل يفيض قلبه ولسانه بكلمات النعمة التي تبني السامعين! وكم هو مؤذ وهادم أن يخرج من أفواهنا " كلام السفاهة والهزل الذي لا يليق " أو اقوال النقد والمذمة والطعن في سير الآخرين. ليتنا نحرص على أن لا تخرج من أفواهنا كلمة ردية " انزعْ عَنْكَ التَّوَاءَ الْفَمِ وَابْعُدْ عَنْكَ انْحِرَافَ الشَّفَتَيْنِ " (ام ٤ : ٢٤).

" لِيَكُنْ كَلَامُكُمْ كُلَّ حِينٍ بِنِعْمَةٍ، مُصْلِحًا بِمِلْحٍ، لِتَعْلَمُوا كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تُجَاوِبُوا كُلَّ وَاحِدٍ " (كو ٤ : ٦). إن " الملح الجيد " وله قيمته فهو وإن كان لا يصلح الفاسد ولكنه يحفظ الجيد من الفساد. انه الحق الذي يحفظ النفس في القداسة. فمتى كان لنا في أنفسنا ملح فإن كلامنا يكون نقيًا واقوالنا تؤول إلى السلام مع الآخرين. هكذا قال الرب يسوع " لِيَكُنْ لَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ مِلْحٌ وَسَالِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا " (مر ٩ : ٥٠).

يجب أن لا نتكلم إلا بما كان " صالحا للبنيان " والكلام الصالح هو من القلب الصالح " فَاضْ قَلْبِي بِكَلَامٍ صَالِحٍ " (مز ٤٥ : ١) " مِنْ الْفَمِ الْوَاحِدِ تَخْرُجُ بَرَكَهٌ وَلَعْنَةٌ! لَا يَصْلُحُ يَا إِخْوَتِي أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْأُمُورُ هَكَذَا! أَلَعَلَّ يَنْبُوْعًا يُنْبِغُ مِنْ نَفْسٍ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ الْعَذَبُ وَالْمُرُّ؟ " (يع ٣ : ١٠ و ١١).

كذا يجب أن يكون الكلام " حَسَبَ الْحَاجَةِ " فانه من الخطأ أن نتصور أن الكلام من أي نوع كان لا يكلفنا شيئًا، اقرأ ما كتبه الرسول يعقوب عن الأضرار المروعة التي مصدرها اللسان (ص ٣).

يجب أن لا ننسى أن كثرة الكلام لا تخلو من معصية، فلنحرص على أن لا نتكلم إلا بحسب الحاجة.

* * * * *

(٣٠) " وَلَا تُخْزِنُوا رُوحَ اللَّهِ الْقُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ "

الروح القدس هو الأقنوم الإلهي الذي حضر من السماء في يوم الخمسين، أي بعد أن أكمل الرب يسوع المسيح عمل الفداء بموته فوق الصليب وبعد أن قام من الأموات بمجد الاب ثم صعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه هناك. أن الروح القدس ليس هو مجرد تأثير أو قوة بل هو الشخص الإلهي المعادل للاب وللأبن، فهو يتكلم، ويرسل خداما للكراسة بالإنجيل (اع ١٣ : ٤ و ٢)، ويبكت العالم (يو ١٦ : ٨) ويعزي المؤمنين إذ يأخذ مما للمسيح ويخبرهم،

وهو الذي يرشدكم ويقودهم (يو ١٦ : ١٣-١٥، رو ٨ : ١٤)، كما أنه يحزن إذا لم يسلك المؤمنون في القداسة لأنه روح الله القدوس.

انه ساكن في كل مؤمن حقيقي وهو يصغي إلى كل كلمة ننطق بها ويعرف كل فكر يخطر باذهاننا ويرى كل عمل نعمله، لذا يحرصنا الرسول بالقول "لَا تُحْزِنُوا رُوحَ اللَّهِ الْقُدُّوسَ" وهذا ليس معناه أن الروح القدس يترك المؤمن، فانه متى سكن في المؤمن فانه يسكن فيه إلى الأبد "مُعْزِّيَا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ" (يو ١٤ : ١٦) هذا هو امتياز مؤمنى العهد الجديد. لقد صلى داود في العهد القديم قائلا : "رُوحَكَ الْقُدُّوسَ لَا تَنْزِعُهُ مِنِّي" (مز ٥١ : ١١) أما في عهد النعمة الحاضر فإن صلاة كهذه لا تليق بالمسيحي الحقيقي الذي سكن فيه الروح القدس وبه ختم إلى يوم الفداء، أن الروح القدس ساكن في المؤمن الحقيقي ولن يفارقه مطلقا ولكنه يحزن إذا لم نسلك سلوكا مقدسا بحسب كلمة الله، وهذا هو سبب حرمان الكثيرين من الفرح ومن التلذذ بالشركة الحلوة مع الرب. أما إذا سلطنا في القداسة والأمانة للرب فإن الروح القدس يبهج قلوبنا، ويأخذ مما للمسيح ويخبرنا.

في الاصحاح الأول من هذه الرسالة يقول الرسول "إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ، الَّذِي هُوَ عَرَبُونُ مِيرَاثِنَا، لِفِدَاءِ الْمُقْتَنَى، لِمَدْحِ مَجْدِهِ" (١٣ع و ١٤) وهنا يعود الرسول ليؤكد هذه الحقيقة المباركة وهي أننا ختمنا بالروح القدس – ختمنا ختما دائما "ليوم الفداء" والمقصود بيوم الفداء ليس فداء أرواحنا "الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا" (ص ١ : ٧) بل فداء أجسادنا وذلك عندما يأتي الرب يسوع المسيح من السماء ليأخذنا إليه وعندئذ يفدى هذه الأجساد الذليلة "سَيُعَيَّرُ شَكْلَ جَسَدٍ تَوَاضَعْنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ" (في ٣ : ٢٠ و ٢١) سيأتي الرب يسوع لأخذ كل المؤمنين الحقيقيين ولن يترك مؤمنا واحدا فإن كل مسيحي حقيقي هو عضوفي الجسد الواحد ولن يكون الجسد في المجد ناقصا عضوا واحدا مهما كان صغيرا أو ضعيفا.

* * * * *

(٣١) "لِيُرْفَعَ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَغَضَبٍ وَصِيَا حٍ وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ خُبْثٍ"

يحذرنا الرسول هنا من بعض الخطايا التي إذا تسأهلنا معها فاننا نحزن الروح القدس الساكن فينا. والرسول يبدأ بالتحذير من الشر الكامن في داخل القلب "لِيُرْفَعَ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ مَرَارَةٍ" والمرارة هي عكس الحلاوة ومتى وجدت المرارة في قلب الإنسان فإنها تسلبه حلاوة الفرح والسلام الداخلي وتجعله قلبا مظلمًا وكئيبا، انها صفة بغیضة من صفات غير المؤمنين الذين فهم مملوء مرارة (رو ٣ : ١٤) والرسول يعقوب يحذرنا من الغيرة المرة في قلوبنا (ص ٣ : ١١-١٥).

ثم يحذرنا الرسول أيضاً من الخطايا الظاهرة التي تنشأ من الممارسة التي يجب أن لا تبقى في القلب – يحذرنا من كل سخط وغضب وصياح وتجديف (أو كلام شرير). هذه الخطايا التي يحركها الخبث متى وجد في القلب. نعم أيها الأخوة الأحباء يجب أن ترفع كل هذه الأشياء من بيننا. اننا نقولها كلمة صريحة وهي أنه إذا لم نتحرر من هذه الخطايا بقوة الروح القدس فاننا لا نكون عائشين العيشة المسيحية الحقيقية. فلنحرص على أن لا يكون لهذه الأمور المعيبة وجود فينا أو بيننا وذلك بنعمة ومعونة إلهنا لنا.

* * * * *

(٣٢) " وَكُونُوا لَطْفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللَّهُ أَيْضاً فِي الْمَسِيحِ "

المسيحية الحقيقية ليست قاصرة على تجنب الشرور والخطايا التي تحزن الروح القدس، بل هي اسمى من ذلك بكثير، انها اظهار صفات المسيح الجميلة في حياتنا، فلكي نكون لطفاء وشفوقين في تعاملنا مع بعضنا البعض يجب أن نتمثل بسيدنا في لطفه وشفقته، ولكي نكون متسامحين يجب أن نضع أماننا المقياس الإلهي في الصفح والغفران " متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح " هل أخطأ إلى أحد بأخطاء كثيرة توازي خطاياي أنا من نحو الله؟ أن كان الله قد سامحنى بجميع خطاياي من أجل المسيح وعمله فوق الصليب فبالقدر الذي به سامحنى يجب أن أسامح أخى. ربما تظن أن الشخص الذي أخطأ في حقك لا يستحق الصفح والمسامحة فهل كنت انت مستحقاً للغفران الإلهي؟ انه لا يمكن أن يكون شخص قد أساءك وأخطأ اليك بالقدر الذي أخطأت أنت به إلى الله ومع ذلك فقد احبنا الله وغفر لنا جميع خطايانا. وهذا هو المقياس الذي به يجب أن تغفر للآخرين.

يا ربنا يسوع هبنا بنعمتك أن نتعلمك، وان نتعلم منك ونتمثل بك. آمين.

الاصحاح الخامس

(١) " فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللَّهِ كَأَوْلَادٍ أَحِبَّاءَ "

نرى هنا ارتباطاً وثيقاً بين هذه الكلمات وبين الكلمات الأخيرة في الاصحاح السابق، فانه بعد أن يحثنا الرسول على أن نكون لطفاء شفوقين متسامحين كما سامحنا الله أيضاً في المسيح، يضع أمامنا الله كالمثال الكامل، لا في الصفح والتسامح فقط بل في كل شيء " فَكُونُوا " أي لذلك أو بسبب ذلك " كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللَّهِ كَأَوْلَادٍ أَحِبَّاءَ "

ان هذا الحث موجه إلى المؤمنين الحقيقيين دون سواهم فانه من العيب أن تطلب من أي شخص غير متجدد لم ينل من الله طبيعة جديدة أن يتمثل بالله أو يتبع آثار خطوات المسيح، فإن سلوكنا في أثر خطوات الرب يسوع ليس هو الوسيلة لفدائنا أو تجديدنا بل هو نتيجة أو ثمرة فدائنا ونوالنا حياة ابدية، فكل محاولة من جانب الإنسان للتمثل بالله قبل أن يصبح شريكا للطبيعة الإلهية بالولادة من فوق هي بلا شك محاولة فاشلة، ولكننا " كَأَوْلَادٍ أَحِبَّاءَ " فقط نستطيع بنعمة الله ومعونته أن نتمثل به.

أما غير المؤمنين " أبناء ابليس " فانهم لا يريدون أن يعملوا سوى " وشَهَوَاتِ ابْنِكُمْ " (يو ٨ : ٤٤).

انه شيء طبيعي أن الأولاد يريدون دائماً أن يقلدوا اباؤهم ويتمثلون بهم، هكذا نحن المؤمنون فإن الله خلصنا بنعمته واعطى لكل منا حياة ابدية أي طبيعته الإلهية لذا ينتظر منا أن نتمثل به.

انه، تبارك اسمه هو مثالنا في كل شيء – في الفكر والكلام والعمل، فدستور أو قانون سلوك المسيحي ليس هو مجرد أو امر أو نواه بل هو الله نفسه معلنا ذاته وصفاته في ابنه الحبيب ربنا يسوع المسيح " كَأَوْلَادٍ الطَّاعَةِ لَا تُشَاكِلُوا شَهَوَاتِكُمُ السَّابِقَةَ فِي جَهَائِكُمْ، بَلْ نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً قَدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ " (١بط ١ : ١٤ و ١٥) " مَنْ قَالَ إِنَّهُ ثَابِتٌ فِيهِ، يَنْبَغِي أَنْهُ كَمَا سَلَكَ ذَاكَ هَكَذَا يَسْلُكُ هُوَ أَيْضاً " (١يو ٢ : ٦).

قد يبدو غريباً أن يطلب منا أن نتمثل بالله الذي لم نره ولكن كلمات ربنا يسوع فيها كل الكفاية لأيضاً هذا الأمر " اللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. الْابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي جِصْنِ الْآبِ هُوَ خَبَّرَ (أي اعلنه أو اظهره) " (يو ١ : ١٨). كما قال هو بنفسه " الَّذِي رَأَيْتُ فَقَدْ رَأَيْتُ الْآبَ " (يو ١٤ : ٩)، " فَإِنَّهُ فِيهِ يَجُلُ كُلُّ مِلءِ اللَّاهُوتِ جَسَدِيًّا " (كو ٢ : ٩).

* * * * *

(٢) " وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضاً وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لَأَجْلَنَا، قُرْبَاناً وَذَبِيحَةً لِلَّهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً "

السلوك المسيحي هو ما ينبر عليه الروح القدس في هذه الرسالة بصفة خاصة، فمع انه يرينا فيها مقامنا السماوي وبركاتنا الروحية التي بوركنا بها في المسيح، وكيف أننا قد أجلسنا فيه في السماويات، الا انه من الناحية الأخرى يحثنا كثيراً على السلوك الذي يتوافق مع هذه الامتيازات المباركة، وفي هذا الاصحاح الخامس يشير إلى ثلاثة اشياء يجب أن نسلك فيها وهي : السلوك في المحبة (٢ع) والسلوك في النور (٨ع) والسلوك بالتدقيق (١٥ع).

* * * * *

أولاً " وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ " هذا الحث موجه إلى الذين كانوا قبلاً خطاة مساكين، أمواتاً بالذنوب والخطايا ولكنهم عرفوا محبة المسيح – المحبة التي أظهرها في موته نيابة عنهم فوق الصليب. عرفوها و وثقوا فيها، وفي كفاية عمله النيابي فانتقلوا من الموت إلى الحياة ومن ثم انسكبت محبة الله في قلوبهم بالروح القدس المعطى لهم. هؤلاء هم الذين يطلب الله منهم أن يسلكوا في المحبة إذ لا يكفي أن نعرف أو نتعلم عن المحبة بل يجب أن نسلك فيها عملياً " لَا نُحِبُّ بِالْكَلَامِ وَلَا بِاللِّسَانِ " (١يو ٣ : ١٨).

ومقياس المحبة التي يجب أن نسلك فيها هو المسيح نفسه، " كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة "

حقاً ما اسمى المستوى الذي يجب أن يكون عليه سلوكنا كمسيحيين فليس هو السلوك بحسب أو امر الناموس الذي اعتقنا منه بل أن مقياس سلوكنا في المحبة هو محبة المسيح " كما أحبنا المسيح "

لقد كانت محبة المسيح لنا قوية بهذا المقدار حتى أن الموت لم يستطع أن يعطلها أو يؤخرها لحظة واحدة فقد أحبنا " وأسلم نفسه لأجلنا " هذه هي المحبة الحقيقية – المحبة الباذلة التي نحن مدعوون أن نتمثل به فيها. أن المحبة تجد شعبها في خدمة من تحب، والمسيحي المتمثل بالمسيح في محبته يجد سروره في خدمة الآخرين.

* * * * *

يرسم الروح القدس أمامنا هنا ذبيحة المسيح من بعض أو جهها فانه " اسلم نفسه لأجلنا " فقد كان فوق الصليب كذبيحة خطية " الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة " مات رئيس الحياة لكي نحيا نحن الأموات، لاسمه المعبود كل سجود واکرام. ولكن هناك

وجه آخر اسمى بما لا يقاس من موته " لأجلنا " ، فقد كان " قربانا وذبيحة لله رائحة طيبة " الإشارة هنا هي إلى " قربان التقدمة " (لا ٢)

الذي كان رمزا لناسوت ربنا الطاهر، وإلى " المحرقة " (لا ١) التي كانت اسمى أنواع الذبائح حيث كانت ترمز إلى المسيح كمن قدم نفسه لا لأجلنا بل لله، فهو الذي " وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب " إنه الإنسان الفريد الذي أطاع الله ومجده في حياته كما في موته فوق الصليب " وَلَكِنْ لِيَفْهَمَ الْعَالَمُ أَنِّي أَحِبُّ الْآبَ وَكَمَا أَوْ صَانِي الْآبِ هَكَذَا أَفْعَلُ. فُومُوا نَنْطَلِقُ مِنْ هَهُنَا " (يو ١٤ : ٣١) إلى أين؟ إلى الصليب حيث أكمل العمل الذي أعطاه إياه الآب ليعمله (يو ١٧ : ٤) نعم. انه المحرقة التي تصاعدت رائحتها الزكية فأشبع قلب بالله " رائحة طيبة " وكما أنه أسلم نفسه لأجلنا فوضعت عليه كل خطايانا هكذا إذ قدم نفسه " ذبيحة لله رائحة طيبة " انتقلت كل كمالاته إلينا فصار الله يرانا حاضرا وابدأ فيه – مقبولين كقبوله هو أمام الله ومحبوبين بنفس محبة الآب له. أمام هذه الرفعة التي أو صلتنا إليها محبة الله الآب والرب يسوع المسيح نجثو ونخر سجودا وتعبدًا.

* * * * *

(٣) " أَمَّا الزُّنَا وَكُلُّ نَجَاسَةٍ أَوْ طَمَعٍ فَلَا يُسَمُّ بَيْنَكُمْ كَمَا يَلِيْقُ بِقَدِيسِينَ "

ينتقل الرسول انتقالا مفاجئا من الكلام الجميل عن وجوب تمثّل المؤمنين بالله كأولاد أحبّاء وعن السلوك في المحبة كما أحبنا المسيح، إلى التحذير من الخطايا الدنسة المذكورة هنا. صحيح أن القديسين في أفسس كانوا قبل إيمانهم بالمسيح، أمّا وثنيين غارقين في كل أنواع الخطايا النجسة وكانوا في حاجة إلى التحذير من

الرجوع إلى تلك الشرور القذرة التي كانوا عائشين فيها قبلا، ولكن كما كانوا وقتئذ في حاجة إلى ذلك التحذير فإن المؤمنين في هذه الأيام في حاجة إلى هذا التحذير عينه لأن القلب البشري هو لم يتغير ولم يتحسن بالرغم من وسائل المدينة والتهديب. أن كل أنواع الشرور والمفاسد التي كانت منتشرة بين الوثنيين قبل أيام الرسول بولس وفي أيامه لا زالت موجودة في كل مكان في هذا العالم أن لم تكن قد ازدادت بسبب وسائل المدنية التي لم تكن موجودة وقتئذ، كالسينما وصالات الرقص وأماكن الملاهي والمجلات المصورة وغير ذلك كثير.

إن القديسين في هذه الأيام كما في كل زمان في حاجة إلى أن يكونوا في حالة الصحو والسهو، وأن يكونوا مواظبين على الصلاة لكي يحفظهم الرب من هذه الخطايا " الزُّنَا وَكُلُّ نَجَاسَةٍ " وكذا من كل " طمع " – أعني من الطمع في الأمور المادية أي محبة المال، كما أن كلمة طمع قد تشير إلى الرغبة أو الميل إلى ارتكاب كل أنواع النجاسة. يجب أن لا

ننسى أن فينا نفس الطبيعة الساقطة التي في جميع البشر بدون استثناء ولكن الذي يميزنا عن غير المؤمنين هو أننا نلنا طبيعة إلهية كما أخذنا الروح القدس الذي يمنح هذه الطبيعة الجديدة القوة لامائة أعمال الجسد والنصرة على جميع أمياله. أن واجبنا ليس قاصرا على أن نمتنع فقط عن ارتكاب هذه الخطايا بل يجب أن لا تسمى بيننا لأنها لا تليق بالقدسين. فالقدس من واجبه لا أن يمتنع عنها فقط بل ولا يفكر فيها أو يتحدث عنها " فَلَا يُسَمِّ بَيْنَكُمْ " أو كما يقول الرسول في نفس هذا الأصحاح " لأن الأمور الحادثة منهم سرا ذكرها أيضاً قبيح "

* * * * *

(٤) " وَلَا الْقَبَاحَةُ، وَلَا كَلَامُ السَّفَاهَةِ وَالْهَزْلُ الَّتِي لَا تَلِيْقُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ الشُّكْرُ "

يضع الرسول هذه الخطايا جنبا إلى جنب مع خطايا النجاسة المذكورة في العدد السابق، والمقصود بالقباحة كل ما من شأنه أن يحول قلوبنا وأفكارنا إلى أمور دنيئة سواء بالكلام أو بالعمل ولا سيما بالكلام لان هذا العدد يدور حول ما ينطق به اللسان، أما المقصود بكلام السفاهة فهو أقوال الجهالة والغبأوة، فالمفروض هو أن الجهال والسفهاء هم الذين ينطقون بكلام السفاهة وهذا ما لا يليق بالمؤمن الحقيقي " والهزل " هذه الخطية التي يضعها الروح في قائمة الخطايا الدنسة يتعرض لها مع الأسف كثيرون من المؤمنين، فانهم يتصورون أن من الظرف والكياسة وخفة الروح أن يمزحوا بكلمات تضحك الآخرين وتدخل السرور إلى نفوسهم فيستعملون ألفاظا لا تليق بقديسى الرب.

أنهم يتكلمون أحيانا بأقوال تحمل معنيين " أقوال التورية " أو بالحري أقوالا ملتوية قد تؤذى السامعين أو تمس كرامة أشخاص (غابيين، ظانين أن الهزل من علامات السرور والانشراح وهم يجهلون ما يقوله الحكيم " يُوجَدُ مَنْ يَهْذُرُ مِثْلَ طَعْنِ السَّيْفِ أَمَّا لِسَانُ الْحُكَمَاءِ فَشِفَاءٌ " (أم ١٢ : ١٨). أن الرجل المطوب هو الذي " فِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ " (مز ١ : ١) على أنه ليس المقصود هنا هو أن يكون المؤمن عبوسا أو كئيب الوجه ومقطب الجبين، كلا فإن مشيئة الله من جهة المؤمن الحقيقي هي أن يكون دائما فرحا مبتهجا، لأن " الْقَلْبُ الْفَرَحَانُ يُطَيَّبُ الْجِسْمَ " (أم ٧ : ٢٢). أن كلمة الله لا تحرم الضحك على وجه الإطلاق. قال أحد رجال الله " إنى أخاف من أولئك الذين صاروا قديسين لدرجة أنهم يحرمون الضحك مع أنه مما يميز الإنسان عن الخلائق الأخرى هو الضحك " وقال أيضاً " ما لم يستطع العلماء أن يجدوا قرذا يمكنه أن يضحك فأنهم لن يجدوا الحلقة المفقودة بين الإنسان والقرد " أما المقصود بالهزل فهو أقوال المزاح التي تجفف الحياة الروحية " الَّتِي لَا تَلِيْقُ " فبدلاً من القباحة وكلام السفاهة والهزل التي لا تليق يجب أن تكون أفواها مكرسة للرب (وفا)ضة بالحمد والتسبيح " بَلْ بِالْحَرِيِّ الشُّكْرُ " فانه لا يليق الجمع بين هذين

الأمرين، بين كلام السفاهة والهزل، والشكر. أن المؤمن الفطن الذي يقدر قيمة نعمة الله التي خلصته ويدرك سموالمقام الذي أو صلته اليه هذه النعمة لابد أن يفيض قلبه " بكلام صالح " بأقوال الشكر وأغاني الحمد والتسبيح للرب.

(٥) " فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ هَذَا أَنَّ كُلَّ زَانٍ أَوْ نَجِسٍ أَوْ طَمَّاعٍ، الَّذِي هُوَ عَابِدٌ لِلْأَوْثَانِ لَيْسَ لَهُ مِيرَاثٌ فِي مَلَكُوتِ الْمَسِيحِ وَاللَّهِ "

يذكر الرسول المؤمنين بأن ما يكتبه اليهم ليس شيئا جديدا، بل حقيقة معلومة عند جميعهم، وهي أن من يسلك في هذه الخطايا لا يمكن أن يكون ابنا حقيقيا لله، وليس له ميراث في ملكوت المسيح والله. لقد ظهرت نعمة الله الغنية مقدمة خلاصا لأشر الخطاة والفجار - خلاصا من الدينونة الأبدية وعتقا وتحريرا من سلطة الخطية، ولكن المبدأ الإلهي الثابت لن يتغير فإن من يرفض نعمة الله المانحة خلاصا مفضلا أن يعيش في هذه الخطايا القذرة لا يمكن أن يكون له نصيب في الميراث الأبدى. لقد وجدت محبة الله الغير المحدودة علاجا لمشكلة الخطايا في صليب المسيح الا أن قداسته لا يمكن أن تتساهل مع الخطية، ولا يمكن أن الله والخطية يكونان معا، لذا يحذر الرسول المؤمنين الحقيقيين أولاد الله الذين لهم الميراث المجيد في ملكوت المسيح والله من الوقوع في هذه الخطايا التي يعيش فيها غير المؤمنين الذين ليس لهم نصيب في ذلك الميراث الأبدى.

يشير الرسول إلى الطماع بأنه عابد للوثن، وهذا صحيح فانه يعبد إلها وهذا الإله أو الصنم هو ذاته، لذا يضعه الرسول جنبا إلى جنب مع الزانى أو النجس الذي ليس له هدف سوى اشباع لذاته وشهواته الدنسة.

* * * * *

(٧و٦) " لَا يَغُرَّكُمْ أَحَدٌ بِكَلَامٍ بَاطِلٍ، لِأَنَّهُ بِسَبَبِ هَذِهِ الْأُمُورِ يَأْتِي غَضَبُ اللَّهِ عَلَى أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ. فَلَا تَكُونُوا شُرَكَاءَ هُمْ "

يحذر الرسول المؤمنين من الانخداع بآراء ونظريات الاباحيين الذين يتحدثون كثيراً عن رحمة الله ونعمته. الذين يحولون نعمة الله إلى الدعارة ظانين أن النعمة تتساهل مع الخطية، فيؤكد الرسول لهم أن غضب الله لابد أن يأتي على أبناء المعصية العائشين في الخطية.

إن من واجبنا أن نصلى من أجلهم لكي يرحمهم الرب من هذه الحالة ولكن لا يليق بنا أن تكون لنا شركة مع أمثال هؤلاء.

* * * * *

(٨) "لَأَتَّكُم كُنْتُمْ قَبْلًا ظُلْمَةً وَأَمَّا الْآنَ فَنُورٌ فِي الرَّبِّ. اسْلُكُوا كَأَوْلَادِ نُورٍ"

ثانياً السلوك في النور. لقد بدأ هذا الاصحاح بالحث على السلوك في المحبة " واسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً " وهنا يحثنا الروح القدس على السلوك في النور واضعاً أمامنا الفرق الكبير بين حالتنا في الماضي وحالتنا كمؤمنين في الحاضر " لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور في الرب "

لقد عمل الرسول في الاصحاح الثاني مباينة بين الموت والحياة، والمباينة هنا هي بين الظلمة والنور، وبما أننا قد صرنا فعلاً نوراً في الرب لذا يجب أن لا نكون شركاء أبناء المعصية " فَلَا تَكُونُوا شُرَكَاءَهُمْ "

يوجد مملكتان كبيرتان، وكل إنسان في العالم موجود في واحدة منهما، وهما مملكة الشيطان – مملكة الظلمة، ومملكة الرب يسوع – مملكة النور، وغير المخلصين موجودين بإرادتهم تحت سيادة وسلطان الظلمة، وهم يحبون الظلمة ويفضلونها على النور لأن أعمالهم شريرة (يو ٣ : ١٩). انهم ليسوا في الظلمة فقط بل هم أنفسهم " ظلمة " وأعمالهم كلها ظلمة لانهم لا يعرفون غير ذلك.

أما المسيحي الحقيقي فقد كان قبلاً ظلمة، ولكنه منذ اللحظة التي فيها قبل الرب يسوع المسيح " نور العالم " مخلصاً له أنقذه الله الاب من سلطان الظلمة ونقله إلى ملكوت ابن محبته (كو ١ : ١٣) " لِأَنَّ اللَّهَ الَّذِي قَالَ أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لِإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللَّهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ " (٢كو ٤ : ٦) لقد كنا قبلاً ظلمة وأما الآن فنور في الرب، أي أننا لسنا في النور فحسب بل اننا الآن فعلاً " نور في الرب " لذا يجب علينا أن نسلك كأولاد نور، فلا نسلك فيما بعد في الأشياء التي نخجل الآن من ذكرها. يجب أن تكون الحياة بجملتها مختلفة كل الاختلاف عن حياة غير المؤمنين " لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور في الرب " لما كان ربنا يسوع المسيح هنا في هذا العالم قال عن نفسه " أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ " (يو ٨ : ١٢)، ولكنه أعطى خاصته هذا الشرف العظيم أن يكون لهم نفس المركز السامي الذي كان له وهو على الأرض إذ قال لهم " أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ...فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ وَيَمَجِّدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ " (مت ٥ : ١٤ و ١٦) ولكي نستطيع أن نضيء يجب أن نكون باستمرار ممثلين بالروح القدس وذلك لكي نجذب أنظار الناس، لا لأنفسنا، بل لكي يرى المسيح في حياتنا وبذا يتمجد الله ابونا. قال الرب، له المجد، عن يوحنا المعمدان بأنه كان " السِّرَاجُ الْمُوقَدُ (أي المشتعل أو المحترق) الْمُنِيرُ " (يو ٣٥ : ٥) وكان كل غرضه أن يضيء السبيل أمام الآخرين نحو المسيح وليس نحو نفسه. فهل نريد نحن أيضاً أن ننير ونضيء؟ أن الأمر يتطلب البذل والتضحية – يتطلب أن نكون مستعدين أن نكون كالسراج الموقد—أي المستعد

أن ينفق لأجل المسيح فنكون بلا لوم وبسطاء أولاد الله بلا عيب في وسط جيل معوج
وملتونضىء بينهم كأنوار في العالم " (في ٢ : ١٥). قال الحكيم بأن " أَمَّا سَبِيلُ الصِّدِّيقِينَ
فَكَثُورٌ مُشْرِقٌ يَتَزَايِدُ وَيُنِيرُ إِلَى النَّهَارِ الْكَامِلِ " (ام ٤ : ١٨).

* * * * *

(٩) " لَأَنَّ ثَمَرَ الرُّوحِ هُوَ فِي كُلِّ صَلَاحٍ وَبِرٍّ وَحَقٍّ "

يضع الرسول أمامنا ثلاثة أشياء هي الثمر الحقيقي للروح أو بالحرى للنور *

(*) فقد جاءت كلمة الروح في معظم الترجمات بمعنى النور " For the fruit of light " is ...

وهي الصلاح والبر والحق، ولا شك أن هذه الأشياء الثلاثة هي من عمل الروح القدس في
المؤمن، إلا أن المعنى الأصلي لهذه الكلمة هو " النور " أي أن هذه الأشياء هي من ثمر
النور فينا نحن الذين صرنا " نورا في الرب " وهذا يتفق مع قصد الوحي الإلهي هنا، بينما
في رسالة غلاطية (ص ٥) نجد أن الثمر هناك ليس ثمر النور بل " ثَمَرَ الرُّوحِ " لأن
المباينة هناك هي مع " أعمال الجسد " المعادية لله والمضرة للناس، " وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ
: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلَامٌ، طَوْلٌ أَنَاةٌ لُطْفٌ صَلَاحٌ، إِيْمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ. ضِدٌّ أَمْثَالٍ هَذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ
" (غلا ٥ : ٢٢ و ٣٢) بينما هنا في أف ٥ : ٩ ليست المباينة مع أعمال الجسد التي يدينها
الناموس بل مع الظلمة " لأنكم كنتم قبلاً ظلمة ".

ان ثمر النور هو في كل صلاح وبر وحق، فإن قصد الله من جهتنا هو أن تظهر فينا نحن
أولاده نفس صفاته الأدبية الجميلة، هذه المبادئ الإلهية السامية التي تتوافق مع الحياة
الجديدة التي أعطانا إياها في المسيح يسوع، فالطبيعة الجديدة التي منحنا إياها تحب
وترغب في كل صلاح وبر وحق أو بالحرى في صلاحه وبره وحقه هو. كم هو جميل أن
نتمثل بإلهنا في صلاحه من نحونا فنكون لطفاء شفوقين ومحسنين فنعمل الخير للجميع...
للذين يحبوننا والذين لا يحبوننا أيضاً. هذه هي النعمة التي يجب أن يتميز بها كل أولاد
النور. وكم هو جميل أيضاً أن نظهر ثمر النور في عمل البر. هذه الصفة هي من مميزات
الإنسان الجديد " وَتَلَبَّسُوا الْإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللَّهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ " (٤ :
٢٤). يجب أن تكون أقوالنا وأفكارنا وأعمالنا بحسب البر والاستقامة. هذا ما يميزنا كأولاد
نور عن أبناء الظلمة الذين تسيطر عليهم الأنانية ومحبة الذات. كما أن من مميزات أولاد
الله – أولاد النور السلوك بحسب الحق. أن كان تعاملنا مع الآخرين يجب أن يكون في كل
صلاح وبر، فانه يجب أن تكون حياتنا الشخصية بحسب الحق، لأن الرب يسر " بِالْحَقِّ

فِي الْبَاطِنِ " (مز ٥١ : ٦) فلا يكون للرياء أو التظاهر مكان في حياتنا المسيحية كأولاد نور. أن النور الإلهي لا يمكن أن يسمح لأي شر أو شبه شر بأن يوجد في حياتنا.

* * * * *

(١٠) " مُخْتَبِرِينَ مَا هُوَ مَرْضِيٌّ عِنْدَ الرَّبِّ "

كلمة " مختبرين " هنا هي بمعنى " ممتحنين " أو " فاحصين " لمعرفة ما هو مرضي عند الرب. أي أن واجبنا هو أن ندرك ونتيقن ما هي مشيئة الرب وارادته في كل شيء. هذا ما يجب أن يبتغيه كل أولاد النور، فلا يليق أن تكون لغة المسيحي الحقيقي " أنا أظن أو أعتقد أن هذا التصرف حسن " أو " اني لست أرى أي ضرر في عمل هذا أو ذاك " وبالتالي لا يليق بالمؤمن أن يعمل بحسب ارادته الذاتية، بل يجب أن يكون لسان حاله " اني بنعمة الله تابع للمسيح، والروح القدس ساكن في، فهل هذا العمل هو ما يريده المسيح ويرضى به؟ وهل عملي هذا يؤول لمجد ربي وسيدى المبارك؟ إذا قلت هذا القول أو عملت هذا العمل أو ذهبت إلى ذلك المكان، هل أكون بذلك مكرما ومعظما لمخلصي؟ " اننا بهذه الكيفية وحدها نستطيع أن نختبر ما هو مرضي عند الرب.

* * * * *

(١١) " وَلَا تَشْتَرِكُوا فِي أَعْمَالِ الظُّلْمَةِ غَيْرِ الْمُثْمِرَةِ بَلْ بِالْحَرِيِّ وَبِخَوْهَا "

ليس في استطاعة المسيحي الحقيقي أن تكون له شركة مع أبناء المعصية العائشين في الظلمة (٦٤ و ٧) دون أن يتنجس بأعمالهم الدنسة وأفعالهم الشريرة. لذا نجد في رسائل الرسول بولس تحذيرات كثيرة من مخالطة ومعاشرة غير المؤمنين " كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ فِي الرِّسَالَةِ أَنْ لَا تَخَالِطُوا الزُّنَاةَ " (١ كو ٥ : ٩) " لَا تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّهُ أَيْةُ خِلْطَةٍ لِلنَّيْرِ وَالْإِثْمِ؟ وَأَيْةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟ وَأَيُّ اتِّفَاقٍ لِلْمَسِيحِ مَعَ بَلِيعَالٍ؟ وَأَيُّ نَصِيبٍ لِلْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ؟ " (٢ كو ٦ : ١٤ و ١٥) فلا يليق بالمؤمن الحقيقي أن يكون له شركة مع غير المؤمنين ولا أن يكون تحت نير معهم في أية ناحية من نواحي الحياة، سواء في الزواج أو الأعمال الزمنية أو في المنظمات أو الأندية العالمية أو في الجمعيات السرية ولا حتى في الأنظمة الدينية المخالفة لكلمة الله، لأن " وَهَذَا هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْهُ وَنُخْبِرُكُمْ بِهِ : أَنَّ اللَّهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ. أَنْ قُلْنَا أَنْ لَنَا شَرِكَةً مَعَهُ وَسَلَكْنَا فِي الظُّلْمَةِ، نَكْذِبُ وَلَسْنَا نَعْمَلُ الْحَقَّ " (١ يو ١ : ٦ و ٥). أن واجبنا هو أن لا نشترك في أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحري نوبخها بحياتنا العملية والتقوية وبأقوالنا النقية، فلا يليق بنا أن نهادن الشر أو أن نتعامل مع الخطية باستخفاف وعدم مبالاة. لقد كانت حياة ربنا يسوع على الأرض نورا ساطعا وموبخا لأعمال وأفكار البشر المظلمة. ومن واجبنا أن نتمثل به

في ذلك أيضاً، أي يجب أن يكون سلوكنا في النور فيكون موبخاً لأعمال الظلمة غير المثمرة.

* * * * *

(١٢) "لأنّ الأمور الحادثة مِنْهُمْ سِرّاً ذَكَرُهَا أَيْضاً قَبِيحٌ "

المؤمن الواعي والممتليء قلبه وعقله بالمسيح وبطهارته لا يفكر إلا في كل ما هو جليل وطاهر، فلا ينشغل بنجاسات الاشرار الدنسين ولا يفكر فيها وبالتالي لا يدنس لسانه بذكر الأمور القبيحة الحادثة سرا من أبناء المعصية العائشين في ظلمة الخطية.

* * * * *

(١٣) " وَلَكِنَّ الْكُلَّ إِذَا تَوَبَّخَ يُظْهَرُ بِالنُّورِ. لِأَنَّ كُلَّ مَا أُظْهَرَ فَهُوَ نُورٌ "

ليس المقصود بقوله قبلاً " وَلَا تَشْتَرِكُوا فِي أَعْمَالِ الظُّلْمَةِ غَيْرِ الْمُثْمَرَةِ بَلْ بِالْحَرِيِّ وَبِخَوْهَا " (١١ع) أن نبحث عن خطايا الآخرين ونشهر بها، بل المقصود هو أن النور من شأنه أن يظهر كل شيء من أعمال الظلمة ويوبخه، أو بعبارة أوضح، انه إذا كانت حياتنا العملية نقية ومقدسة ومكرسة للمسيح وكنا متمثلين به في كل شيء، فإن الحياة هكذا تظهر رداءة الشر المحيط بنا وتوبخه، فليس هناك شيء يكشف حقيقة الشر ويوبخه سوى النور " لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ يُبْغِضُ النُّورَ وَلَا يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلَّا تُتَوَبَّخَ أَعْمَالُهُ. وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ فَيَقْبَلُ إِلَى النُّورِ لِكَيْ تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللَّهِ مَعْمُولَةٌ " (يو ٣ : ٢٠ و ٢١).

* * * * *

" لِأَنَّ كُلَّ مَا أُظْهَرَ فَهُوَ نُورٌ " أي أن كل شيء يسלט عليه النور فيظهره لا يبقى بعد ذلك مظلماً بل يصير ظاهراً و واضحاً إذ أن النور يظهر على حقيقته.

لما كان الرب يسوع هنا في هذا العالم و وبخ الفريسيين على ريائهم، لم تكن شرورهم قبل ذلك ظاهرة على حقيقتها أمام التلاميذ وغيرهم من اليهود ولكن عندما سلط المسيح نور الحق على شرورهم ظهرت على حقيقتها – ظهرت رداً)تها بصورة جلية.

* * * * *

على أن عبارة " لِأَنَّ كُلَّ مَا أُظْهَرَ فَهُوَ نُورٌ " وردت في بعض الترجمات بمعنى " لِأَنَّ كُلَّ مَا أُظْهَرَ فَهُوَ نُورٌ " (١) أعنى أن النور هو الذي يظهر الأشياء على حقيقتها،

" (1) For that which makes everything manifest is light "

وبدون النور لا يمكن رؤية الأمور كما هي. لقد صيرنا الله بنعمته "نورا في الرب" فواجبنا أن نكون دائماً "بلا لوم، وبسطاء، أولاداً لله بلا عيب في وسط جيلٍ معوج ومُلتو، تُضيئون بينهم كأَنوارٍ في العَالَم" (في ٢ : ١٥) وبذا نكون سبب هداية وبركة للعائشين في الظلمة وظلال الموت.

* * * * *

(١٤) "لِذَلِكَ يَقُولُ : «اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ وَقُمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ فَيُضِيءَ لَكَ الْمَسِيحُ»"

يوجه الروح القدس هذه الكلمات، لا لغير المؤمنين، بل للمؤمنين الحقيقيين – إلى الذين انتقلوا من الموت إلى الحياة، أي أنهم ليسوا أمواتاً روحياً بل أحياء في المسيح ومعه، ولكنهم، ويا للأسف، ليسوا متمتعين بهجة الحياة الجديدة وأفراحها. انهم مخلصون بالنعمة ولكنهم فقدوا بهجة الخلاص. لقد استسلموا للنوم والرخاوة. لقد فقدوا نشاطهم الروحي وتركوا محبتهم الأولى. لقد ناموا وسط قبور الأموات روحياً، وكأنه لم يبق هناك فرق بينهم وبين الأموات بالذنوب والخطايا. أليست هذه صورة حقيقية لكثيرين من أولاد الله؟ انك تكاد لا تميز بينهم وبين غير المؤمنين. لذا يحث الرسول كل متغافل متهاون أن يقوم من غفلته الروحية وأن يستيقظ من نومه.

* * * * *

إن عبارة "لِذَلِكَ يَقُولُ اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ" لا نجد لها كما هي في أي سفر من أسفار العهد القديم، والأرجح، أن الرسول اقتبس العبارة الواردة في سفر اشعيا (ص ٦٠ : ١) بمعناها وليس حرفياً وهي "قَوْمِي اسْتَنْبِرِي لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ ثُورُكِ وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكَ" فانه بسبب الشرور التي كانت منتشرة في أيام النبي اشعيا، قد وجه الدعوة إلى شعب الرب وخاصته بأن يستيقظوا فيضيء عليهم مجد الرب ونوره في وسط الظلمة الدامسة المحيطة بهم. وهذه هي دعوة الرب لخاصته في تدبير النعمة الحاضر. إذ لا يليق بأن يكون الأحياء بين الأموات. إننا لا نقرأ عن أي واحد كان مقيماً بين القبور سوى مجنون كورة الجدرين. ليحفظنا الرب من هذه الحالة المزرية.

ما أعجب محبة الرب ونعمته! فإنه يريد أن شعبه يتمتع بنور وضياء وجهه، لذا يوجه الدعوة لكل واحد منا بمفرده قائلاً "«اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ وَقُمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ فَيُضِيءَ لَكَ الْمَسِيحُ»" لأن النائم لا يستطيع أن يرى نورا أو ضياء، وبالتالي هل يستطيع المؤمن النائم روحياً أن يتمتع بنور محيا ربنا يسوع المسيح وبضياء وجهه الجميل؟ ليتنا نوجد في حالة الصحو الروحي والشركة المستمرة مع ربنا المبارك فنتمتع بنور طلعه إلى أن يأتي وعندئذٍ "نراه كما هو"

* * * * *

(١٦و١٥) " فَأَنْظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّدْقِيقِ، لَا كَجُهَلَاءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ، مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ لِأَنَّ الْأَيَّامَ شَرِيرَةٌ "

ثالثاً السلوك بالتدقيق. فقد بدأ هذا الاصحاح بالحث على السلوك في المحبة (٢٤) ثم على السلوك في النور " اسْلُكُوا كَأَوْلَادِ نُورٍ " (٨٤) أما هنا فإن الروح القدس يحثنا على السلوك بالتدقيق. ولنلاحظ أن هذه هي المرة السابعة والأخيرة التي فيها يشار إلى السلوك في هذه الرسالة — هذه الرسالة التي يرسم فيها الروح القدس مقامنا السماوي باعتبارنا جسد المسيح الرأس المقام من بين الأموات والممجد عن يمين الاب، وكيف اننا بوركنا فيه (أي في المسيح) بكل بركة روحية في السماويات لذا ينبز الروح القدس في هذه الرسالة على السلوك العملي أكثر مما في أية رسالة أخرى، لأنه بقدر ما قد سما مقامنا، بهذا القدر عينه تعظم مسئوليتنا للسلوك كما يحق لهذا المقام.

* * * * *

ان سلوك المؤمن بالتدقيق معناه السلوك بمنتهي الحرص واليقظة الروحية في كل لحظة وذلك بالاعتماد على الرب والاستناد على نعمته ومعونته. مكتوب عن العالم الذي نعيش فيه بأنه " الْعَالَمُ الْحَاضِرُ الشَّرِير " (غل ١ : ٤) ومكتوب أيضاً " الْعَالَمُ كُلُّهُ قَدْ وُضِعَ فِي الشَّرِير " (١يو ٥ : ١٩) والشيطان هو " رئيس هذا العالم " لذا نحتاج إلى السهر والحذر فإن ابليس عدو المسيح وعدونا نحن أيضاً ينصب في طريقنا فخاخاً وشبكاتاً متنوعة ويحفر حفراً من كل جانب ليسقطنا فيها، لذا يجب أن نكون في حالة الوعي الروحي " لا كجُهلاء بَلْ كَحُكَمَاءَ " فنعرف كيف نخطوكل خطوة — نعرف كيف نرفع قدماً وأين نضعها، ولنا النظر الثاقب والبصيرة النيرة لنعرف أين سنخطو الخطوة التالية. أن الحكيم يعرف كيف يخطوكل خطوة بحسب إرادة الله — يعرف ما هو الكلام الذي يتكلم به والعمل الذي يجب أن يعمل، يعرف من هم الاصدقاء الذين يجب أن يسير معهم ويستفيد من معاشرتهم. الحكيم هو الذي يهدف إلى أن يكون سلوكه لمجد الرب يسوع، أما الجاهل فهو الذي يسير في هذا العالم بدون تقدير لعواقب الأمور ولا يبالي بالنتائج الوخيمة للسلوك (الطا)ش — سلوك الجهالة.

فأحذر أيها الأخ المسيحي من أن تجارى غير المؤمنين في تصرفاتهم بحجة أنهم الأكثرية. كن مدققاً في سلوكك فلا تفعل شيئاً مهيناً لاسم سيدك ومعطلاً لحياتك الروحية لأن الآخرين يفعلون ذلك الشيء. كن حكيماً " لَتَنْظُرْ عَيْنَاكَ إِلَى قَدَامِكَ وَأَجْفَانُكَ إِلَى أَمَامِكَ مُسْتَقِيمًا. مَهْذُ سَبِيلِ رِجْلِكَ فَتَنْبُتَ كُلُّ طَرَفِكَ. لَا تَمَلْ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً. بَاعِذْ رِجْلَكَ عَنِ الشَّرِّ " (ام ٤ : ٢٥-٢٧).

* * * * *

(١٧) " مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَا تَكُونُوا أَغْيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ "

جدير بالملاحظة أن الوسيلة الوحيدة التي بها نستطيع أن نكون كحكماء وليس كجهلاء هي فهم مشيئة الرب. واننا نشكره لأنه قد أو دع لنا كل مشيئته في كلمته الحية – تلك الهبة الإلهية التي منحنا إياها " الكتاب المقدس " فاننا بدون كلمة الرب لا نستطيع أن نفهم ما هي إرادة الرب. أن الكتاب المقدس قد تضمن كل ما قصد الله أن يعلمنا إياه، ولا نستطيع أن نفهم ما هي مشيئة الرب من أي مصدر آخر سوى كلمته. فكلمته هي دستور الحياة المسيحية، والروح القدس الساكن فينا يمنحنا القوة للسلوك بحسب الكلمة الإلهية. انه من المخجل حقاً أن نجد كثيرين من المؤمنين يهملون دراسة كلمة الله التي هي الغذاء الحقيقي للحياة الروحية. لذا نناشد كل مسيحي بأن يدرس كلمة الله يوميا – يدرسها بترتيب وبروح الصلاة فيجد فيها الغذاء لحياته الروحية. أنه " اللبن العلى العديم الغش " كما أنه الخبز المشبع للنفس، لأنه " لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ " (مت ٤ : ٤) وبها يستطيع المؤمن أن يعرف مشيئة الرب في كل أمر وفي كل ناحية من نواحي حياته. فمنها نستمد الحكمة التي نحتاج إليها. إنها سراج لأرجلنا ونور لسبيلنا. لقد قال الرب يسوع " فتشوا الكتب " هذه هي وصية لجميعنا ومن واجبنا أن نطيع أمره وذلك لخيرنا وبركتنا، وإلا فاننا نكون مخطئين و واجبنا في هذه الحالة أن نبادر اليه ونعترف له بهذه الخطية ونعقد النية بعزم ثابت، واثقين في معونته، على درس كلمته الصادقة التي منها نستمد المعرفة الحقيقية.

* * * * *

(١٨) " وَلَا تَسْكُرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلَاعَةُ، بَلْ امْتَلُوا بِالرُّوحِ "

يضع الرسول أمامنا هنا أمرين متباينين، الواحد يختلف عن الآخر إختلافا بينا، وهما " السكر بالخمير " و " الامتلاء بالروح " ولم يعمل الرسول هذه المباشرة؟ السبب هو أن الإنسان الذي يسكر بالخمير يصبح شخصية أخرى غير شخصيته الحقيقية، فإنه يتفوه بأقوال ويعمل أشياء لا يمكن أن يتفوه بها أو يعملها في حالته الطبيعية، ذلك

لأن روح المسكر هي التي تهيم عليه، وهذا ما لا يليق بالمؤمن الحقيقي " لا تكونوا أغبياء... ولا تسكروا بالخمير " بل بالحري يجب أن يهيمن روح القدس على كل كيانه، وبذا يستطيع أن يتكلم بأقوال روحية ويعمل أعمالا مقدسة لا يستطيع أن ينطق بها أو يعملها بقوته الذاتية.

جَسَدٍ وَاحِدٍ " (١كو ١٢ : ١٣) ثم يجب أن نراعي أيضاً أن الامتلاء بالروح القدس ليس معناه القيام بأعمال معجزية أو التكلم باللسنة أخرى ولا القيام بحركات إنفعالية " لَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ الْفُتُلِ، بَلْ رُوحَ الْقُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ " (٢تي ١ : ٧) أن خدمة الروح القدس الرئيسية هي أن يأخذ مما للمسيح ويخبرنا. إنه يقودنا للتفرس في جماله وكمالات وسجايا ربنا يسوع المسيح وبذا يجتنب قلوبنا وعواطفنا إليه، فنحبه ونتعلق به أكثر ونحيا الحياة المكرسة له، وبقدر ما نزداد تفرسا فيه بهذا القدر عينه نتغير إلى صورته (٢كو ٣ : ١٨).

(١٩) " مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِي رُوحِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ وَمُرْتَلِّينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ "

ما أجمل ثمار الامتلاء بالروح القدس! فالمؤمنون الممتلئون بالروح لا يلذ لهم حديث به يكلمون بعضهم بعضاً إلا عن الرب، وهو، له المجد، يسر بأن يصغي إلى خاصته الذين أحبههم وهم يكلمون بعضهم بعضاً عنه وعن محبته ونعمته " حِينَئِذٍ كُلُّكُمْ تُقَوُّوا الرَّبَّ كُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ وَالرَّبُّ أَصْغَى وَسَمِعَ وَكُتِبَ أَمَامَهُ سِفْرُ تَذْكَرَةِ الَّذِينَ اتَّقَوْا الرَّبَّ وَلِلْمُفَكِّرِينَ فِي اسْمِهِ " (ملا ٣ : ١٦). والمؤمنون الممتلئون بالروح القدس تفيض قلوبهم بالتسبيح والترنم للرب. لغتهم التي يتحدثون بها معا هي أغاني شجية وتسابيح روحية عذبة تهج السماء بل بالحري تكون مبهجة لقلب الرب ومنعشة لنفوسهم " أُغْنِي لِلرَّبِّ فِي حَيَاتِي. أَرْنِمْ لِإِلَهِي مَا دُمْتُ مَوْجُوداً فَيَلِدْ لَهُ نَشِيدِي وَأَنَا أَفْرَحُ بِالرَّبِّ " (مز ١٠٤ : ٣٣ و٣٤).

" وَتَسَابِيحَ " أي ترانيم تعبدية موجهة إلى الله مباشرة أن موضوعها ليس هو ظروفنا أو إحتياجاتنا بل الله إلهاً وابونا في جلاله وأمجاده ونعمته والرب يسوع المسيح في كل كمالاته ومحبته الفائقة المعرفة وعمله الفدائي. أنها ترانيم السجود والتعبد والتعظيم لله الاب وللرب يسوع المسيح.

" وَأَغَانِي رُوحِيَّةٍ " أعني ليست أغاني عالمية، والأغاني الروحية تتضمن نواحي متعددة كالحث على حياة القداسة العملية والتكريس للرب، والتشجيع على الثقة فيه والاعتماد عليه في كل ظروف الحياة المتنوعة، وكذلك الحث على الصلاة ودرس كلمة الله وبالجمله التحريض على النهوض بالحياة الروحية. كما يمكن أن تتضمن الأغاني الروحية دعوة الخطة إلى التوبة وإلى الإيمان بالرب يسوع المسيح.

* * * * *

" مُتَرَنِّمِينَ وَمُرْتَلِّينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ " ان الرب يسر " بالحق في الباطن " فليست كل العبرة بالصوت المسموع أو الصوت الجميل، وان كان واجبا أن يكون الترنيمة بصوت

مسموع بقدر الإمكان، إلا أن المهم هو أن يكون الترنيمة نابعا من القلب الممتلىء بالروح القدس، وغايته وغرضه هو الرب نفسه " مُرْتَلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ ".

وبعد قليل سيكون للرب يسوع، له المجد، موضوع " الترنيمة الجديدة " في السماء، ولكن عمل الروح القدس فينا، ونحن هنا في هذا العالم، هو أن يملأ قلوبنا بالتسبيح والترنم لسيدنا ونحن على الأرض قبل أن نصل إلى السماء " اعْبُدُوا الرَّبَّ بِفَرَحٍ. ادْخُلُوا إِلَى حَضْرَتِهِ بِتَرْنِيمٍ.... ادْخُلُوا أَبْوَابَهُ بِحَمْدٍ دِيَارَهُ بِالتَّسْبِيحِ. اَحْمَدُوهُ بَارِكُوا اسْمَهُ " (مز ١٠٠) " طُوبَى لِلشَّعْبِ الْعَارِفِينَ الْهُتَافَ. يَا رَبُّ بِنُورِ وَجْهِكَ يَسْلُكُونَ. بِاسْمِكَ يَبْتَهِجُونَ الْيَوْمَ كُلَّهُ وَبِعَدْلِكَ يَرْتَفِعُونَ " (مز ٨٩ : ١٥ و ١٦).

* * * * *

(٢٠) " شَاكِرِينَ كُلَّ حِينٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي اسمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِلَّهِ وَالْأَبِ "

المؤمن الممتلىء بالروح القدس هو مؤمن شاكر في كل حين وعلى كل شيء، فإن الشكر هو من مميزات الحياة الروحية والعيشة في التقوى والقداسة العملية. أن مشيئة الله من جهة جميع المؤمنين هي أن يكونوا شاكرين كل حين وفي كل الظروف " اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مِنْ جِهَتِكُمْ " (١ تس ٥ : ١٨) " لَا تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلَاةِ وَالِدُعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتَعْلَمَ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللَّهِ " (في ٤ : ٦) فإذا سلمنا أنفسنا لإرادة الله ولعمل الروح القدس فينا فاننا نمتلىء يقينا بأن " كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ " (رو ٨ : ٢٨) لنفحص أنفسنا أيها الأحباء. هل نحن نشكر الله على كل شيء؟ هل نشكره على الآلام والمشقات كما نشكره على الراحة؟ انه من السهل أن نشكره على بعض الأشياء، ولكن المخجل هو أننا نتذمر ونتململ في بعض الظروف التي نجتاز فيها والتي لا توافق ميولنا الطبيعية، مع أنه كان يجب أن نشكر الله عليها واثقين أن وراءها خيرا وبركة لنفوسنا حتى وإن كنا لا نعرف ما وراءها.

إذا لزم الأمر أن يجتاز مريض عملية جراحية فانه بلا شك يتألم من إجراءاتها له ولكنه يرضى بها عالما أن مبضع الجراح وان كان مؤلما إلا أنه سيريحه من آلام المرض وربما ينقذ حياته من الموت إذا كانت هذه إرادة الله. انه بكل يقين يشكر الجراح الذي أنقذه من الآلام. كذلك الأمر معنا فإن ابانا وإلهنا يسمح لنا باجتياز ظروف أليمة لينقينا من الشوا ب التي تعطل حياتنا الروحية. انه الكرام الذي ينقى الأغصان المثمرة لكي تأتي بثمر أكثر. انه ابونا المحب الذي يرى البداية من النهاية فيعمل كل شيء لخيرنا وبركتنا. فليحفظنا الرب من روح التذمر وعدم الشكر بل بالحري نكون شاكرين الله ابانا شكرا مقبولا لديه لأننا نقدمه له " في اسم ربنا يسوع المسيح "

* * * * *

(٢١) " خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي خَوْفِ اللَّهِ "

يتميز المسيحيون الممثلون بالروح القدس أيضاً بخضوعهم لبعضهم لبعض وهذا ما يجب أن يراعيه المؤمنون الذين يجتمعون معا باسم الرب يسوع، فانهم متى كانوا جميعاً خاضعين بعضهم لبعض في خوف الله فإن هذا يجنبهم كل نزاع وخلاف، كل أنانية وغيره مرة وحسد. أن خضوعنا لربنا يسوع سيدنا يقودنا إلى الخضوع بعضنا لبعض حاسبين الآخرين أفضل من أنفسنا. أن المؤمن الممتلئ بالروح هو مؤمن ممتلئ بالفرح (١٩٤) وهو مؤمن شاكر (٢٠٤) ثم هو مؤمن خاضع (٢١٤). هذا هو المحك الصحيح لمستوى الحياة الروحية.

* * * * *

العلاقات العائلية في البيوت المسيحية

(٢٢) " أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ "

يبدأ الروح القدس هنا بالكلام عن الروابط والعلاقات العائلية في البيوت المسيحية، والرب الذي يعنى بسلامة وبركة خاصته كأفراد تهمة سلامة وبركة المؤمنين كعائلات، فكما أنه يريد أن يكون له مكانه في قلوبنا فإنه يريد أن يكون له مكانه أيضاً في بيوتنا، وما أسعد البيت المسيحي الذي للرب مكانه اللائق به فيه! والوسيلة الوحيدة لضمان إلهاء في العائلة هي في الخضوع للرب ولكلمته.

أن تصغى لكلمة الله وتفتح قلبها لتسكن فيها كلمة المسيح في هذا الأمر كما في كل أمر آخر.

قد تكون زوجة ما أكثر فطنة وفهما من زوجها، ولكنها تستطيع بخضوعها له – الخضوع المقترن بالفطنة الموهوبة لها من الله – أن تكون بركة له، لا بل يجب على الزوجة أن تخضع لزوجها حتى ولو كان غير مؤمن حقيقي فإنها تستطيع بسيرتها الطاهرة أن تربحه للمسيح (١بط ٣ : ٢١). على أن هذا ليس معناه أن يتزوج المؤمن بغير المؤمنة ولا المؤمنة بغير المؤمن بل " تَتَزَوَّجُ بِمَنْ تُرِيدُ فِي الرَّبِّ فَقَطْ " (١كو ٧ : ٣٩) " لَا تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ " (٢كو ٦ : ١٤و ١٥).

لقد تكلم الله إلى حواء قائلاً " وَإِلَى رَجُلِكَ يَكُونُ اسْتِيقَاؤُكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ " (تك ٣ : ١٦) ذلك لأنها كانت قد تخطت الحدود الموضوعة لها من الله عندما استسلمت لغواية الشيطان وبذا برهنت على ضعفها وعلى أن مكانها اللائق بها هو الخضوع، وهذا ما أشار إليه

الرسول بولس ضمنا في قوله " لِتَتَعَلَّمِ الْمَرْأَةُ بِسُكُوتٍ فِي كُلِّ خُضُوعٍ. وَلَكِنْ لَسْتُ اذِنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلِّمَ وَلَا تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونِ فِي سُكُوتٍ، لِأَنَّ آدَمَ جُيِّلَ أَوَّلًا ثُمَّ حَوَاءُ، وَآدَمُ لَمْ يُغْوَلِكَنَّ الْمَرْأَةُ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّيِّ " (١ تي ٢ : ١١-١٤) لذا يشدد الرسول بولس على لزوم خضوع المرأة لأن آدم أكل من الشجرة بمحض إرادته أما حواء فإنها أغويت وهذا يدل على أن المرأة أكثر من الرجل تعرضا لأن تنقاد بعواطفها أكثر مما بتفكيرها.

على أن للنساء التقنيات مركزهن المبارك بين شعب الرب ولا سيما في البيوت التي فيها تمارس الصلاة العائلية وفيها تقرأ كلمة الله وتطاع طاعة قلبية.

ان خضوع المرأة لرجلها ليس هو عبودية أو مذلة وانما هو خضوع المحبة القلبية، وانه مما يزين الزوجة المسيحية ويجملها هو خضوعها لرجلها " كما للرب " أعنى أن خضوعها لزوجها هو خضوع للرب نفسه وهذا واضح من قول الرسول

نفسه في رسالته إلى أهل كولوسى " أَيَّتُهَا النِّسَاءُ، اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا يَلِيقُ فِي الرَّبِّ "

(ص ٣ : ١٨) وهذا يرينا أيضاً أن خضوع المرأة لرجلها يجب أن لا يتعدى الطاعة للرب ولكلمته لانه ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس. عندئذ يكون خضوع المرأة لرجلها هو جزء من خضوعها للرب نفسه.

* * * * *

(٢٣ و ٢٤) " لِأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً رَأْسُ الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مُخَلِّصُ الْجَسَدِ. وَلَكِنْ كَمَا تَخْضَعُ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ، كَذَلِكَ النِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ "

يذكر الرسول هنا السبب الذي لأجله يجب على المرأة أن تخضع لرجلها، فكما أن ربنا يسوع المسيح هو رأس الكنيسة الذي يهتم بسلامتها وبركتها مدة وجودها في هذا العالم، كذلك الزوج المسيحي، فانه رأس المرأة وقد أعطى له هذا المركز لا ليسيطر عليها ويعاملها بعنف أو قسوة بل بالحري ليعتنى بها ويهتم بسلامتها وإسعادها. إلا أنه واضح من الناحية الأخرى أن واجب المرأة هو الخضوع لرجلها في كل شيء كما تخضع الكنيسة للمسيح.

* * * * *

كم هو جميل ومبهج حقاً أن الروح القدس، في سياق الكلام عن الواجبات المتبادلة بين الزوج وزوجته، يتحدث بإفاضة وبأسلوب سماوي بديع عن العلاقة الاسمي التي بين المسيح الرأس والكنيسة التي هي جسده، وإنه لمما يشرف العلاقة المقدسة بين الزوج

وزوجته أو بالحرى الزواج المسيحي هو أنه صورة للعلاقة المجيدة التي بين المسيح وكنيسته.

لقد رأينا في الاصحاح الأول هذه العلاقة مرسومة في صورة " جسد " والمسيح المقام من بين الأموات والممجد عن يمين الاب في السماويات هو رأس هذا الجسد وأن المؤمنين الحقيقيين هم أعضاء هذا الجسد. وكذلك رأينا في الاصحاح الثاني هذه العلاقة مرسومة في صورة " بناء " والمسيح هو " حجر الزاوية " وأن المؤمنين مبنون معا مسكنا لله في الروح، أما في هذا الفصل (ص ٥) فاننا نرى هذه العلاقة المقدسة مرسومة في الصلة الكائنة بين الرجل وزوجته. أن الرب يسوع هو العريس السماوي والكنيسة هي عروسه التي أحبها وأسلم نفسه لأجلها. وسيجيء الوقت وهو قريب، عندما تزف العروس امرأة الخروف لعريسها المبارك (رؤ ١٩ : ٧-٩، ٢٢ : ١٧).

* * * * *

(٢٥) " أَيُّهَا الرَّجَالُ، أَحْبُوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأجلها "

أن كان واجب الزوجة هو أن تخضع لزوجها كما تخضع الكنيسة للمسيح، فإن واجب الزوج هو أن يحب زوجته كمحبة المسيح للكنيسة.

والروح القدس، في هذا الفصل، يقدم المسيح نفسه للزوج كما للزوجة أيضاً مبينا أن مقياس خضوع المرأة لرجلها هو خضوع الكنيسة للمسيح، وأن مقياس محبة الرجل لامراته هو محبة المسيح للكنيسة.

لقد أحب المسيح الكنيسة بمحبة لم يستطع الموت أن يعطلها بل بالحرى أظهر قوتها – أحبها وأسلم نفسه لأجلها. عندما يظهر الزوج لزوجته محبة كهذه فإن الزوجة تجد سرورها في خضوعها له. أن المسيحي الحقيقي الذي يظهر المسيح سيده في حياته يسر بإظهار المحبة الباذلة والمضحية لأجل زوجته وبذا يستأسر قلبها وعواطفها فتجد هي من جانبها أن سرورها في أرضائه والخضوع له. وهل هناك أجمل واسعد من بيت كهذا؟

هل ينتظر الزوج الطاعة القلبية من زوجته إذا كان قاسيا عليها؟ " أَيُّهَا الرَّجَالُ، اجْبُوا نِسَاءَكُمْ، وَلَا تَكُونُوا قَسَاةً عَلَيْهِنَّ " (كو ٣ : ١٩) وهل تستطيع القسوة أن تقود الزوجة إلى الطاعة؟ أن المحبة وحدها هي التي تؤثر في قلب الزوجة وتقودها إلى الطاعة الحقيقية.

* * * * *

"أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأجلها"

ياله من مثال مقدس يضعه الروح القدس أمام الأزواج! مثال سماوي مبارك، فبقدر ما أحب المسيح الكنيسة واسلم نفسه لأجلها هكذا يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم.

لقد كان المسيح كل شيء في حياة الرسول بولس، وفي خدمته، فانه عند الكلام عن واجب الرجال من نحو نسائهم لم يستطع إلا أن يضع أمامهم الشخص المبارك الذي سبى قلبه وامتلأ كل كيانه – الرب يسوع المسيح عريس الكنيسة ورأسها الممجد الذي أحبها ووضع حياته لأجلها. أن كانت محبة الرجل لامرأته تسبى قلبها وعواطفها فتقابل محبته بالخضوع الحبي له، فكم بالاحري يجب أن تكون محبتنا وخضوعنا لرأسنا وعريسنا المبارك محبة كاملة وخضوعاً قلبياً تاماً!

" وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِهَا " إنه لم يعط مما عنده للكنيسة بل أعطي نفسه، ولم يتألم لأجلها فقط بل بذل نفسه – بذل حياته لأجلها. ما أعجب محبتك أيها الرب يسوع! فلأجلنا بذلت حياتك لتحيينا نحن الأموات. أسلمت نفسك لتكون لنا حياة وليكون لنا أفضل. لاسمك المعبود كل سجود وحمد واكرام.

كلها قد محيت إلى الأبد. الفداء قد كمل والشيطان قد هزم، والغضب والدينونة قد انتهيا، والفرائض التي كانت ضداً لأولئك الذين كانوا تحتها قد سمرت في الصليب، والعداوة قد أزيلت إلى الأبد، وبالتالي تكون " الإنسان الجديد " والاساس الإلهي لكل ذلك بل ولأكثر من ذلك قد وضع بواسطة تسليم المسيح نفسه لأجلنا. لقد افتدينا بدم المسيح الكريم، ولكن هذا الفداء مؤسس على قيمة شخصه الكريم، ففيه أي في شخصه صار لنا هذا الفداء بدمه كما هو مكتوب " الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعَمَتِهِ " (ص ١ : ٧). إنه من الأهمية بمكان أن نعرف أن قيمة الفداء مرتبطة بقيمة وسمو شخصه الكريم، فإن ما يجعل لعمله المبارك قيمته الفائقة الإدراك إنما هو شخصه الجليل. أن ما يملأ نفوسنا حبا له وتعلقاً به وتكريساً وخدمة له هو أن لا نذكر فقط العمل الذي عمل بل بالاحري الشخص نفسه الذي عمله.

(٢٦) " لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّراً إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ "

عجيبة حقاً هي محبة المسيح للكنيسة! انها محبة أزلية! وما أجد ما عملته محبته هذه، فإنها قادتته إلى بذل نفسه لأجلها. هذا العمل المبارك قد أكمل فوق صليب الجلجلة. إنه عمل كمل قد تم مرة واحدة ولن يتكرر " لِأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الْأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ " (عب ١٠ : ١٤) إلا أن محبته هذه لم تقف عند حد ما عمله في الماضي، بل كان بذلك نفسه لأجلها " لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة " انه بموته (في الماضي) قد خلصها، وبكلمته (في الحاضر) يقدسها ويطهرها، وبمجيئه الثاني (في المستقبل) يمجدها.

* * * * *

" لِكَيْ يُقَدَّسَ هَا " وهنا يجب أن نراعى أن هناك وجهين للقداسة، فعلى أساس عمله فوق الصليب أصبحنا قديسين وبلا لوم أمام الله، وهذا مركز كامل وثابت وابدئي. إلا انه تبارك اسمه، يعمل بروحه فينا باستمرار لكي تكون حياتنا العملية حياة القداسة، وبقدر ما نسمح للروح القدس أن يهيمن على حياتنا بهذا القدر ننمو في حياة القداسة. فلنحرص على أن تكون عيشتنا في القداسة باستمرار، وعلى أن ننمو فيها " مكملين القداسة في خوف الله "

* * * * *

" مُطَهَّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ " وهذا يرينا ما لكلمة الله من قيمة عظيمة وأهمية فائقة. إننا عند إيماننا بالرب يسوع المسيح قد حصلنا على غسل الميلاد الثاني (تي ٣ : ٥) وهذا ما قصده الرب بقوله لنيقوديموس " إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُوَلَّدُ مِنَ الْمَاءِ (أي الكلمة) وَالرُّوحِ (أي الروح القدس) لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ " (يو ٣ : ٥). هذا العمل يتم مرة واحدة ولن يتكرر وذلك عند قبول الرب يسوع المسيح مخلصاً وفادياً. إلا أننا نحتاج إلى تطهير مستمر بواسطة كلمة الله، لأن " الَّذِي قَدْ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَّا إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ " (يو ١٣ : ١٠).

ولا حاجة إلى القول بأن المقصود بغسل الماء " ليس هو ماء المعمودية، فإن الرسول أو ضح لنا معنى هذه العبارة بقوله " بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ " " نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ النَّفْسَ. شَهَادَاتُ الرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ الْجَاهِلَ حَكِيمًا.... أَيْضاً عَبْدُكَ يُحَدِّثُ بِهَا وَفِي حِفْظِهَا ثَوَابٌ عَظِيمٌ " (مز ١٩).

* * * * *

(٢٧) " لِكَيْ يُحْضَرَ هَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لَا دَنَسَ فِيهَا وَلَا غَضْنَ أَوْ شَيْءٍ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلَا عَيْبٍ "

يا لسمو عمل المسيح لأجل الكنيسة فقد أحبها وبذل حياته الغالية لأجلها – لقد تجرع لأجلها كأس الدينونة المروعة، ومع ذلك فلم يكن ذلك سوى وسيلة لتحقيق غاية إلهية وقصد أسمى. نعم أن بذل حياته لأجل الكنيسة، وكذا خدمته لها في الحاضر كالكاهن العظيم الذي يقدها ويظهرها بغسل الماء بالكلمة، هذه ليست سوى وسائل إلهية مباركة لإتمام المشورة الأزلية وهي أن يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب. هناك في المجد سيتمتع بوجود كنيسته معه، وهناك ستحظى الكنيسة " العروس امرأة الخروف " بكمال البركة الأبدية.

أنه سيحضرها لنفسه كنيسة مجيدة أي أنها ستشترك معه في مجده، وهذا ما قاله لآبيه في صلاته " وَأَنَا قَدْ أُعْطِيتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أُعْطِيتَنِي " (يو ١٧ : ٢٢ و٢٤).

وهذا ما رآه الرسول يوحنا في نفيه في جزيرة بطمس، فقد رأي " العروس امرأة الخروف... ولها مجد الله " (رؤ ٢١ : ٩ و١١). سوف لا تحتاج الكنيسة هناك إلى تطهير أو غسل بماء الكلمة لأنه سيحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها كما أنها ستخلص مما يعترئها هنا من وهن وضعف فلن يرى فيها " غضن " أي تجعد أو شيء من مثل ذلك بل سيرافها عريسها المبارك في نضارة وجمال كاملين، انها ستصل عندئذ إلى حالة القداسة الكاملة فتكون " مقدسة وبلا عيب " انه، تبارك اسمه، يريدنا أن نكون هنا في حالة القداسة في خوف الله عاملا فينا بروحه القدوس وبالكلمة إلى أن نصل إلى المجد وهناك سنرى أمامه وأمام كل الخليقة " بلا عيب "

* * * * *

(٢٨ و ٢٩) " كَذَلِكَ يَحِبُّ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ امْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ. فَإِنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أَحَدٌ جَسَدَهُ قَطُّ بَلْ يَقُوتهُ وَيُرَبِّيه، كَمَا الرَّبُّ أَيْضاً لِلْكَنِيسَةِ "

يضع الرسول أمامنا مقياسا إلهيا للمحبة التي يجب على الرجال أن يحبوا بها نساءهم، فكما أحب المسيح الكنيسة التي هي جسده وأسلم نفسه لأجلها وذلك لكي يسعدها ويشركها معه في مجده، كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. لقد أوضح الرب يسوع هذه الحقيقة بأسلوب بديع عندما قال للفريسيين " أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟ وَقَالَ : «مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونُ الْإِثْنَانُ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذَا أَلْبَسَا بَعْدَ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ " (مت ١٩ : ٤، ٦) فالزوج والزوجة هما " جَسَدًا وَاحِدًا " لذا يجب على الرجال أن يتعاملوا مع نساءهم بحسب هذا المبدأ السامي – أن يحبوا نساءهم كأجسادهم " فإن من يحب امرأته يحب نفسه " أما من يحتقرها ويهينها فإنه في الحقيقة يحتقر ويهين نفسه.

* * * * *

إنه أمر طبيعي أن كل إنسان يحب نفسه، ولا يوجد إنسان عاقل يبغض جسده أو يؤذيه بل بالحري يعتنى به " يقوته ويربيه " اذن يجب على الزوج المسيحي أن يعتنى بزوجه ويعمل كل ما فيه راحتها واسعادها لأنها جسده.

ويضع الروح القدس أمامنا هنا الرب يسوع كالمثال الكامل، فانه باستمرار يعتنى بالكنيسة " التي هي جسده " – يعتنى بها – يقوتها ويربها مستخدما وسائل نعمته لبركتها. وانه لأمر معز ومشجع أن نعلم أن الرب يسوع، الرأس الممجّد في السماء، هو الذي بنفسه

يغذى " يقوت ويربى " كل أعضاء جسده مدة وجودهم في هذا العالم. يالها من بركة وياله من ضمان إلهي!

* * * * *

(٣٠) " لَأَنَّا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ "

يبين الرسول هنا السبب الذي لأجله يعتنى المسيح بنا فيقوتنا ويربينا. ذلك " لَأَنَّا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ " فكما تكونت حواء من آدم كذلك الكنيسة من المسيح. فقد أخذ الرب ضلعا من جنب آدم وعمل منها حواء، حتى قال آدم عنها " هَذِهِ الْآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لِأَنَّهَا مِنْ امْرَأَةٍ أُخِذْتُ " (تك ٢ : ٢١-٢٣) كذلك نحن أيضاً قد صرنا قريبيين من المسيح " أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ " يا له من قرب عجيب واتحاد مبارك! لاسمه المعبود كل الحمد.

على أنه ليس المقصود بقوله هنا " مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ " أن المسيح صار جسدا مثلنا واشترك معنا في لحمنا وعظامنا، بل اننا صرنا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه أي أنه صارت لنا علاقة مع المسيح المقام من الأموات والمجد في السماء، واتحاد به، وليس المقصود علاقته هو بنا كإنسان على الأرض. انه لا يشار هنا إلى ربنا المبارك كمن اشترك معنا في اللحم والدم، مع أن هذا صحيح، ولكننا لا نتعلم هذا هنا في هذه الرسالة بل في الرسالة إلى العبرانيين (ص ٢). إننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه أي صرنا جزءا منه ومتحدين به الآن وهو المجد في حضرة الله وليس في صيرورته جسدا هنا على الأرض.

* * * * *

(٣١) " مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الْاِثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا "

يقتبس الرسول هنا نفس الكلمات التي كتبها موسى قديما بمناسبة احضار حواء لآدم " لِذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا " (تك ٢ : ٢٤) وقد اقتبس الرب يسوع، له المجد، هذه الأقوال عينها و وضع عليها ختم مصادقته إذ أضاف إليها قوله " إِذَا لَيْسَ بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. الَّذِي جَمَعَهُ اللَّهُ لَا يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ " (مر ١٠ : ٨ و ٩) وأي كلام يمكن أن يضاف إلى أقوال الرب هذه؟ لقد تكلم سيد المعلمين فلنحن أمامه الهامات خضوعا وطاعة، فانه أعاد للعلاقة الزوجية قدسيته وجمالها كما كانت قبل دخول الخطية إلى العالم " مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ " فالعلاقة المقدسة بين الرجل وامراته هي أقرب من أية علاقة أخرى. انها أقرب من العلاقة الكائنة بين الوالدين وأولادهم.

* * * * *

(٣٢) " هَذَا السِّرُّ عَظِيمٌ، وَلَكِنِّي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ "

تجىء كلمة " سر " في هذه الرسالة، ففي الاصحاح الأول يقول الرسول " إِذ عَرَفْنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ " (٩ع) وفي الاصحاح الثالث يقول " أَنَّهُ بِإِعْلَانِ عَرَفْنِي بِالسِّرِّ.... الَّذِي بِحَسَبِهِ حِينَمَا تَقْرَأُونَهُ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْهَمُوا دِرَائِي بِسِرِّ الْمَسِيحِ.... وَأُنِيرَ الْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرَكَةُ السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدَّهْرِ " (٩ع و٤و٣) وهنا يشير إلى سر " عظيم " ولا ريب في أن المقصود بالسر هنا ليس هو العلاقة الزوجية بل الاتحاد المقدس الكائن بين المسيح وكنيسته، وهذا واضح من قوله " وَلَكِنِّي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ " على أن العلاقة بين الزوج وزوجته هي بلا شك رباط مقدس قد عمله الله نفسه لان " الَّذِي جَمَعَهُ اللَّهُ لَا يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ " (مر ١٠ : ٩).

* * * * *

(٣٣) " أَمَا أَنْتُمْ الْأَفْرَادُ، فَلْيُحِبَّ كُلُّ وَاحِدٍ امْرَأَتَهُ هَكَذَا كَنَفْسِهِ، وَأَمَا الْمَرْأَةُ فَلْتَهَبْ رَجُلَهَا. "

يكرر الروح القدس هنا حث الرجل وامرأته على أن يراعى كل منهما واجبه من نحو الآخر، وذلك لأهمية هذا الأمر الذي عليه تتوقف السعادة العائلية، فعلى الرجل أن يحب امرأته كنفسه، وعلى المرأة أن تهلب رجُلها، واننا لنجد مثل هذا الحث في أماكن أخرى في كلمة الله، وذلك لان الله يريد أن يتمجد لا في حياتنا كأفراد فقط بل وفي بيوتنا أيضاً، فالرسول بطرس في رسالته الأولى (ص ٣) يعظ النساء بأن يكن خاضعات لرجالهن، والرجال بأن يكونوا " ساكنين بحسب الفطنة مع الإناء النسائي كالأضعف معطين إياهن كرامة كالوارثات أيضاً معكم نعمة الحياة لكي لا تعاق صلواتكم " ما أخطر هذه العبارة الأخيرة! فانه إذا لم يكن البيت المسيحي بحسب الترتيب الإلهي، ولم يراع كل من الزوج والزوجة مسئوليته من نحو الآخر، ولم تكن العلاقة بينهما كما يجب أن تكون، فإن صلواتهما تعاق فلا تصل إلى عرش الله، أما متى كان البيت المسيحي مزينا بالترتيب الإلهي الجميل فإن المذبح العائلي تتصاعد منه الصلوات. التشكرات والتسابيح كبخور عطر يشتمه الله الاب والرب يسوع المسيح. وبإلها من بركة عندما يجثو الزوج وزوجته وأولادهما معا (إذا كان الله قد اعطاهما أولاداً) للسجود والصلاة والترنيم ولدرس كلمة الله معا والتغذى بها. ليت هذه تكون حالة جميع بيوت المؤمنين " طُوبَى لِكُلِّ مَنْ يَتَّقِي الرَّبَّ وَيَسْلُكُ فِي طَرُقِهِ... طُوبَاكَ وَخَيْرٌ لَكَ. امْرَأَتُكَ مِثْلُ كَرَمَةٍ مُثْمِرَةٍ فِي جَوَانِبِ بَيْتِكَ. بَنُوكَ مِثْلُ غُرُوسِ الزَّيْتُونِ حَوْلَ مَائِدَتِكَ. ٤ هَكَذَا يُبَارِكُ الرَّجُلُ الْمُتَّقِي الرَّبَّ " (مز ١٢٨).

الأصحاح السادس

(١) " أَيْهَا الْأَوْلَادُ، أَطِيعُوا وَالِدَيْكُمْ فِي الرَّبِّ لِأَنَّ هَذَا حَقٌّ "

تعتبر التسعة الأعداد الأولى من هذا الاصحاح مرتبطة بالجزء الأخير من الاصحاح السابق (٥ : ٢٢-٣٣) ذلك لان الرسول هنا يستمر في الكلام عن الواجبات العائلية في بيوت المؤمنين لقد شرح الرسول بإفاضة في الأعداد السابقة الواجبات المتبادلة بين الزوج وزوجته، إذ أن البيت يبدأ دائماً بالزواج، ثم يأتي بعد ذلك دور الأولاد الذين هم ثمرة الزواج، لذا يحدثم الرسول عن الواجبات المتبادلة بينهم وبين والديهم، وهنا نرى أن موضوع الخضوع أو الطاعة لم ينته بعد، فإن كان واجب الأولاد هو الخضوع أو الطاعة لوالديهم. هذا ما يجب أن يتميز به الأولاد – البنون والبنات – الذين نشأوا في بيوت مسيحية. اننا نجد في رسالتي رومية و تيموثاوس الثانية قائمتين من الخطايا، الواحدة عن خطايا الأمم الوثنيين الذين لم يعرفوا الله الحى الحقيقي، ومن بين تلك الخطايا انهم " غير طاعة" (رو ١ : ٢٩-٣١) والثانية تصف خطايا الناس في الأزمنة الصعبة في هذه الأيام الأخيرة – أيام لأودكية، ومن بين هذه الخطايا انهم " غَيْرَ طاعة" عَيْنَ لَوَالِدَيْهِمْ " (٢ : ٣). هذه علامة من ضمن العلامات التي تصف الأيام الأخيرة. أن قلب الإنسان البعيد عن الله هو هو، فكما كانت حالته بين الوثنيين قديما لا زالت كما هي في هذه الأيام – أيام المسيحية الاسمية والمدنية الكاذبة. أما كلام الرسول هنا فانه موجه إلى الذين عرفوا الرب يسوع، وهذا واضح من قوله " أَطِيعُوا وَالِدَيْكُمْ فِي الرَّبِّ " إذ لا ننتظر الطاعة " في الرب " ممن ليست لهم معرفة بالرب أو علاقة به.

وهناك سببان يذكران في كلمة الله عن لزوم طاعة الأولاد لوالديهم : السبب الأول " لِأَنَّ هَذَا حَقٌّ " والسبب الثاني هو " هَذَا مَرْضِيٌّ فِي الرَّبِّ " (كو ٣ : ٢٠). لقد كان ربنا يسوع المسيح المثال الأعظم في ذلك، كما في كل شيء آخر، فقد كان مطيعا وخاضعا لأمه وليوسف رجلها كما هو مكتوب " ثُمَّ نَزَلَ مَعَهُمَا وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ وَكَانَ خَاضِعًا لَهُمَا " (لو ٢ : ٥١). ليت جميع الأولاد يتمثلون في ذلك بالرب يسوع عالمين أن " لِأَنَّ هَذَا حَقٌّ " فإن كانت الطاعة هي حق فإن عدم الطاعة هو شر.

* * * * *

(٣ و٢) " أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، الَّتِي هِيَ أَوَّلُ وَصِيَّةٍ بَوْعَدٍ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ خَيْرٌ، وَتَكُونُوا طَوَالَ الْأَعْمَارِ عَلَى الْأَرْضِ "

يوجه الرسول بولس إلتفات المؤمنين إلى هذه الحقيقة الهامة وهي أن طاعة الأولاد لوالديهم لها أهميتها وتقديرها عند الله، فقد أعطى الله قديما الناموس أعنى الوصايا العشر، وعندما نقرأها نجد أن الأربع الوصايا الأولى، مع ما لها من أهمية عظيمة، ليست مقترنة بأي وعد، ولكن الوصية الخامسة، وهي الخاصة بإكرام الأولاد لوالديهم " هي أول وصية بوعد " " أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِتَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الْأَرْضِ " (خر ٢٠ : ١٢). فإن كان هذا تقدير الله لطاعة الأولاد لوالديهم في عهد الناموس فهل يكون تقديره لهذه الطاعة أقل في عهد النعمة؟ فكما أن طاعتنا للرب لها مجازاتها كذلك طاعة الأولاد لوالديهم لها مجازاتها الحسنة " لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ خَيْرٌ، وَتَكُونُوا طَوَالَ الْأَعْمَارِ عَلَى الْأَرْضِ " هذا وعد مبارك يجب أن يثق فيه ويمسك به الأولاد الانقياء الذين يطيعون والديهم ويكرمونه. وكما أن للطاعة مكافأتها فإن لعدم إطاعة الوالدين واکرامهم عاقبتها الوخيمة " مَنْ سَبَّ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يَنْطَفِ (سِرَاجُهُ فِي حَذَقَةِ الظَّلَامِ " (أم ٢٠ : ٢٠) " الْعَيْنُ الْمُسْتَهْزِئَةُ بِأَبِيهَا وَالْمُخْتَفِرَةُ إِطَاعَةَ أُمِّهَا تُقَوِّرُهَا غَرْبَانُ

الْوَادِي وَتَأْكُلُهَا فِرَاحُ النَّسْرِ " (أم ٣٠ : ١٧). ليت كل الأولاد - بنين وبنات - يطيعون والديهم ويكرمونه فيتمتعون برضى الله عليهم ويختبرون عمليا هذا الوعد الجميل " لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ خَيْرٌ، وَتَكُونُوا طَوَالَ الْأَعْمَارِ عَلَى الْأَرْضِ "

* * * * *

(٤) " وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْآبَاءُ، لَا تُغَيِّظُوا أَوْلَادَكُمْ، بَلْ رَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ "

أن كان واجب الأولاد هو الطاعة لوالديهم، " لِأَنَّ هَذَا حَقٌّ " ولأنه " مَرْضِيٌّ فِي الرَّبِّ " فإن واجب الوالدين هو أن لا يعاملوا أولادهم بالقسوة والعنف، وفي هذا يحتاج الآباء والأمهات أن يكونوا قريبين من الله وفي شركة معه ليمنحهم الحكمة التي يحتاجون إليها في تربية أولادهم التربوية المسيحية الحقة. لاشك أنه من الخطورة بمكان أن يتهاون الوالدون ويتساهلون في تربية أولادهم، الأمر الذي يجلب عليهم متاعب وآلام لا حصر لها، كما يجلب عليهم أيضاً قضاء إلهيا مثلما حدث لعالي الكاهن وبيته (١ صم ٢ : ٢٧ : ٣٦) إلا أنه من الناحية الأخرى يجب على الوالدين أن لا يكونوا قساة على أولادهم، وحتى عندما يستلزم الأمر أستعمال الحزم والتأديب يجب أن لا يكون ذلك بروح الغضب، بل أن يكون الباعث عليه المحبة التي لا تريد سوى خير الأولاد وبركتهم. أن كثيرين من الآباء يعاملون أولادهم بالقسوة ويتسرعون في معاقبتهم ويضربونهم باستمرار وبغضب وهياج. ابهذه الكيفية يعاملنا الله ابونا؟ أن هؤلاء الوالدين يكونون سبب عثرة لأولادهم ويبعدونهم عن الله " أَيُّهَا الْآبَاءُ، لَا تُغَيِّظُوا أَوْلَادَكُمْ لِئَلَّا يَفْشَلُوا " (كو ٣ : ٢١). فليحذر الوالدون من

الكلام مع أولادهم بروح الغضب، كما يجب عليهم أن لا يأمرهم بشيء فوق طاقتهم كما لو كانوا كبار نظيرهم، بل يراعون مدى فهمهم ومداركهم التي تتفق مع أعمارهم.

إن واجب الوالدين هو أن يربوا أولادهم "بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ" متذكّرين بأنهم كانوا أولاً أولاداً قبل أن يكونوا والدين، وكم كانوا في حاجة إلى صبر وطول أناة والديهم في تربيتهم لهم، وهذا ما يحتاجه أولادهم منهم الآن. يجب على الآباء الأمهات أن يصلوا كثيراً لأجلهم ومعهم. يجب أن يسهروا على سلامتهم روحياً وعقلياً وجسدياً من بدء حياتهم – في سن الطفولة وفي كل مرحلة من مراحل حياتهم ولاسيما في سن المراهقة. أن واجب الوالدين هو أن يجلسوا كثيراً مع أولادهم ويوجهوهم التوجيه الحسن ويرشدوهم إلى الكتب التي يجب عليهم أن يقرأوها ويحذروهم من قراءة الكتب التي تؤذي حياتهم الروحية والأخلاقية، وأن يعرفوا ما هي آياتهم التي يحبونها، وما هو نوع الأصدقاء الذين يعاشرهم، وبالجملة يجب عليهم أن يهذبوهم التهذيب المسيحي الذي لا يمكن أن يستعاض عنه بشيء آخر. عليهم أن يرشدوهم إلى ما يعلمه الكتاب المقدس عن الإيمان بالمسيح وعن العيشة المسيحية، فلا يتركوا هذا الواجب المقدس لمدرسة الأحد أو لاجتماعات الشبان ولا للكنيسة، بل عليهم أن يغرسوا هم أولاً بذار الكلمة الإلهية في قلوبهم الغضة وبذا يقودونهم إلى قبول الرب يسوع مخلصاً لهم. أن أي ميراث أرضي يتركه الوالدون لأولادهم لا قيمة له، إذ أن أهم وأثمن ما يمكن أن يقدموه لأولادهم هو أن يربوهم "بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ" لا بالكلام فقط بل بالقدوة الحسنة. يجب أن يرى الأولاد في والديهم أحسن مثال لحياة القداسة والعيشة النقية.

لقد قال الرب يسوع " هَكَذَا لَيْسَتْ مَشِيئَةُ أَبَائِكَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدٌ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ " (مت ١٨ : ١٤) بل أن أمره الصريح هو " دَعُوا الْأَوْلَادَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلَا تَمْنَعُوهُمْ لِأَنَّ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ " (مت ١٩ : ١٤).

ولنا مثال جميل على تربية الأولاد تربية مسيحية في البيت وثمار هذه التربية في " تيموثاوس " فقد كتب له الرسول بولس " وَأَمَّا أَنْتَ فَاتَّبِعْ عَلَيَّ مَا تَعَلَّمْتَ وَأَيَقَنْتَ، عَارِفاً مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ. وَأَنَّكَ مِنْذُ الطُّفُولِيَّةِ تَعْرِفُ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ، الْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلَاصِ، بِالإِيمَانِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ " (٢ تي ٣ : ١٤ و ١٥) ف تيموثاوس قد تعلم ولاشك من الكتب المقدسة الطاعة وكرام الوالدين وهو طفل على ركبتي أمه وركبتي جدته (٢ تي ١ : ٥) لقد ربياه بتأديب الرب وإنذاره. انه تعلم الكتب المقدسة في البيت أولاً. ولا بد أن والديه وجدته سينالون المجازاة والمكافأة أمام كرسي المسيح.

* * * * *

(٥) " أَتَيْهَا الْعَبِيدُ، أَطِيعُوا سَادَتَكُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ بِخَوْفٍ وَرَعْدَةٍ، فِي بَسَاطَةِ قُلُوبِكُمْ كَمَا لِلْمَسِيحِ "

يستمر الرسول في كلامه عن الخضوع والطاعة، فكما هو واجب الأولاد أن يطيعوا والديهم، كذلك هو واجب العبيد أن يطيعوا سادتهم، ومما لا ريب فيه أن هذا لا ينطبق على العبيد والسادة في البيت فقط، بل أيضاً على العامل وصاحب العمل – على الصانع وكذلك على الموظف ورئيسه، وهذا واضح من قوله في نفس هذا الفصل " عَبْدًا كَانَ أَمْ حُرًّا " (٨ع) وإذا ما راعى الكل هذا المبدأ الإلهي فإن ذلك يحل مشاكل معقدة كثيرة بين العمال وأصحاب العمل – مشاكل كثيراً مما يترتب عليها اضطرابات بل وثورات أيضاً.

في الوقت الذي كتب الرسول فيه هذه الأقوال كان نظام العبيد الأرقاء سائداً في كل العالم ولاسيما في الدولة الرومانية التي كانت لها السيادة العليا وقتئذ، ومع أن ذلك النظام لم يكن بحسب إرادة الله، لأن مشيئته هي أن جميع البشر يعيشون أحراراً، إلا أنه مما لا يتفق مع مبادئ الإنجيل تحريض العبيد لينثروا ضد سادتهم، ومع ذلك فإننا نجد في رسالة الرسول بولس إلى فليمون فكر الله من جهة تحرير العبيد، لا بالعنف والقوة بل بالمحبة والسلام، لذا يبحث الرسول بولس فليمون على أن يقبل أنسيمنس العبد الابق " لَا كَعَبْدٍ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ أَفْضَلَ مِنْ عَبْدٍ : أَخًا مَحْبُوبًا، وَلَا سَيِّمًا إِلَيَّ. فَكَمْ بِالْحَرِيِّ إِلَيْكَ فِي الْجَسَدِ وَالرَّبِّ جَمِيعًا! فَإِنْ كُنْتُ تَحْسِبُنِي شَرِيكًا فَاقْبَلْهُ نَظِيرِي " (١٦ع و١٧) وهذا نفس ما أشار إليه الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس " الدَّعْوَةُ الَّتِي دُعِيَ فِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ فَلْيَلْبَثْ فِيهَا. دُعِيتَ وَأَنْتَ عَبْدٌ فَلَا يَهْمُكَ. بَلْ وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَصِيرَ حُرًّا فَاسْتَغْمِلْهَا بِالْحَرِيِّ. لِأَنَّ مَنْ دُعِيَ فِي الرَّبِّ وَهُوَ عَبْدٌ فَهُوَ عَتِيقُ الرَّبِّ " (ص ٧ : ٢٠-٢٢).

إن الأمر الصريح هو أن العبيد يطيعون سادتهم " بِخَوْفٍ وَرَعْدَةٍ " أي الخوف من إهمال القيام بواجباتهم، فإن واجبهم يحتم عليهم أن يؤديوا أعمالهم بكل أمانة " فِي بَسَاطَةِ قُلُوبِكُمْ " أعنى بكل إخلاص " كَمَا لِلْمَسِيحِ " وهذا ما يملأ قلوبهم رضى وسرورا.

* * * * *

(٧و٦) " لَا بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ كَمَنْ يُرْضِي النَّاسَ، بَلْ كَعَبِيدِ الْمَسِيحِ، عَامِلِينَ مَشِئَةَ اللَّهِ مِنَ الْقَلْبِ، خَادِمِينَ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ كَمَا لِلرَّبِّ، لَيْسَ لِلنَّاسِ "

يحدثنا القول بأن " خِدْمَةَ الْعَيْنِ " هي نوع من عدم الأمانة في العمل، فاذا ما قام العامل بعمله عندما يرى أن صاحب العمل أو رئيسه يراقبه وذلك لكي يرضيه، ثم يهمل القيام بعمله عندما يبتعد عنه، فانه في هذه الحالة لا يكون أميناً في القيام بواجبه. أما المؤمن الذي يعتبر أنه " كَعَبِيدِ الْمَسِيحِ " فانه يمارس عمله بكل أمانة لا كمن " يُرْضِي النَّاسَ " بل

ليعمل " مشيئة الله مِنَ الْقَلْبِ " انه يقوم بعمله بكل أمانة واجتهاد " بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ كَمَا لِلرَّبِّ، لَيْسَ لِلنَّاسِ " فهو يعمل عمله، مهما كان شاقا، واضعا نصب عينيه المسيح وليس الناس الذين يخدمهم، وهذا ما يجعل للخدمة، مهما كانت حقيرة في نظر الناس، قيمة عظيمة في نظر العامل كما هي في عيني الله نفسه.

* * * * *

(٨) " عَالِمِينَ أَنْ مَهْمَا عَمَلٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَيْرِ فَذَلِكَ يَنَالُهُ مِنَ الرَّبِّ، عَبْدًا كَانَ أَمْ حُرًّا "

للأمانة في القيام بالعمل الذي يعينه الرب لكل واحد منا مجازاتها ومكافأتها من الرب نفسه، فالعبد الذي يطيع سيده أو العامل الذي يطيع رئيسه ويقوم بواجبه بأمانة وإخلاص لا بد أن ينال المكافأة من الرب حتى ولو كان ذلك الرئيس لا يقدر أمانته وإخلاصه في عمله، فإن الرب لن ينسى تلك الأمانة وذلك الاخلاص " لَا تَضِلُّوا! اللَّهُ لَا يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الْإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا " (غل ٦ : ٧) فليتيقن كل مسيحي أمين في عمله، مهما كان مركزه حقيرا في هذا العالم، بأن للأمانة مجازاتها الصالحة في الحياة الحاضرة والعتيدة أيضاً.

بعض الناس في هذا العالم أغنياء والبعض فقراء. البعض سادة والبعض عبيد أو خدم. البعض رؤساء والبعض مرؤوسون، كذلك البعض أمناء والبعض غير أمناء، ولكن كل هذه الفوارق ستزول ولا يبقى لها أثر، وكل إنسان سيعطى حسابا أمام الله عن حياته التي عاشها في هذا العالم. عندئذ سيسمع كثيرون من المؤمنين الأمناء، الذين كانوا فقراء ومجهولين في هذا العالم، كلمات الرب المبهجة " نِعَمًا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الْأَمِينُ. كُنْتُ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. ادْخُلْ إِلَى فَرْحِ سَيِّدِكَ " (مت ٢٥ : ٢٣) فليتشجع وليتبع كل مؤمن عائش بالامانة ولو كان مركزه حقيرا في هذا العالم، عالما " مَهْمَا عَمَلٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَيْرِ فَذَلِكَ يَنَالُهُ مِنَ الرَّبِّ " هل يعاملك رئيسك بدون تقدير لأمانتك؟ ثق بأن الله لن يغفل أو يهمل هذه الأمانة فلا يكافئك عليها. هل يقسورئيسك عليك ويظلمك كما حدث ليوסף قديم؟ (تك ٣٩) عش أمانة في أداء عملك واثقا بأن الله لا بد أن يجازيك " سَلِّمْ لِلرَّبِّ طَرِيقَكَ وَاتَّكِلْ عَلَيْهِ وَهُوَ يُجْرِي وَيُخْرِجُ مِثْلَ النُّورِ بَرِّكَ وَحَقَّكَ مِثْلَ الظُّهَيْرَةِ. انْتَظِرِ الرَّبَّ وَاصْبِرْ لَهُ " (مز ٣٧ : ٥-٧).

(٩) " وَأَنْتُمْ أَيُّهَا السَّادَةُ، افْعَلُوا لَهُمْ هَذِهِ الْأُمُورَ، تَارِكِينَ التَّهْدِيدَ، عَالِمِينَ أَنَّ سَيِّدَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا فِي السَّمَاوَاتِ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مُحَابَاةٌ "

يختتم الرسول بولس هذا الجزء الخاص بالعلاقات والواجبات المتبادلة في البيت المسيحي بتوجيه النصح للسادة فلا يوجهه إلى طرف واحد بل إلى كل طرف في البيت المسيحي،

فانه في العلاقة الزوجية، كما يعظ النساء بأن يخضعن لرجالهن، كذلك يعظ الرجال بأن يحبوا نساءهم ن وكما يعظ الأولاد بأن يعطيعوا والديهم، كذلك يعظ الوالدين بأن لا يغيظوا أولادهم بل أن يربوهم بتأديب الرب وانذاره، وهنا كما يعظ العبيد أو المرووسين بأن يطيعوا سادتهم (أورؤساءهم) كذلك يعظ السادة (أورؤساء) بأن يكونوا لطفاء ومترفقين بعبيدهم (أومرووسيههم).

" وَأَنْتُمْ أَيُّهَا السَّادَةُ، افْعَلُوا لَهُمْ هَذِهِ الْأُمُورَ " أن الرب الذي سيحاسب ويجازي العبيد هو هو بعينه الرب والسيد الذي سيحاسب ويجازي السادة أيضاً، وكل واحد منهم سينال إما المجازاة الحسنة أو العقاب المؤلم من الرب الذي هو سيد السادة والعبيد على السواء إنه سيد المرووس كما هو سيد الرئيس، فلا يليق بالسادة المؤمنين أن يعاملوا مرووسيههم بالتهديد كما ولا بالمواعيد الكاذبة.

وكلمات الرسول بولس هذه واضحة كل الوضوح فانه يقول للسادة " افْعَلُوا لَهُمْ هَذِهِ الْأُمُورَ " أعنى نفس الأمور التي طلبها من العبيد، أي أنهم (أي السادة) يتعاملون مع عبيدهم (أو مرووسيههم) " كَعَبِيدِ الْمَسِيحِ، عَامِلِينَ مَشِيئَةَ اللَّهِ مِنَ الْقَلْبِ، خَادِمِينَ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ كَمَا لِلرَّبِّ، لَيْسَ لِلنَّاسِ. عَالِمِينَ أَنَّ مَهْمَا عَمِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَيْرِ فَذَلِكَ يَنَالُهُ مِنَ الرَّبِّ، عَبْدًا كَانَ أَمْ حُرًّا " (١٠-٨). فاذا كانت الامانة والاخلاص مطلوبين من العبيد فانهما مطلوبان أيضاً من السادة، وكما أن العبد (أو المرووس) يجب أن يخدم بأمانة عاملاً ما فيه خير ومصلحة سيده، (أورئيسه) كذلك يجب على السيد أو الرئيس أن يعمل ما فيه خير وفائدة مرووسه، فلا يليق به أن يسود عليه بالقسوة أو التهديد بل باللطف والعطف. أن العنف أو القساوة هما من صفات الأشرار الذين لم يختبروا محبة الله ورحمته " الصِّدِّيقُ يُرَاعِي نَفْسَ بَهِيمَتِهِ أَمَّا مَرَاكُمُ الْأَشْرَارُ فَقَاسِيَةٌ " (أم ١٢ : ١٠) فإن كان الصديق يشفق على بهيمته فكم بالأحرى يجب عليه أن يشفق على ابن آدم نظيره حتى ولو كان عبداً له؟ أن من واجب السادة أو الرؤساء أن يكونوا مترفقين بمن يخدمونهم، فلا يظلمونهم في أجورهم أو في أي حق من حقوقهم، كما لا يليق بهم أن يرهقوهم في القيام بعمل فوق طاقتهم. يجب عليهم أن يعنوا بصحتهم وبكل ما فيه خيرهم وسلامتهم روحياً وجسدياً ومن كل وجه. وياله من تحذير خطير يوجهه الرسول يعقوب إلى السادة! " هَلُمَّ الْآنَ أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ، ابْكُوا مُؤَلُولِينَ عَلَى شَقَاوَتِكُمُ الْقَادِمَةِ... هُوَذَا أُجْرَةُ الْفَعْلَةِ الَّذِينَ حَصَدُوا حُقُولَكُمْ الْمَبْخُوسَةَ مِنْكُمْ تَصْرُخُ، وَصِيَاحُ الْحَصَادِيِّينَ قَدْ دَخَلَ إِلَى اذُنَي رَبِّ الْجُنُودِ " (يع ٥ : ١-٤)

* * * * *

" عَالِمِينَ أَنَّ سَيِّدَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً فِي السَّمَاوَاتِ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مُحَابَاةٌ "

فكما أن سيدنا، تبارك اسمه، يعاملنا بالمحبة والرفق كذلك يجب على السادة المؤمنين أن يعاملوا مرؤوسيههم بنفس الكيفية التي يعاملنا بها الرب. فكما أن العبيد هم تحت سلطان ورئاسة سادتهم كذلك نحن أيضاً تحت سلطان ورئاسة ربنا وسيدنا الذي هو الآن في السموات. وكما يحاسب الرئيس مرؤوسيه على ما عملوه كذلك نحن وكل السادة أو الرؤساء سنعطى حساباً أمام كرسي المسيح، فهو لابد أن يجازي السادة القساة كما سيجازي العبيد غير الامناء، إذ " لَيْسَ عِنْدَهُ مُحَابَاةٌ " ان من واجب جميع المؤمنين – السادة والعبيد أو الرؤساء والمرؤوسين أن يراعى كل منهم واجبه المسيحي، وإلا فأننا نكون سبب عثرة للبعدين عن المسيح.

* * * * *

كم هو جميل أن نراعى أن هذه الرسالة تبدأ وتدور حول مقامنا السماوي كأعضاء في جسد المسيح المقام من الأموات والممجد عن يمين أبيه في السماويات، وكيف أن الاب قد باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح. ومع ذلك فأننا نجد بين أعضاء الجسد الواحد أشخاصاً فقراء في هذا العالم يشغلون مركز عبيد لسادة قد يكون البعض منهم قساة وظالمين، ولكن شكراً لله الاب والرب يسوع المسيح على النعمة التي رفعتهم ورفعتنا جميعاً وعلى الرجاء المبارك الموضوع أمامنا، فإن العبد المسيحي سيكون مع المسيح ومثله في المجد – سيكون العبد (في الأرض) واحداً من الذين يرنمون الترنيمة الجديدة في السماء قائلين. " وَجَعَلْتَنَّا لِإِلَهِنَا مُلُوكاً وَكَهَنَةً، فَسَنَمَلِكُ عَلَى الْأَرْضِ " (رؤ ١٠ : ١٠). ليت كلا منا يعيش بالامانة للرب في المركز الذي وضعه فيه هنا، منتظرين كلنا اللحظة السعيدة التي فيها يأتي الرب لينهي غربتنا في هذا العالم ويوجدنا معه في المجد الأبدي.

* * * * *

(١٠) " أَخيراً يَا إِخْوَتِي تَقَوُّوا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ "

وصلنا الآن إلى الجزء الختامي من هذه الرسالة، وهو الخاص بالحرب الروحية مع قوات الظلمة التي تحاول دائماً أن تحرمننا من التمتع ببركاتنا الروحية التي بوركنا بها في المسيح يسوع. فكما أن شعب الرب الأرضي قد اعطاهم الله أرض الموعد، الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً، وكان عليهم أن ينتصروا على أعدائهم الجبابرة لكي يمكنهم أن يمتلكوا الأرض عملياً ويتمتعوا بخيراتها، كذلك الأمر مع المؤمنين الحقيقيين الآن، فانهم، لكي يتمتعوا عملياً بكل بركة روحية، عليهم أن يجاهدوا للانتصار على قوات الظلمة التي تحاول حرمانهم من التمتع بهذه البركات السماوية.

* * * * *

يظن الكثيرون من المؤمنين خطأ أن أرض كنعان هي رمز للسماء التي يدخلها المؤمن بعد الموت، وأن نهر الاردن يرمز إلى الموت الجسدي، ولكن لدى التأمل في هذا الموضوع نجد أن الأمر يعكس ذلك، فانه بعد دخول الشعب أرض كنعان بدأت الحروب المتواصلة مع أعدائهم الذين قاوموهم بكل قواهم لمنعهم من التمتع ببركات تلك الأرض، فهل بعد انتهاء حياتنا من هذا العالم ودخولنا إلى السماء يكون هناك أعداء وتكون هناك حروب؟ أن كنعان، في الواقع، هي رمز بهذه البركات يجب أن ننتصر على أعدائنا الروحيين – ابليس وأجناده الذين لا يكفون عن مقاومتنا ليحرمونا من التمتع بهذه البركات.

* * * * *

" أخيراً يا إِخْوَتِي تَقَوُّوا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ " يا لها من كلمات مشجعة لنا نحن المؤمنين! فاننا في ذواتنا ضعفاء، واعدائنا أقوى منا بكثير ولكن لنا كل الكفاية في الرب وفي شدة قوته، ومن المهم أن نتيقن بأن جميع المؤمنين، حتى ولو كانوا قد قبلوا الرب يسوع مخلصاً لهم من سنين كثيرة ولهم اختبارات وتدريبات روحية مباركة، فانهم لا شيء في ذواتهم، وانهم بأنفسهم أو بقوتهم لا يستطيعون أن ينتصروا على أعدائهم. فليكن لنا جميعاً الإيمان بالرب والثقة فيه وفي شدة قوته. لقد رأينا في تأملنا في الاصحاح الأول (١٩٤ و ٢٠) أن عظمة قدرة الله الفائقة نحونا نحن المؤمنين هي حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات... الخ، فالقوة التي لحسابنا الآن هي نفس القوة التي أقامت المسيح من الأموات وأجلسته عن يمين ابيه في السموات، اننا في ذواتنا ضعفاء كالوبار " الْوَبَارُ طَائِفَةٌ ضَعِيفَةٌ وَلَكِنَّهَا تَضَعُ بُيُوتَهَا فِي الصَّخْرِ " (ام ٣٠ : ٢٦) فمهما كان الاعداء الروحيون حبابرة فإن قوتنا هي في " الصخر " صخر الدهور. ولكي نتقوى في الرب وفي شدة قوته، علينا أن نمارس كل وسائط النعمة – أن نصلي كثير وأن ندرس كلمة الله ونلجج فيها باستمرار، كما يجب أن تكون لنا شركة مع المؤمنين الاتقياء – القديسين والأفاضل.

(١١) " الْبَسُّوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ ابْلِيسَ "

تأملنا في الأعداد السابقة في البيت المسيحي، وكلما قرأنا تلك الأعداد الجميلة (ص ٥ : ٢٢ إلى ٦ : ٩) نجد أنفسنا في جولطيف مملوء بالبهجة والسلام. نعم كم هو جميل أن نقرأ في تلك الأعداد عن العائلة المسيحية حيث الزوج والزوجة يعيشان معا في جوشبع بالمحبة والوئام ولهما الهدف الواحد وهو مجد الرب يسوع المسيح، وحيث الأولاد يربون بتأديب الرب وانذاره، وحيث السادة والعبيد يعرفون معا مسئوليتهم للسيد الاعظم الذي عاش هنا على الأرض " كالعبد " ولكنه الآن السيد الممجّد عن يمين الاب في السموات، الا أن الروح القدس ينقلنا فجأة من هذا المشهد الجميل والمبارك، مشهد البيت المسيحي إلى

مشهد آخر يختلف عنه كل الاختلاف – إلى مشهد الحرب الروحية والجهاد المقدس مع ابليس وأجناده الكثيرين، لذا يحثنا الرسول على أن نلبس سلاح الله الكامل. وسنرى في الأعداد التالية أجزاء هذا السلاح المذكورة بالتفصيل قطعة بعد قطعة.

في الاصحاح الرابع من هذه الرسالة (٢٤ع) يحثنا الرسول على أن نلبس ما يليق بنا كقديسين، أما هنا فيحثنا على أن نلبس ما يليق بنا كجنود للرب يسوع – أن نلبس سلاح الله الكامل – السلاح الذي أعده الله نفسه " إِذْ أَسْلَحَهُ مُحَارَبَتَنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِاللَّهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ " (٢كو ١٠ : ٤). أن سلاح الله الكامل هو الذي به نقدر أن نثبت ضد مكاييد ابليس. هذه هي إرادة الله من نحو كل مؤمن، أن يكون ثابتاً " ضِدَّ مَكَايِدِ ابْلِيسَ " ولنلاحظ أن الروح القدس يشير هنا إلى الثبات ضد " مكاييد " ابليس أكثر مما إلى قوة ابليس. لقد انتصر الرب يسوع على قوة ابليس كما على مكاييده (أوحيله وآساليبيه) ذلك لانه عدوقد هزم بالصليب " لِكَيْ يُبَيِّدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيُّ ابْلِيسَ " (عب ٢ : ١٤) ويجب علينا أن ننظر اليه كعدو مهزوم. هذا ما أشار اليه الرسول يعقوب بقوله " قاوموا ابْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ " (ص ٤ : ٧) فمكاييد ابليس هي التي يجب أن تثبت ضدها. انه عدومخادع " وَلَا عَجَبَ. لِأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسُهُ يُعَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلَائِكَةِ نُورٍ! " (٢كو ١١ : ١٤). انه عدوالله والمسيح وبالتالي هو عدو المؤمنين المدرب على المكاييد والمخادعات. أن له ما يقرب من ستة آلاف سنة يعمل فيها بحيلة ومكاييده، فقد ظهر أولاً لحواء في الحية التي هي أحيل جميع حيوانات البرية، وهو للآن " الحية القديمة " ، لكن شكرا لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح. اذن " اَلْبَسُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلِ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ ابْلِيسَ "

* * * * *

(١٢) " فَإِنْ مُصَارَعَتْنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلَاطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ، عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ "

لاريب في أن الحروب التي تحدث بين البشر في العالم، ولاسيما في هذا العصر الذي كثرت فيه الاختراعات الجهنمية الفتاكة، هي مروعة ومدمرة، ولكن القول هنا بأن مصارعتنا ليست مع لحم ودم، أي ليست مع البشر المنظورين مثلنا، يرينا بأن الحرب الروحية مع قوات الظلمة غير المنظورة هي أشد وأقسى، فإن الحروب البشرية هي بين إنسان وإنسان أو بين جيش وجيش، أو بين طائرات وطائرات وما إلى ذلك، بينما الحرب الروحية هي ضد ابليس وأجناده. إنها حرب ضد مملكة الظلمة الكبيرة " مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلَاطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ، عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ " ولا يمكننا أن ننتصر على هؤلاء الأعداء إلا إذا لبسنا " سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلِ " أن أعداءنا

الروحيين هؤلاء يعملون بلا هوادة ولا مهادنة على حرماننا من العيشة لمجد الرب سيدنا وبالتالي من التمتع ببركاتنا الروحية السماوية. فمصارعتنا مع قوات الظلمة هي أقسى وأشد من المصارعة مع اللحم والدم إذ أن ابليس وكل مملكته مجندون باستمرار ضدنا نحن المؤمنين، ومن يجهل هذه الحقيقة يعرض حياته الروحية للاذى والخطر.

* * * * *

في رسالة بطرس الرسول الأولى، حيث يرى المؤمنون " كَغَرْبَاءَ وَنَزَلَاءَ " في هذا العالم (ص ٢ : ١١) يحثهم الرسول على التعقل والصحو " أَصْحُوا وَاسْهَرُوا لِأَنَّ ابْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَارٍ، يَجُولُ (في الأرض) مُلْتَمِساً مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ " (ص ٥ : ٨). أما هنا في رسالة أفسس فإن أعداءنا يرون " في السماويات " حيث المؤمنون قد بوركوا " بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ " (ص ١ : ٣) المسيح الذي قد تمجد عن يمين ابيه " في السماويات " (ص ١ : ٢٠) وهم (أي المؤمنون) قد أجلسوا معا " في السماويات فِي الْمَسِيحِ " (ص ٢ : ٦)، حيث الرؤساء والسلاطين " فِي السَّمَاوِيَّاتِ " يتعلمون بواسطتهم (أي بواسطة الكنيسة) حكمة الله المتنوعة. فالحرب الروحية اذن هي مع " رَئِيسَ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ " وأجناده غير المنظورين (ص ٢ : ٢). ولكن شكرا لله على معدات النعمة الغنية، فإن كنا لسنا كفاة من أنفسنا لمواجهة هؤلاء الأعداء الروحيين ولكن كل الكفاية هي في الرب يسوع وفي شدة قوته—هذا الذي به " يعظم انتصارنا "

* * * * *

(١٣) " مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ اخْمَلُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشَّرِيرِ، وَبَعْدَ أَنْ تَتِمَّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَنْبُتُوا "

يكرر الرسول الاشارة إلى أهمية " سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلَ " ففي عدد ١١ يقول " اَلْبَسُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلَ " وهنا في هذا العدد يكرر ذلك بقوله " اَخْمَلُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلَ " ذلك لأن كل أجناد مملكة الظلمة مصطفون ضدنا، لذلك يكرر الرسول الحث على أن نحمل السلاح كله " سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلَ " ، هذا السلاح الذي لا يمكن لقوتنا الذاتية أو لحكمتنا الجسدية أن تحل محله أو تغني عنه. أن مسئولية كل مسيحي حقيقي هي أن يلبس سلاح الله الكامل وأن يحمله باستمرار. وهنا يجب أن نراعى أن هناك فرقا كبيرا بين لبسنا سلاح الله الكامل وبين اللباس الذي أعده الله لنا بنعمته الغنية. فإن كل واحد منا وضع ثقته في الرب يسوع وفي كفاية عمله لأجله فوق الصليب قد صار " بر الله فيه " أي في المسيح. لقد ألبسه الله أعظم حلة " الحلة الأولى " هذا هو مركزنا أمام الله في المسيح. وهذه الحلة أو هذا اللباس لا نضعه نحن على أنفسنا لأن الله هو الذي ألبسنا إياه، أما عند الحرب أو المصارعة فإن واجبنا نحن هو أن نلبس كل جزء من أجزاء هذا السلاح.

* * * * *

وليصنع كل مؤمن حقيقي إلى قول الرسول هنا " اَحْمِلُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاسِمُوا فِي الْيَوْمِ الشَّرِيرِ " لاشك أنه مادامت رحي الحرب الروحية دائرة باستمرار وفي كل مدة وجودنا في هذا العالم، فإن هذه المدة ينطبق عليها القول " الْيَوْمِ الشَّرِيرِ " ولاسيما من بعد صلب ربنا يسوع المسيح حيث سمى العدو ابليس " رئيس هذا العالم "

في الاصحاح الخامس من هذه الرسالة يحث الرسول المؤمنين على السلوك بالتدقيق " لَا كَجُهَلَاءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ، مُقَدِّينَ الْوَقْتَ لِأَنَّ الْأَيَّامَ شَرِيرَةٌ " أما هنا فالتحذير أقوى وأشد أي يجب أن نحمل سلاح الله الكامل لكي نقدر أن نقاوم " الْيَوْمِ الشَّرِيرِ " ومع أن زمان الحرب والمصارعة، أعنى كل مدة وجودنا في هذا العالم، يمكن أن يوصف بأنه " الْيَوْمِ الشَّرِيرِ " إلا أن هناك أو قاتا خاصة فيها يختبر المؤمن فرديا قوة الحرب الروحية عليه وشدة مقاومة العدو العنيفة له بصور مختلفة. وعندئذ يكون الخطر عظيما إذا لم يكن صاحبا وحاملا السلاح الكامل. ووقت كهذا يمكن أن يقال عنه بحق بأنه " الْيَوْمِ الشَّرِيرِ " ويجب أن نراعى بأنه من واجبنا أن نكون مستعدين ومهيئين لمثل هذه الظروف القاسية أو ذلك " الْيَوْمِ الشَّرِيرِ " من قبل. فليس واجبنا هو أن نلبس سلاح الله الكامل عندما يجيء يوم شرير كهذا بل أن نكون لابسين هذا السلاح باستمرار حتى لا يفاجئنا العدو بقوته بل بالحري نقدر أن نقاومه وننتصر عليه.

ثم لنراع قوله " وَبَعْدَ أَنْ تُتِمَّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَنْبُتُوا " أي بعد أن تفوزوا بالنصر في " الْيَوْمِ الشَّرِيرِ " يجب أن تستمروا حاملين سلاح الله الكامل ومستعدين لأي هجوم آخر يفاجئكم به العدو ، ذلك لأننا عند كسب المعركة الروحية، معرضون للاعجاب بأنفسنا والثقة في ذواتنا والاستناد على قوتنا، وفي ذلك كل الخطر على حياتنا الروحية. يجب ألا يغيب عن أذهاننا أن انتصاراتنا الروحية لا تعنى أن الحرب قد انتهت. انها حرب متواصلة ما دمنا هنا في هذا العالم، ولكن شكرا لله فانه بعد قليل سيأتي الرب من السماء ليأخذنا للمجد في بيت الاب، وهناك لا تكون حرب أو جهاد بل سجود وابتهاج، فبدل لبس السلاح سنلبس هناك الاكاليل، وبدل الجهاد ستكون الراحة المجيدة في السماء.

* * * * *

الجزء الأول من سلاح الله الكامل

(١٤) " فَاتَّبِعُوا مُمْنَطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلَا بَسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ "

يتحدث الرسول بولس هنا وفي الأعداد التالية عن سلاح الله الكامل بالتفصيل فيذكر كل جزء من أجزائه قطعة بعد قطعة فيشير أولاً إلى المنطقة " فَاتَّبِعُوا مُمْنَطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ "

" ان أول شيء يجب أن يلبسه الجندي المسيحي هو منطقة الحق، والمقصود بالحق هنا هو كلمة الله، إذ لا يستطيع أن يكون ثابتاً غير متزعزع إلا إذا كان ممنطق الحقلين بكلمة الله. هذا ما يحتاج اليه المؤمنون في هذه الأيام بصفة خاصة، فإن كثيرين من المؤمنين يهملون قراءة كلمة الله والتغذى بها واللهج فيها مفضلين عليها قراءة الكتب والقصص العالمية، لذا نجدهم ضعفاء روحياً – تراهم بلا قوة أو همة روحية وبالتالي مهزومين في حياتهم الروحية. يقول الرسول بطرس " مَنْطِقُوا أَحْقَاءَ ذَهْنَكُمْ صَاحِبِينَ " (١بط ١ : ١٣) وهذا معناه أن كلمة الله يجب أن تهيم على ذهن المسيحي الحقيقي، وبذا يحفظ من الافكار الخاطئة ومن التعاليم الغريبة المؤذية لحياته الروحية.

وكما أن المنطقة على حقوى الإنسان تكسب جسده قوة ونشاطاً كذلك درس كلمة الله فانه يقوى وينشط إنساننا الباطن. ليتنا نمطق أحقاًنا دائماً بالحق الإلهي " كَيْ لَا نَكُونَ فِي مَا بَعْدَ أَطْفَالاً مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحٍ تَعْلِيمٍ، بِحِيلَةِ النَّاسِ، بِمَكْرِ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلَالِ. بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنُمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَلِكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ : الْمَسِيحُ " (ص ٤ : ١٥و١٤).

متى يخلع الجندي منطقته؟ أليس عند النوم؟ وهل يليق به أن ينام وهو في ساحة الوغي؟ ما أخطر هذا! لقد نام سيسرا قائد جيش أعداء الرب فقتلته امرأة (قض ٤). أيها الاحباء " جَمِيعُكُمْ أَبْنَاءُ نُورٍ وَأَبْنَاءُ نَهَارٍ. لَسْنَا مِنْ لَيْلٍ وَلَا ظُلْمَةٍ. فَلَا نَنَامُ إِذَا كَالْبَاقِينَ، بَلْ لِنَسْهَرُ وَنَصْنَحُ " (١تس ٥ : ٥و٦).

إن مجيء الرب أصبح قريباً فلنصنع إذا لقول الرب المبارك " لَتَكُنْ أَحْقَاؤُكُمْ مُمْنَطَقَةً " (لو ١٢ : ٣٥).

* * * * *

الجزء الثاني من سلاح الله الكامل

" وَلَا بَسِييَنَ دِرْعَ الْبِرِّ " والبر هنا ليس هو " بر الله " الذي صرناه في المسيح يسوع (٢كو ٥ : ٢١) فإن هذا البر هو ما احتجنا اليه في علاقتنا مع الله بينما " دِرْعَ الْبِرِّ " هو ما نحتاج اليه باستمرار للنصرة في مصارعتنا مع ابليس وكل أجناده. اننا لا نلبس أنفسنا " بر الله " فإن الله هو الذي ألبسنا إياه، أما " درع البر " المذكور هنا فإن الله يطلب منا أن نلبسه " لَا بَسِييَنَ دِرْعَ الْبِرِّ "

وكما أن الروح القدس يرينا في الجزء الأول من أجزاء سلاح الله الكامل أي " منطقة الحق " حاجتنا إلى تطبيق كلمة الله على حياتنا العملية وكيف يجب أن تكيف هذه الكلمة كل طرقنا، كذلك يرينا في الجزء الثاني من أجزاء هذا السلاح أعني " دِرْعَ الْبِرِّ " حاجتنا إلى

أن تكون حياتنا حياة البر العملي، وهذان الجزءان مرتبطان معا إذ متى كنا ممنطقين بحق الكلمة الإلهية فإن ذلك يثمر فينا ثمر البر العملي. ولنراع أن لاشيء يفقدنا الضمير الصالح ويعرض حياتنا للهزيمة نظير إهمال السلوك في البر العملي. أن عدم لبس " دِرْعَ الْبِرِّ " يعطى للعدومنفذا للقلب والضمير لذا يجب على كل المؤمنين الحقيقيين الذين قد تبرروا مجاناً بالفداء الذي ببسوع المسيح أن يحيوا حياة البر العملي " قَدِّمُوا دَوَاتِكُمْ لِلَّهِ كَأَحْيَاءٍ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَأَعْضَاءَكُمْ آلَاتٍ بِرِّ اللَّهِ " (رو ٣ : ٢٤ ، ٦ : ١٣).

* * * * *

الجزء الثالث من سلاح الله الكامل

(١٥) " وَحَاذِينَ أَرْجُلَكُمْ بِاسْتِعْدَادٍ لِإِنْجِيلِ السَّلَامِ "

المقصود باستعداد إنجيل السلام هو السلوك العملي المطابق لتعليم إنجيل الله " عِشُوا كَمَا يَحِقُّ لِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ " (في ١ : ٢٧) فإنه لا يكفي أن نشهد بأفواهنا بأن إنجيل المسيح " هو قوة الله للخلاص " وبأنه صار لنا نحن المؤمنين " سلام مع الله " وهذا حسن وجميل حقاً ولكن يجب أن نظهر ذلك عملياً في سلوكنا. كذلك يجب أيضاً أن نحمل، بكافة الوسائل، إنجيل السلام للنفوس المحرومة من السلام مع الله. فعلياً من الناحية الواحدة أن نظهر قوة إنجيل السلام في حياتنا العملية، ومن الناحية الأخرى نحمل بشارة النعمة والسلام إلى النفوس البعيدة عن الله. هاتان الناحيتان قد ظهرتا بكل وضوح في حياة الرسول بولس وفي خدمته للإنجيل، فمن حيث الحياة العملية كانت حياته شهادة ناطقة لقوة الإنجيل وكذلك من حيث خدمته للإنجيل كانت له الرغبة الصادقة في توصيل الإنجيل للبعدين " لِلْيُونَانِيِّينَ وَالْبَرَابَرَةَ لِلْحُكَمَاءِ وَالْجُهَلَاءِ " (رو ١٤ : ١٥).

أيها القارئ العزيز. أن إنجيل ربنا يسوع المسيح هو " إنجيل السَّلامِ " فهل نلت هذا السلام مع الله – السلام المؤسس على موت ربنا يسوع المسيح فوق الصليب وقيامته من بين الأموات؟ هذا هو أساس الله الراسخ الذي عليه يستريح الضمير المتعب وتجد النفس السلام الحقيقي مع الله. بعد أن رش دم خروف الفصح على ابواب شعب الرب القديم في أرض مصر، واحتفى الشعب من سيف الملاك المهلك وبذا صار لهم أمان تام وسلام كامل، أمرهم الرب بأن يأكلوا من خروف الفصح قائلاً " وَهَكَذَا تَأْكُلُونَهُ : أَحْقَاؤُكُمْ مَشْدُودَةٌ " (خر ١٢ : ١١) ليت القارئ العزيز يكون قد استراح على ما عمله حمل الله – المسيح فصحننا الذي ذبح لأجلنا – هذه هي الراحة التي أعلنها بكل وضوح إنجيل السلام.

* * * * *

الجزء الرابع من سلاح الله الكامل

(١٦) " حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الْإِيمَانِ، الَّذِي بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشَّرِيرِ الْمُلْتَهَبَةِ "

كلمة ترس لا ترد في كل العهد الجديد إلا في هذا العدد فقط ولكنها ترد مرارا عديدة في العهد القديم، وهي تعنى، في لغة الكتاب المقدس، أن الله هو ترس لأولاده الواثقين فيه والمحتمين به. وأول مرة ذكرت فيها كلمة " ترس " كانت عندما قالها الله نفسه لابراهيم بعد انتهاء الحرب بينه وبين الملوك الذين حاربوا ملك سدوم وحلفاءه، إذ قيل " بَعْدَ هَذِهِ الْأُمُورِ صَارَ كَلَامُ الرَّبِّ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي الرُّؤْيَا : لَا تَخَفْ يَا إِبْرَاهِيمَ. أَنَا تُرْسُ لَكَ. أَجْرُكَ كَثِيرٌ (أوالكثير*) جِدًّا " (أي بعد الحوادث المذكورة في تك ١٤) (تك ١٥ : ١) فقد كان هذا الإعلان موافقا لحالة وحاجة عبده ابراهيم حتى لا يتسرب الخوف إلى نفسه، الخوف من أي هجوم من أولئك الأعداء أو غيرهم عليه. وإذا كان الله ترسا لنا فليس هناك ما يدعو إلى الخوف من هجمات الشر أو الشياطين ضدنا، لان ترسنا فيه كل الكفاية لحمايتنا من سهام الشرير الملتهبة.

والمرة الثانية التي ترد فيها كلمة " ترس " هي في النشيد الذي علمه موسى رجل الله لشعب الرب قبيل موته " إِلَهُ الْقَدِيمِ مَلَجًا وَالْأَذْرُعُ الْأَبَدِيَّةُ مِنْ تَحْتِ. فَطَرَدَ مِنْ قُدَّامِكَ الْعَدُو وَقَالَ : أَهْلَكَ.. طُوبَاكَ.. مَنْ مِثْلَكَ يَا شَعْبًا مَنْصُورًا بِالرَّبِّ تُرْسَ عَوْنِكَ وَسَيْفَ عِظَمَتِكَ! فَيَتَذَلُّ لَكَ أَعْدَاؤُكَ وَأَنْتَ تَطَأُ مُرْتَفَعَاتِهِمْ " (تث ٣٣ : ٢٧-٢٩) ياله من وعد جميل لشعب الرب! فالله نفسه هو ترس لحماية أولاده من كل سهام الشرير الملتهبة. فهل لنا الإيمان الذي ينتظر الرب ويثق فيه؟ " أَنْفُسُنَا انْتَهَزَتْ الرَّبَّ. مَعُونَتُنَا وَتُرْسُنَا هُوَ " (مز ٣٣ : ٢٠) " لِأَنَّ الرَّبَّ اللَّهُ شَمْسٌ وَمَجَنُّ (أي ترس). الرَّبُّ يُعْطِي رَحْمَةً وَمَجْدًا " (مز ٨٤ : ١١) " تُرْسٌ هُوَ لِجَمِيعِ الْمُحْتَمِينَ بِهِ " (٢ صم ٢٢ : ٣١) كل هذه الاقوال وغيرها ترينا أن الله نفسه هو ترس لكل شعبه.

على أن واجبنا هو أن نحمل هذا الترس في كل حين " حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الْإِيمَانِ " أي أن يكون لنا الإيمان الذي يثق في الرب ويستند عليه في كل الظروف. هذا الإيمان الذي به، وليس بقوتنا الذاتية، نقدر أن نطفئ سهام الشرير الملتهبة.

• " I am thy shield, and thy exceeding great reward "

انها سهام نارية ولكن ترس الإيمان أقوى، فعندما نضع ثقتنا في ربنا المبارك ونستند عليه وعلى قوته بكل قلوبنا فانه، تبارك اسمه، يصد عنا هجمات العدو . انه ترس الإيمان الذي يطفئ تلك السهام قبل أن تصل إلينا أو تمسنا باذى. ليتنا نحمل " تُرْسَ الْإِيمَانِ " في كل حين فنضمن لأنفسنا النصر الروحية " ويعظم انتصارنا بالذي أحبنا "

الجزء الخامس من سلاح الله الكامل

(١٧) " وَخُذُوا خُوْدَةَ الْخَلَّاصِ، وَسَيِّفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ "

خذوا أي اقبلوا أو تناولوا هذه العطية " خُوْدَةُ الْخَلَّاصِ " من يد الله المعطى. أن الرأس هي مركز الفهم والادراك والتفكير، وأي اذى يلحق الرأس له خطورته وله تأثيره على بقية أعضاء الجسم، لذا تحتاج الرأس إلى الحماية مما تتعرض له من اذى أو ضرر. ونشكر الله لانه أعد للمسيحي المجاهد " خُوْدَةَ الْخَلَّاصِ " لحمايته من هجمات ابليس وكل أجناده.

وخوذة الخلاص للمؤمن هي يقينه بخلاصه المؤسس على ذبيحة ربنا يسوع المسيح، والخلاص ليس شيئاً وهمياً أو خياليا ولكنه يقينى. والإنسان الذي نال هذا الخلاص قد أدرك وأيقن تماماً بأن الله قد خلصه. قد لا يكون قادراً أن يجيب على الأسئلة الكثيرة التي يوجهها اليه الملحدون أو العصريون وغيرهم ممن ينكرون وحي الكتب المقدسة، ولكن لا توجد قوة بشرية أو شيطانية تستطيع أن تسلب منه يقينه بخلاصه وبغفران خطاياها أن كان قد أخذ خوذة الخلاص التي تصون رأسه وأفكاره.

بعد أن فتح الرب عيني الرجل المولود أعمى حاول الفريسيون بأسئلتهم الكثيرة أن يبعدوه عن المسيح. ومع انه لم يستطع أن يجيب على كل أسئلتهم فكان يقول لهم " لست أعلم " ولكنهم لم يستطيعوا أن يزحزحوه عن معرفته بشيء واحد كان يعلمه جيداً فقال لهم " أَعْلَمُ شَيْئاً وَاحِداً : أَنِّي كُنْتُ أَعْمَى وَالْآنَ أَبْصِرُ " (يو ٩ : ٢٥). كذلك الرسول بولس، فقد أقر بأنه لا يعرف كل الأشياء " لِأَنَّا نَعْلَمُ بَعْضَ الْعِلْمِ...فَإِنَّا نَنْظُرُ الْآنَ فِي مِرَاةٍ فِي لُغْزٍ " (١كو ١٣ : ١٢و٩) ولكن أعداء الإنجيل لم يستطيعوا أن يزحزحوه عن إيمانه بالرب ويقينه فيه، وهذا واضح من قوله " لَسْتُ أَخْجَلُ، لِأَنِّي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ، وَمُوقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ " (٢تي ١ : ١٢) لقد أخذ الرسول بولس خوذة الخلاص. فهل أخذت أيها القارئ المحبوب هذه الخوذة؟ إذا تطرق الشك إلى نفسك من جهة خلاصك فانك لا تستطيع أن تثبت بيقين كامل أمام العدو . أما يقين الخلاص فانه يزحزح من أمامك الخوف من الدينونة ويملأك فرحاً بالمخلص نفسه.

يشير الرسول بولس إلى الخوذة في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي (ص ٥ : ٨) " وَأَمَّا نَحْنُ الَّذِينَ مِنْ نَهَارٍ، فَلْنَصْحُ لَابْسِينَ دِرْعَ الْإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ، وَخُوْدَةَ هِيَ رَجَاءُ الْخَلَّاصِ " فالخلاص لا يشمل الماضي فقط بل الحاضر والمستقبل أيضاً، فهو خلاص من قصاص الخطية ودينونتها وكذلك من قوتها أيضاً هذا هو تعليم كلمة الله. انه تعلم بأننا خلصنا بالنعمة " لِأَنكُم بِالنَّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ " (اف ٢ : ٨) وأنا في الحاضر " نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ " (رو ١٠ : ١) واننا سنخلص في المستقبل (القريب) بمجيء الرب من السماء ليأخذنا لمجده " فَإِنْ سِيرَتْنَا نَحْنُ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضاً نَنْتَظِرُ مُخْلِصاً هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ،

الَّذِي سَيَعْبُرُ شَكْلَ جَسَدٍ تَوَاضَعْنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدٍ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتَطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضَعَ لِنَفْسِهِ كُلِّ شَيْءٍ " (في ٣ : ٢٠ و ٢١). فالمؤمن الحقيقي يستطيع أن يتمتع بالسلام الكامل واثقا أن المسيح بموته قد خلصه، وبحياته يحفظه وبمجيئه ثانية يمجده معه إلى الأبد " وَاثِقًا بِهَذَا عَيْنِهِ أَنْ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلًا صَالِحًا يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ " (في ١ : ٦). أن نصرتنا وأمننا وسلامتنا الروحية تتوقف على لبس خوذة الخلاص في كل حين وفي جميع الظروف. إنها (أي خوذة الخلاص) عطية إلهية فليتنا نلبى نداء الروح القدس في قوله " خُذُوا خُوذَةَ الْخَلَاصِ "

* * * * *

" وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ " ان كل أجزاء السلاح الخمسة التي تأملنا فيها هي أسلحة دفاعية، أعنى لوقيتنا من مكاييد ابليس وأجناده، أما الجزء السادس أي " سَيْفَ الرُّوحِ " فهو ليس لصد هجمات ذلك العدو بل للانتصار عليه وليس المقصود بالسيف هنا هو الروح القدس بل هو كلمة الله التي أوحى بها الروح القدس لكتابة الأسفار الإلهية، وليست هذه هي المرة الوحيدة التي فيها يشار إلى كلمة الله بأنها السلاح الذي أعطاه الله للمؤمنين، فأنا نقرأ في الرسالة إلى العبرانيين بأن " كَلِمَةُ اللَّهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِفَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمَخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقُلُوبِ وَنِيَّاتِهِ " (ص ٤ : ١٢).

إنه لا توجد أعمال أو مكاييد شيطانية أو قوات جهنمية لا تستطيع كلمة الله أن تحطمها وتبدها وتنتصر عليها. لما كتب الرسول يوحنا، وهو في منفاه في جزيرة بطمس عن الرب، قال " وَسَيْفٌ مَاضٍ دُوحَدَيْنِ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ " (رؤ ١ : ١٦). أن سيف الرب الظافر هو كلمته التي لا يمكن أن تقاوم. فهو الذي يقول فيكون.

فكلمة تخرج من شفثيه تسقط أعداءه على وجوههم. لقد قال، له المجد، بروح النبوة قبل تجسده بنحو سبعمائة سنة " وَجَعَلَ فَمِي كَسَيْفٍ حَدٍّ " (أش ٤٩ : ٢).

إن السيف هو كلمة الله — الكتاب المقدس الذي أظهر قوته وسلطانه في كل الأجيال. فكم من البركات التي قدمها هذا الكتاب للبشر في كل العصور. لقد انتصرت كلمة الله وأخضعت لسلطانها الملايين العديدة من الناس في كل القرون وإلى الآن وستظل كذلك إلى النهاية. كما كانت سلاح خدام الله في العهدين القديم والجديد فاحرزوا نصرات مجيدة ومباركة، ذلك لأنهم كانوا عسراء محبين لكلمة الله — كان لها مكانها في عقولهم وفي قلوبهم. وكانوا هم أجنادا أمناء للمسيح فواجهوا العدو بنفس السلاح الذي استعمله الرب نفسه، فالرب يسوع واجه العدو في البرية بهذا السلاح الإلهي " مَكْتُوبٌ .. مَكْتُوبٌ .. " (مت ٤ : ١-١١) وقريبا سيجيء الوقت الذي ستكون النصره الأخيرة فيه بواسطة مَكْتُوبٌ " (مت ٤ : ١-١١) وقريبا سيجيء الوقت الذي ستكون النصره الأخيرة فيه بواسطة

" سَيْفَ الرُّوحِ " كما هو مكتوب عن الرب يسوع " وَمِنْ فَمِهِ يَخْرُجُ سَيْفٌ مَاضٍ لِكَيْ يَضْرِبَ بِهِ الْأُمَمَ. وَهُوَ سَيَزَعُهُمْ بِعَصَا مِنْ حَدِيدٍ وَهُوَ يَذُوسُ مَعْصِرَةَ خَمْرٍ سَخَطٍ وَغَضَبٍ اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَلَهُ عَلَى تَوْبِهِ وَعَلَى فَخْذِهِ اسْمٌ مَكْتُوبٌ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الْأَرْبَابِ " (رؤ ١٩ : ١٥ و ١٦).

أننا بهذا السيف عينه نستطيع أن ننتصر على إبليس وكل قوات الظلمة. لأن كلمة الله هي السيف الذي أعطاه الروح القدس لنا لنظفر به على كل أعدائنا الروحيين.

الجزء السابع من سلاح الله الكامل

(١٨) " مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلَاةٍ وَطَلْبَةٍ كُلِّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، وَسَاهِرِينَ لِهَذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُوَاضَبَةٍ وَطَلْبَةٍ، لِأَجْلِ جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ "

الصلاة هي الجزء السابع من أجزاء سلاح الله الكامل، ومع أن كل جزء من أجزاء السلاح الستة التي تأملنا فيها له قيمته وأهميته ولكن القيمة العظمى هي للصلاة، إذ انها تجعل الجندي المسيحي على اتصال دائم بالقائد الاعظم الرب يسوع المسيح " رئيس جند الحرب " فانه ليست لنا قوة في ذواتنا ولا نستطيع بقوتنا أن ننتصر على أعدائنا، لذا نحتاج أن نكون في صلة دائمة بالرب الذي هو أقوى من العدو والذي يحارب حروبنا ويضمن لنا النصر " فَلَنَنْقُدَّ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ " (عب ١٦ : ١٦).

(أ) " مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلَاةٍ وَطَلْبَةٍ " أي الصلاة لأجل كل النواحي والأمور التي نحتاج إلى الصلاة، وما أكثر النواحي التي تحتاج إلى التضمرات أمام الله! أن كلمتي " بِكُلِّ صَلَاةٍ " تتضمنان الصلاة الفردية والصلاة العائلية. الصلاة السرية والصلاة الجهرية.

(ب) " كُلِّ وَقْتٍ " فقد قال الرب له المجد " ينبغي أن يصلى كل حين ولا يمل " ذلك لأننا في حاجة مستمرة إلى الصلاة، إذ أن العدو لا يكف عن مقاومتنا. أن الخطأ عند الكثيرين هو انهم يصلون في وقت الشدائد والتجارب فقط، ولكن واجبنا هو أن نصلى كل وقت فإن ذلك يجنبنا أخطارا وتجارب متنوعة، لذا يجب أن تكون صلواتنا بالله مستمرة إذ حاجتنا اليه ليست بأقل من حاجتنا إلى الهواء الذي نستنشق. اننا نتنفس باستمرار، ولا يمكن لأجسادنا أن تتوقف عن التنفس لحظة واحدة، هكذا من الناحية الروحية فاننا لا يمكن أن نحيا الحياة الحقيقية بدون الصلاة. صحيح انه ليس ممكنا أن نكون راكعين على ركبتنا باستمرار للصلاة ولكن من واجبنا بل هو امتيازنا أن نكون في روح الصلاة – أن نكون في صلة مستمرة مع إلهنا. أن الصلاة تمدنا بقوة من السماء أعظم من قوة كل الأعداء الذين ضدنا.

يقول الرسول بولس " صَلُّوا بِلَا انْقِطَاعٍ " (١ تس ٥ : ١٧) فلندرب أنفسنا على أن نكون في اتصال دائم بالهنا وأبينا مصدر القوة.

(ج) " في الروح " كما أن كلمة الله هي " سَيْفَ الرُّوح " كذلك يجب أن تكون صلواتنا بعمل وقيادة الروح القدس. أن الصلاة كل وقت " في الروح " هي الصلاة طبقاً لفكر وإرادة الروح الساكن فينا نحن المؤمنين، ولا يستطيع أن يصلّي " في الروح " إلا كل من ولد من الروح القدس وكان في حياته العملية منقاداً بالروح أما إذا لم تكن مصلين في الروح فخير لنا أن لا نصلي صلوات جسدية ينطبق عليها قول الرسول يعقوب " تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لَأَنْكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيًا لِكَيْ تُنْفِقُوا فِي لَذَائِكُمْ " (يع ٤ : ٣) أن من وسائل البنين والنمو في الحياة الروحية هو أن نكون " مُصَلِّينَ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ " (يه ٢٠).

(د) " وَسَاهِرِينَ لِهَذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُوَاضِبَةٍ وَطَلْبَةٍ، لِأَجْلِ جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ " أن هذا ما نحتاج أن نراعيه باستمرار، فإن الكسل والتهاون والتراخي في الصلاة تعطى للعدو منفذاً إلى حياتنا. لقد نام التلاميذ في الوقت الذي كان يجب أن يكونوا فيه ساهرين ومصلين لذا قال لهم الرب " أَهَكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِيَ سَاعَةً وَاحِدَةً؟ اسْهَرُوا وَصَلُّوا لِنَلَّا نَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ " (مت ٢٦ : ٤١ و٤٢) وما أكثر التحريضات التي في كلمة الله عن أهمية ولزوم السهر والمواظبة على الصلاة.

وما أوسع دائرة الصلاة! فإنها ليست قاصرة على ذواتنا وعلى احتياجاتنا الفردية فقط بل يجب أن تشمل " جَمِيعَ الْقَدِيسِينَ " أن جميع المؤمنين هم أعضاء في الجسد الواحد، وفي الوقت نفسه هم هدف العدو الواحد " رئيس سلطان الهواء وأجناد الشر الروحية " لذا نحن في حاجة أن نسند بعضنا بعضاً أمام عرش النعمة. هذه هي خدمة الشفاعة المباركة – أي اننا نصلي لأجل شعب الرب افراداً وجماعات – الذين نعرفهم والذين لا نعرفهم – في الوطن وفي كل أقطار المسكونة، وبقدر ما تتسع دائرة الصلاة بهذا القدر عينه يزيد تمتعنا بالرب الذي نسكب قلوبنا أمامه لا لأجل أنفسنا فقط بل ولأجل " جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ "

* * * * *

(٢٠ و ١٩) " وَلَاجَلِي، لِكَيْ يُعْطَى لِي كَلَامٌ عِنْدَ افْتِتَاحِ قَمِي، لِأَعْلَمَ جِهَاراً بِسِرِّ الْإِنْجِيلِ، الَّذِي لِأَجْلِهِ أَنَا سَفِيرٌ فِي سَلَاسِلَ، لِكَيْ أَجَاهِرَ فِيهِ كَمَا يَجِبُ أَنْ أَتَكَلَّمَ "

نتبين هنا أهمية الصلاة لأجل الآخرين، فلم يكتفِ الرسول بولس بأن يطلب من المؤمنين في أفسس بأن يصلوا لأجل جميع القديسين، بل طلب منهم أن يصلوا أيضاً لأجله هو. لقد كان الرسول يصلّي لأجل جميع المؤمنين – لأجل الافراد كما لأجل الكنائس – لأجل الذين رآهم وكرز بينهم كما لأجل القديسين الذين لم يكن قد رآهم بعينه، وقد رأينا في تأملاتنا في

هذه الرسالة أنه صلى لأجل القديسين في أفسس مرتين (ص ١ و ٣) وان كل صلاة منهما لها قيمتها العظمى، ومع ذلك فقد عرف الرسول حاجته هو شخصيا إلى صلوات أولئك المؤمنين لأجله. ومن ذا الذي يستطيع أن يقدر قيمة البركات التي ينالها القديسون بصفة عامة ومن يكرزون بالإنجيل بصفة خاصة بسبب صلوات المؤمنين لأجلهم؟ أن الأبدية سترينا كم كان لصلوات المؤمنين لأجل بعضهم البعض ولأجل خدام الإنجيل من ثمار مباركة أن كاتب هذه السطور مدين كثيراً لصلوات القديسين في جهات عديدة لأجله. فكم من المرات جاز في أمراض قاسية وشديدة ولكن الرب رحمه منها إستجابة لشفاعات وتوسلات المؤمنين لأجله، ولا ينسى ما ناله من معونات إلهية في خدمته البسيطة استجابة لصلوات القديسين لأجله. لقد قال له مرة أحد الإخوة في بلد أجنبي بأنه منذ رآه من خمس عشرة سنة لم يمر يوم واحد دون أن يصلى لأجله، وقال له آخر " اننى منذ رأيتك أقول للرب يوميا : إحفظ هذا الاناء الضعيف ليواصل الخدمة التي ائتمنته عليها " أن من يصلى لأجل خدام الرب هو شريك لهم في خدمتهم وفي المجازاة التي ينالونها أمام كرسي المسيح. ليتنا نصلى باستمرار وبلجاجة لأجل جميع العاملين في كرم الرب.

لم يطلب الرسول بولس من المؤمنين أن يصلوا لأجله لكي تفك قيوده ويطلق سراحه من سجن رومية بل لكي يعطى له كلام عند افتتاح فمه، وهذا ما يحتاج اليه كل خادم للإنجيل. انه في حاجة دائمة إلى صلوات إخوته المؤمنين لكي يعطيه الرب كلاما عند افتتاح فمه ليجاهر " بِسِرِّ الإنجيل " – الإنجيل الذي هو عطية الله للبشر، و واجب الخادم الامين لإنجيل المسيح هو أن يجاهر به لا بحكمة إنسانية بل " كما يجب أن يتكلم " وفي هذا يحتاج إلى تعضيد إخوته المؤمنين له بالصلوات المستمرة.

وليس المقصود " بِسِرِّ الإنجيل " انه شيء غامض بل انه بالحري يتضمن مشورات النعمة الغنية التي كانت قبلا مجهولة ولكن الله أعلنها في ابنه الحبيب ربنا يسوع المسيح وفي صليبه.

* * * * *

" الَّذِي لأجله أَنَا سَفِيرٌ فِي سَلَا سِلَ " فمع أن الرسول بولس كان أسيرا في سجن رومية ومقيدا بالسلاسل، ولكنه يعتبر نفسه أنه " سَفِيرٌ " لأجل الإنجيل. انه لا ينظر إلى أسره من ناحية إنسانية – أعنى كمن أسرته الدولة الرومانية، بل من ناحية إلهية فيذكر مرتين في هذه الرسالة أنه " أَسِيرُ الْمَسِيحِ يَسُوعَ " (ص ٣ : ١) وانه " الْأَسِيرُ فِي الرَّبِّ " (ص ٤ : ١).

إن سفراء الدول الأرضية يفتخرون بما نالوه من القاب وما يحملونه من أو سمة ونياشين يزينون بها صدورهم، أما أو سمة الرسول بولس فقد كانت سماوية. انها السلاسل التي كان

مربوطا ومقيدا بها. وحسنا قال واحد من القديسين " ان الله سوف لا ينظر إلى ما نلناه من شرف عالمي أو أوسمة أو نياشين أرضية بل إلى ما حملناه في أجسادنا من سمات آلام ربنا يسوع المسيح وإلى ما تحملناه من مشقات من أجل الاسم الحسن الذي دعى علينا"

* * * * *

(٢١ و ٢٢) " وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَيْضاً أَحْوَالي، ماذا أَفْعَلُ، يُعَرِّفُكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ تِيخِيكُسُ الْأَخُ الْحَبِيبُ وَالْخَادِمُ الْأَمِينُ فِي الرَّبِّ، الَّذِي أَرْسَلْتُهُ إِلَيْكُمْ لِهَذَا بِعَيْنِهِ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَحْوَالنَا، وَلِكَيْ يُعْزِّي قُلُوبَكُمْ "

يشهد الرسول بولس عن تيخيكس شهادتين جميلتين وهما أنه " الأخ الحبيب " وأنه " الْخَادِمُ الْأَمِينُ فِي الرَّبِّ " ومع أنه يذكر عنه نفس هاتين الصفتين الطيبتين في الرسالة إلى أهل كولوسي إلا أنه هناك يضيف اليهما صفة أخرى وهي أنه " الْعَبْدُ مَعَنَا فِي الرَّبِّ " (كو ٤ : ٧) وكم هو جميل أن تظهر هذه الصفات الحسنة في جميع المؤمنين وبصفة خاصة في خدام الرب، فإن الجمع بين هذه الصفات ولا سيما المحبة للقديسين والامانة في الخدمة للرب يحتاج إلى نعمة من الله وإلى حكمة سماوية، فانه من الخطر الذي قد يتعرض له خادم الرب أنه لأجل الاحتفاظ بالمحبة الأخوية أعنى محبته للقديسين ومحبة القديسين له قد يتهاون في الخدمة الأمينة للرب التي تستلزم، في كثير من الحالات، الصراحة الواجبة للتمسك بالحق والمجاهرة به.

* * * * *

لقد عرف الرسول بولس أشواق القديسين في أفسس اليه ورغبتهم في معرفة أحواله، لذلك أرسل اليهم تيخيكس حاملا هذه الرسالة اليهم، وفي نفس الوقت لكي يعرفهم أحواله ولكي يعزي قلوبهم، وقد كان تيخيكس أمينا في توصيل هذه الرسالة للقديسين في أفسس وبالتالي الينا وإلى كنيسة المسيح في كل الاجيال، فكانت لتعزية قلوبهم كما لقلوبنا وقلوب جميع المؤمنين بما تضمنته من حقائق وإعلانات سماوية. وخدمة تيخيكس هذه أثبتت بأنه كان حقا " الْأَخُ الْحَبِيبُ وَالْخَادِمُ الْأَمِينُ فِي الرَّبِّ "

* * * * *

(٢٣) " سَلَامٌ عَلَى الْإِخْوَةِ، وَمَحَبَّةٌ بِإِيمَانٍ مِنَ اللَّهِ الْآبِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ "

لنلاحظ أنه لا ترد في خاتمة هذه الرسالة تسليمات لأفراد من القديسين كما في معظم الرسائل الأخرى وذلك لأن هذه الرسالة موجهة إلى القديسين باعتبارهم " جسدا واحدا "

أعني إلى " الكنيسة التي هي جسده " كما أن غاية الروح القدس فيها أن تقرأ لا في أفسس فقط بل وفي غيرها أيضاً.

" سَلَامٌ عَلَى الإِخْوَةِ " ذلك السلام الذي هو امتياز كل المؤمنين الذين يستودعون ذواتهم وكل ظروف حياتهم لعناية الاب المبارك " وَمَحَبَّةٌ " لجميع القديسين الذين أعطوا إيماناً من الله الاب والرب يسوع المسيح. هذا ما يجب أن نتمناه دائماً لجميع المؤمنين.

* * * * *

(٢٤) " أَلنِّعْمَةُ مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ فِي عَدَمِ فَسَادٍ. آمِينَ "

يختم الرسول بولس هذه الرسالة الغنية بالحقائق الإلهية الجوهرية بهذه التحية الجميلة والأمنية الطيبة أي " أَلنِّعْمَةُ مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ " يالسموهذه النعمة! النعمة التي خلصتنا والتي تعلمنا كيف نعيش في هذا العالم

الموضوع في الشرير. النعمة الغنية " التي نحن فيها مقيمون " حيث لا تستطيع أية قوة أن تخرجنا من دائرتها، والتي سيؤتى بها إلينا عند مجيء ربنا يسوع المسيح.

والرسول يضيف إلى قوله " أَلنِّعْمَةُ مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ " هذه الكلمات الفاحصة لقلوبنا وهي قوله " فِي عَدَمِ فَسَادٍ " أعني أن التمتع بالنعمة هو من نصيب كل المؤمنين الذين يحبون ربنا يسوع المسيح حبا لا فساد فيه، أو بعبارة أو ضح أن الذين يحبون ربنا يسوع المسيح يظهرون هذه المحبة في الحياة النقية والعيشة التقوية وفي السلوك في القداسة العملية. إننا بهذه الكيفية، دون سواها، نستطيع أن نتمتع عملياً بهذه النعمة وبكل بركة روحية في السماويات في المسيح يسوع.

" آمِينَ " ما أجمل أن نختم هذه الرسالة بهذه الكلمة " آمِينَ " لقد ختم الرسول تسبيحته المباركة بهذه الكلمة عينها (ص ٣ : ٢١) وها يختم الرسالة كلها بنفس هذه الكلمة " آمِينَ " وكل مؤمن حقيقى يشترك بكل قلبه مع الرسول في تسبيحته المشار إليها ويقبل بإيمان قلبى وبيقين كامل ما تضمنته رسالة " السماويات " هذه من حقائق إلهية ثمينة لا يستطيع إلا أن يضم صوته مع الرسول قائلاً " آمِينَ "

* * * * *

الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس. لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملاً حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل